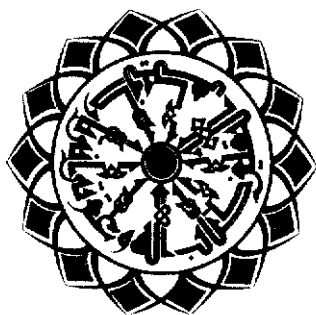


بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



رسالة الثقلين

مجلّة إسلاميّة جامعّة

العدد الخامس والثلاثون • السنة التاسعة • رجب - رمضان ١٤٢١ هـ ق / ٢٠٠٠ م

المراسلات والاتصالات مع رئيس التحرير على العنوان التالي :

※ الجمهورية الإسلامية في إيران - قم . ص . ب : (٨٩٤ = ٣٧١٨٥)

※ هواتف : ٢٠٠٠٠٠٠٠ - ٧٤٠٧٧١ فاكس : ٧٣٥١٧٩

※ موقعنا على الانترنت :

<http://www.iran-itf.com/risalatuththaqalayn.html>

رسالة الثقلين

مقدمات العدد

مقدمة اسلامية جامعة

● تعنى باحياء المعارف

الاسلامية من منبع

الثقلين والدفاع عن حريم

القرآن الكريم والسنة

الشريفة للرسول

الأمين ﷺ واهل بيته

الطيبين الطاهرين ﷺ .

● تستقبل نساتجات

العلماء والفكرين

والكتاب الاسلاميين التي

تصب في رسالة الثقلين

لتكريس وحدة الامة

الاسلامية وتثبيت

شوكتها في أرجاء

العالم .

● الآراء الواردة فيما

يُنشر لا تعبر بالضرورة

عن رأي المجمع أو

المجلة .

● تسلسل الموضوعات

يخضع لاعتبارات فنية .

● يُرجى ممن يرفد المجلة

بمنتجاته الاحتفاظ

بصورة منها، فإنها

لا تعاد تنشرت أم لم

تنشر .

□ كلمة التمرير

● سنة الله في قمع الفتن وردع العدوان

..... بقلم رئيس التحرير ٤

□ من أفاق القيادة الإسلامية

● الإصلاحات، ماهيتها، سبل تحقيقها، أولويتها

..... ولي أمر المسلمين آية الله العظمى السيد الخامنئي (دام ظله) ١٤

□ دراسات

● ولاية الله الشيخ محمدي مهدي الآصفي ٤٤

● نظرية الإمامة : ضرورة الإمامة السيد محمد باقر الحكيم ٥٩

● نظرة في علم الأخلاق السيد هاشم الهاشمي ٧٩

□ من فضاء مدرسة أهل البيت (ع)

● عقد الصيانة الشيخ مرتضى الترابي ٩٩

□ من تاريخ أهل البيت (ع)

● الامام علي (ع) والمعارضة السياسية (٢)

..... صلاح عبد الرزاق (هولندا) ١١٨

□ سؤال وجواب

● حول بعض مسائل الزواج في الإسلام

..... السيد عبدالكريم هاشمي نژاد ١٤٩

□ من اعلام مدرسة أهل البيت (ع)

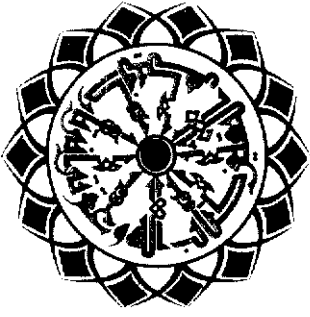
● محمد بن عثمان الخلّاني «السفير الثاني»

..... حسين الشاكري ١٦٦

□ استطرأ

● الشعائر الحسينية في بنغلاديش

..... علي اورسجي (بنغلاديش) ١٨٠



الجميع العالم له السلام

الشيخ محمد:

الشيخ

محمد بن عبد الله

رئيس التحرير:

الشيخ

فؤاد كاظم الحارثي

○ العدد الخامس والثلاثون

○ السنة التاسعة

○ رجب - رمضان المبارك

١٤٢١ هـ ق / ٢٠٠٠ م

○ المطبعة: ايلن

□ رأي

* في الهلال

..... الشيخ محمد صادق الابراهيمي (كندا) ١٩٧

□ أدب في رهاب الثقيلين

* قصيدة: الأقربون الكميت بن زيد الأسدي ٢١٢

* قصيدة: مولاي عيدك السيد محمد جمال الهاشمي ٢١٧

□ في ضلال عرر هم أهل البيت(ع)

* الخشوع

..... الشيخ وهب الفرحان (العراق) ٢٢٠

□ من ألبا، القرى

* الجمهورية الإسلامية في إيران،

والانتفاضة مستمرة .. فلسطين في فكر القيادة الإسلامية ..

في إيران «مقارنة أمدتها أربعة عقود» ٢٣٠

* فلسطين: انتفاضة الأقصى .. أخطاء الزعامات ٢٣٦

* كشمير: كشمير .. بين المقاومة وانتظار الحل ٢٤٢

* نيجيريا: التراجع عن تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية ٢٤٧

* آسيا الوسطى: لعبة العداء للإسلام ٢٥١

* العالم الثالث: تجارة الديون خطة لاستعباد العالم الثالث ٢٥٤

* أميركا: التباكي على حرية الأديان ٢٥٨

..... اعداد: قسم الأرشيف

□ مع قرآن، الثقيلين

* رسائل وتقويمات

..... اعداد: قسم العلاقات ٢٦١

سنة الله

في قمع الفتنة وردع العدوان

✽ بقلم رئيس التمرير

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في مبدأ وكيفية وقوع
الفتن : «إنما بدء وقوع الفتن من أهواء تُتبع وأحكام تُبتدع ، يخالف فيها
حكم الله يتولّى فيها رجالٌ رجالاً ، ألا إنَّ الحقَّ لو خُصَّ لم يكن اختلاف ولو أنَّ الباطل
خُصَّ لم يخف على ذي حجى^(١) لكنّه يؤخذ من هذا ضِغث ومن هذا ضِغث^(٢) فيمزجان
فيجعلان^(٣) معاً فهناك يستولي الشيطان على أوليائه ونجا الذين سبقت لهم الحسنى ،
إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : كيف أنتم إذا لبستم فتنةً يربو فيها الصغير ويهرم
فيها الكبير ، يجري الناس عليها ويتخذونها سنةً فإذا غير منها شيء قيل : قد غيرت
السنة وقد أتى الناس منكراً ، ثم تشتدُّ البلية وتسبى الذرية وتذقهم الفتنة كما تدقّ



(١) الحجى : العقل .

(٢) الضِغث : قبضة من حشيش مخالطة الرطب باليابس .

(٣) جَلَّت الشيء : إذا غطيته .

النار الحطب وكما تدقّ الرحا بثقالها^(١) ويتفقهون لغير الله ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا بأعمال الآخرة...»^(٢).

ومن لوازم الفتنة وقوع الظلم والعدوان ، فكيف السبيل لرفعها ؟ وكيف يُقارع الظلم ويُردع العدوان ؟ هل يكون ذلك بالقوة أم بغيرها ؟ أم بها وبغيرها ؟

إن اللجوء إلى القوة حالة طبيعية يتعامل الإنسان من خلالها مع التحديات التي تواجهه في مسيرته كفرد وكمجتمع وبنفس الوقت تخضع هذه الحالة إلى برمجة وتقنين من خلال نُظُم تبيح استعمالها في ظرفٍ ومنظور وتمنع من استعمالها في ظرفٍ ومنظور آخر . فإباحة استعمال القوة في كل ظرف وكل زمن يجعل الحياة تسير وفق رغبة الإنسان القوي ووفق إرادة الأقوياء مما يجعل التفاوت في مستوى الحياة وفقاً للقوة ، وإذا كانت القوة ممنوعة من دخول ظروف الصراع ومحجوزة عن التحديات ، فإن الإنسان يصبح عاجزاً لا يمكن أن يتحرك ولا ينتقل من مستوى حياتي إلى آخر وفق منظور التطور ، بقي أن تُحدّد الظروف التي تبيح استعمال القوة وتلك التي تحضر استعمالها . وما وضعت النُظُم والشرائع السماوية والمادية الوضعية إلا لتحديد مناهج ومديات تحرك الإنسان في أطر اللجوء إلى القوة أو عدم استعمالها في ظرفٍ معين . فالدفاع عن النفس أمرٌ فطري لا يلجأ إليه الإنسان فقط ، بل تلجأ إليه كل المخلوقات إذا ما تعرضت إلى تحدي معين من قبل الطبيعة أو فرد من أفرادها ، فالدفاع عن النفس أمر فطري إذن ، وبقي أن تحدد التشريعات المديات التي يتحرك فيها مفهوم الدفاع

(١) النُّقال : جلدة تيسط تحت رجا اليد ليقع عليها الدقيق، ويسمى الحجر الأسفل ثقلاً بها، والمعنى أنها تدقهم دقّ الرحا للحبّ إذا كانت مثقلة ولا تثقل إلا عند الطحن .

(٢) الكافي ٨ : ٥٨ ح ٢١ .

وشرعيته والمستوى الأعلى الذي لا يمكن أن يتجاوزه ، وإذا ما تجاوزه أصبح أمراً غير شرعي يعاقب عليه وفق تلك القوانين ، ويبدو هذا الأمر جلياً وفق نظرة فاحصة تلقينا على بعض آيات القرآن الكريم التي يتحدث بها عن الإعتداء وردّه :

﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ﴾ (١).

﴿ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ﴾ (٢).

﴿ فَإِنْ قَاتَلَكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ﴾ (٣).

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (٤).

﴿ أُوْذُنَ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْجَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيْعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيُنْصِرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (٥).

﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٦).

(المثلية) في ردّ الإعتداء ، إنما هي تحديد على أن يكون ردّ الفعل مساوياً للفعل إذا أخذت الظروف الطبيعية المجردة في حالة الدفاع الشرعي ، أما إذا كانت حالة ردّ الفعل المساوي غير مجدية بل غير ممكنة ، كأن لو استعمرت دولة مستكبرة دولة أخرى ، أو احتلت جزءاً من أراضيها أو عرّضت مصالحها للخطر من خلال فعل عسكري أو سياسي

(١) النحل : ١٢٦ .

(٢) البقرة : ١٩٤ .

(٣) البقرة : ١٩١ .

(٤) البقرة : ١٩٠ .

(٥) الحج : ٣٩ - ٤٠ .

(٦) الأنفال : ٣٩ .

أو اقتصادي ، وكانت هذه الدولة المضطهدة لا تستطيع من خلال موازين القوى وحسابات التعامل الدولي أن تردّ الإعتداء بالمثل ، فماذا تفعل إذن ؟

هنا تتشعب مناهج التفكير في الفقه السياسي ، وفي دراسات إدارة الصراع السياسي إلى موارد ثلاثة :

أولاً : من يتبنى أن في حالة كهذه ، تلجأ تلك الدولة إلى مائدة الحوار (الدبلوماسية) لكي تثبت من خلال المحاوراة السلمية حقها ، وتستطيع أن تردّ على الدولة المعتدية من خلال المنابر والمحافل الدولية ، وتستطيع أن تفرض على تلك الدولة عقوبات سياسية كقطع العلاقات الدبلوماسية أو تعليقها مثلاً أو خفض درجة التمثيل الخارجي ، أو عقوبات اقتصادية كالمقاطعة الاقتصادية أو الحصار الاقتصادي بحيث تصل هذه العقوبات إلى مستوى الردع ، وهذا المنهج هو الذي عليه أكثر الدول إعلامياً (نظرياً) بحيث تُثبت كبد من بنود التعامل الخارجي مع الدول وخاصة دول ذات الطابع المشترك (كمنظمة الدول الإسلامية) و(الجامعة العربية) و(الدول الأسكندنافية) و (المجموعة الأوروبية) وغيرها .

ثانياً : المنهج الذي يرى أن الواقع السياسي الدولي لا يتغير وفقاً لإفرازات الإعتداء ، أي أنه يرى أن المحافل الدولية سواء اتخذت موقفاً معيناً أم لم تتخذ لا يؤثر على حالة الصراع فيلجأ إلى استعمال القوة المتاحة لديه وبلا حدود حتى يضغط عملياً ويخضع تلك المعادلة التي تتحكم في الصراع إلى إرادته .

ثالثاً : المنهج الذي يعتمد الصراع بكل إمكانياته المتاحة سواء على صعيد القوة أو الفعل أو الصيغ السياسية والدبلوماسية ، فهو يرى أن

الطابع الذي يصبغ الصراع هو طابع المواجهة الحضارية ، فتراه يلجأ إلى المحافل الدولية لإثبات حقه النظري إعلامياً وسياسياً ، ويستخدم الوسائل المتاحة لديه لردع العدوان من جانب آخر ، فهو يتحرك بين مرونة الحوار من جهة وصلابة الموقف من جهة أخرى ويحاول دائماً أن تكون كفة الردع هي الراجحة في ميزان القوى التي يتعامل معها .

وبعد النجاح الذي سجلته البؤر الثورية أو الثورات الشعبية في تاريخنا المعاصر والتي استطاعت أن تكسر هيبة الدول الإستكبارية وتعرض مصالحها التاريخية للخطر ، بعد هذا النجاح أخذت الدول الكبرى تتحرك إعلامياً وسياسياً لإضفاء طابع (السلبية) والعدوانية أو ما يسمى (بالإرهاب) على هذه الحركات الثورية التي تتفجر هنا وهناك من مناطق العالم ، فأخذ الإعلام الإستكباري يؤكد من خلال بحوث ودراسات نفسية على أن الإنسان التائر هو الإنسان الإرهابي ذو الطبيعة العدوانية ، والإنسان الذي يرفض أن يعطي بلامقابل أني ملموس إنسان (مخزّب) ، والحقيقة أن هذه المصطلحات (الإرهاب) ، (التخريب) ، (العدوان) مصطلحات ذات وجهين فإذا كانت هذه المصطلحات تتحرك في إطار الإنسان المستضعف ، الذي يرفض الهيمنة ويرفض التنازل عن حقوقه المشروعة أمام عمالقة الاستكبار ؛ فإنها تحمل طابع (الإيجابية) ، لأن الإنسان المستضعف لا يريد أن تتجاوز هذه المفاهيم حدودها الثابتة إلى حد الإضرار بحقوق الآخرين ولا أن تتعدى أبعد من ذلك .

وليس غريباً أن نرى القرآن الكريم يصف المؤمنين بأنهم قوم يُرهبون أعداءهم ويلقون الرعب في قلوبهم فيقول :

﴿وَأَعَدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوُّ اللَّهِ

وعدوكم^(١)، فأرهاب العدو الظالم حالة (إيجابية) يتوسل بها الإنسان المقهور لاسترداد حقوقه المغتصبة .

وكذلك (التخريب) فإن القرآن يبدي لنا الوجه الإيجابي منه في عالم المستضعفين حتى يفقد طابعه السلبي فيقول :
﴿يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين﴾^(٢) .

فأيدي المؤمنين أيدي (مخرّبة) ولكن ماذا تخرب ؟ إنها تخرب بيوت المستكبرين والظالمين ، ومناهج هيمنتهم ، ومراكز تحركهم ، فهم (مخربون بئاءون) و (مخربون إيجابيون) يتحركون مع الفطرة وحرية الإنسان وكرامته ، ويخربون القيود التي تحاول الحد من حريتهم الطبيعية وهدر حقوقهم الإنسانية .

إن ظهور دول الاستكبار بمظهر الداعم لمؤسسات حقوق الإنسان ومؤسسات الدفاع عن المظلومين إنما تحاول بذلك أمرين :

أولاً: تحاول أن تبدو بوجهها الناصع أمام المحافل الدولية والمجتمع الدولي لتشكل غطاءً شرعياً لتحركاتها السياسية والتي تهيمن من خلالها على شعوب العالم المستضعفة .

ثانياً: تحاول أن تمتص نقمة المستضعفين والمضطهدين من خلال جرّهم إلى هذه الواجهات وجعلهم يتصورون أن هذه الواجهات هي التي تحقق لهم آمالهم وطموحاتهم بعيداً عن اللجوء إلى منطق القوة أو حتى التفكير بها على الأقل .

إن الدول الاستكبارية تدرك تماماً طبيعة الصراع بينها وبين العالم المستضعف . ولكنها تبقى مصرةً على أن تسيّر هذا الصراع وفق

(١) الأنفال : ٦٠ .

(٢) الحشر : ٢٠ .

معادلاتها وفهمها وما تمليه هي على الآخرين .

فحينما تسجل مثلاً الدوائر الإستكبارية أن عدد الضحايا في جريمة (هيروشيما) هو مائتا ألف ومئات الآلاف من المشوهين إلى يومنا الحاضر ، تدرك تماماً أن هذا الرقم أقل إرهاباً من قتل جاسوس أو حفنة جواسيس أو تهديدهم من قبل إنسان يدافع عن قضيته وكرامته ، فلماذا إذن هذه النظرة ؟ في الواقع إن هذه الرؤية نابعة من شعور الدول الإستكبارية بروح التفوق الذاتي وإنها الدول الأقوى والتي لها الحق في أن تملي إرادتها على الآخرين ، على أن خلفية هذه النظرة الأخلاقية المادية المقومة بالتفوق التكنولوجي وترسانات الأسلحة وشبكات الأقمار الصناعية العائمة في الفضاء ، فتتعامل الدول الإستكبارية مع الآخرين على أنهم مناجم جاهزة للإقتصاد ، وأسواق للمبيعات وثروات بشرية يمكن التحكم بها وفق المنظار الاستغلالي البحت لتلك الدول الاستكبارية .

وإذا ما حاولت إحدى المفردات السياسية على صعيد الدول أو الأفراد أن تغير في هذه السياسة أو حاولت الإخلال في طرفي المعادلة ، من خلال تحرك سياسي أو تصريح في محفل دولي ؛ كانت تهمة «الإرهاب والإرهابيين» هي الوصفة الناجعة التي تعالج بها الدول الاستكبارية ذلك الطرف المتحرك على العكس من إرادتها . وإلا فمتى كان الدفاع عن الحقوق المشروعة إرهاباً ؟ ومتى كان سدّ المنافذ التي يمكن أن يتسلل منها اخطبوط الاستكبار إرهاباً ؟

ولماذا لا يكون (القيتو) نوعاً من الإرهاب السياسي ؟ فعندما تجمع أغلبية الدول على أمر معين أو قرار ، تستطيع إحدى الدول الكبرى ذات الصلاحية اللامحدودة كأمركا مثلاً أن تلغي إرادة هذه الشعوب ، بأن

يرفع مندوبها يده معارضاً في الأمم المتحدة ، لماذا كان (الفيتو) أمراً طبيعياً ومقبولاً في السياسة الدولية ؟ لأنَّ الشعوب المستضعفة ارتضته هادراً لإرادتها وممتهناً لأبسط حقوقها في الحياة الحرّة الكريمة؟! أم أن الدول الكبرى متفقة عليه حفظاً لمصالحها ولكي تبقى خيوط اللعب الدولية في يديها ؟!

وعندما تتحرك الأساطيل الأميركية في الخليج الفارسي وتخترق حرمة المياه الاقليمية للجمهورية الإسلامية في إيران وتهدد بفوهات مدافعها وصواريخها الشعب المسلم في هذا البلد لكي تقلب معادلة طرفي الصراع في المنطقة لصالحها ، لماذا لا يسمى هذا النوع من الممارسات اللاأخلاقية إرهاباً دولياً ؟

وفي المقابل عندما تحاكم السلطة القضائية في الجمهورية الإسلامية في إيران مجموعة من مواطنيها بتهمة التجسس لصالح إسرائيل وفق قوانينها المرعية يتعالى الضجيج من الدوائر الصهيونية والأميركية ومن يسير في ركابها من دول الغرب مُديناً هذه المحاكمة ومعتبراً إيّاها أعمالاً (إرهابية) و (غير إنسانية) وكأن بلاد إيران وشعبها تحت الوصاية الإستكبارية لأميركا والصهيونية العالمية .

وعندما تحتل إسرائيل جنوب لبنان وتشرد وتقتل وتجرح الآلاف من أبنائه طيلة عشرين سنة متوالية من الاحتلال يعتبر الاستكبار ، وعلى رأسه أميركا أن إسرائيل اضطرت لذلك دفاعاً عن نفسها ، في حين عندما يأسر مجاهد حزب الله ثلاثة جنود إسرائيليين في المنطقة التي لا زالت تحت الاحتلال ليجبر العدو الإسرائيلي على إطلاق سراح الأسرى اللبنانيين الذين اختطفهم إسرائيل من بلدهم لبنان واحتجزتهم طيلة سنوات في إسرائيل ، تعلن أميركا النفير العام لدوائرها السياسية

وتمارس ضغطها على الأمم المتحدة وأمينها العام ليتحرك مع مجموعة من كبار رجال الإستكبار تحت غطاء محاربة الإرهاب ومحاصرته لممارسة الضغط لإطلاق سراح الصهاينة الثلاثة ، والأكثر غرابة أن كل هذا يتم في الوقت الذي يتساقط الآلاف من القتلى والجرحى من أبناء الشعب الفلسطيني المسلم برصاص الصهاينة ولا ترتفع عقيرة أحد منهم بكلمة إدانة ، وإذا ما أراد البعض إطلاق هذه الكلمة باسم الامم المتحدة وبأبهر صورها جاء سلطان (الفيثو) الأميركي ليكمّ أفواههم ويخرس كلماتهم رغم كونها كلمات لا تسمن ولا تغني من جوع ، بل يأتي ردّ الفعل المعاكس بوقاحة أكثر وصفاقة أشدّ عندما يعلن مجلس النواب الأميركي أن على الفلسطينيين أن يكفوا عن الأساليب الإرهابية ضد إسرائيل ، ويتمادى باراك الصهيووني على هذه النغمة الأميركية المستكبرة ليعلن أنه لن يلبي دعوة كليتون للاجتماع مع عرفات في واشنطن ما لم يتوقف الفلسطينيون عن أعمال العنف والإرهاب في إسرائيل .

هكذا هو الإستكبار وهذا هو منطقه ، فالمقياس الاستكباري إذن يبقى يحدد وبكل وضوح أن كل الفعاليات الإعلامية والسياسية والعسكرية التي تضرّ بمصالح الدول الكبرى ، أيّاً كان دافعها ، هي ممارسات (إرهابية) و(عدوانية) ، وتبقى مصالح الدول الكبرى هي الدائرة الحمراء التي لا يقترب منها إلا الإرهابي المتطرف كما يصفون .

ولكن منطق الفطرة السليم يبقى هو الفاصل في تمييز الإرهاب بمعناه (السلبي) الذي يراه الإستكبار فعلاً طبيعياً لاغراضه فيه وبين الإرهاب بمعناه (الإيجابي) المشروع وهو الموقف المعبر عن حالة الدفاع الفطرية المشروعة لكل المستضعفين من كل المستكبرين ، فما لم يقف

الاستكبار عن إرهابه للمستضعفين يبقى الإرهاب المضاد مشروعاً ، وما دامت بؤرة العدوان والظلم والاستكبار قائمة سيبقى ردّ العدوان عملاً طبيعياً منطلقاً من الفطرة الإنسانية ، ومثاله الحيّ اليوم التقابل الواقع بين إسرائيل الغاصبة وفلسطين المغصوبة ، والصهاينة المعتدين والفلسطينيين المجاهدين ، فما لم يقف العدوان الاستكباري عن إرهابه للمستضعفين يبقى الجهاد والدفاع أمراً مشروعاً ، وليسموه إرهاباً فهو إرهابٌ دفاعي مشروع .

وتلك هي سنة الله في الوجود رغم إرادة أعدائه ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ﴾ ^(١) صدق الله العلي العظيم .

قال الإمام علي عليه السلام :

لا تأمن عدوّاً وإن شكر
لا تستصغرن عدوّاً وإن ضُفِّف

غرر الحكم

الإصلاحات

ماهيته ، سبل تحقيقها ، أولويتها

❦ ولي أمر المسلمين آية الله العظمى
السيد الفاضلي «دام ظلّه»

من حديث لقائد الأمة الإسلامية وولي أمر المسلمين آية الله العظمى
السيد علي الخامنئي «دام ظلّه» في لقاء لسماحته مع كبار مسؤولي النظام
الإسلامي في إيران .

قال الله الحكيم في كتابه ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ الذين قال لهم
الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله
ونعم الوكيل ﴿فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله
والله ذو فضل عظيم﴾ .

ماهي الإصلاحات ؟

إن الذي بدا لي أن أتحدث فيه اليوم هو كيفية التغلب على العيوب



والنقائص والقضاء على مظاهر الفساد ، أو بالمعنى الصحيح للكلمة ، تحقيق الإصلاح في البلاد . فهذا هو السؤال المهم الذي يستحق أن يشغل أذهان المهتمين بمصير هذه البلاد وهذا الشعب . إن قضية الإصلاحات اليوم هي موضوع الساعة في هذا البلد ، وهناك الكثيرون ممن يتحدثون حول الإصلاحات ويعملون على تحقيقها . فما هي الإصلاحات ؟ وما هو السبيل لتحقيقها ؟ وما هي أولوياتها ؟ فهذه كلها قضايا فائقة الأهمية .

وأما القضية الأخرى ذات الأهمية في هذا المجال فهي : ما هو الذي يصبو إليه العدو من خلال دعاياته التي يرفع فيها شعار الإصلاحات ؟ إن الإصلاحات من القضايا التي تخص الشعب ، فما هو السبب في تركيز وسائل الإعلام العالمية على قضية الإصلاحات في إيران كما تلاحظون ؟ إن هذه الدعايات تبثها مراكز لا يمكن لها الزعم بأنها تريد الخير للشعب الإيراني . فهل يعود السبب في وجود الفساد وحالة الكبت وخراب الأوضاع في هذا البلد إلا إلى تسلط ونفوذ قوى الاستكبار الانجليزي في المرحلة الأولى والأميركي في المرحلة الثانية ؟ وهل يوجد سبب آخر غير ذلك ؟ وإلا فما هي القوى التي أوجدت الكبت في هذا البلد ؟ وما هي القوى التي أقامت الأجهزة الوطنية والحكومية في هذا البلد على أساس الفساد ؟ وما هي القوى التي كافحت الأخلاق العامة والإنسانية على مدى خمسين عاماً ؟ وما هي اليد التي أوصلت رضا خان إلى سدة الحكم ؟ وما هي العناصر التي نفذت انقلاب ٢٨ مرداد ؟ ومن هو الذي قام بأسوأ حركة دعائية على مدى أكثر من خمسين عاماً لجعل الجماهير تنقاد نحو الفساد والانحلال والتنكر للمبادئ الأخلاقية والدينية ؟ إن شبابنا اليوم لا يتذكرون شيئاً عن صحافة العهد البهلوي ، ولكنكم أنتم مازلتهم تتذكرون . فمن الذي كان يشجع تلك الصحف الفاسدة ، أو الملونة ، على حد تعبير أحد المثقفين المسلمين المعروفين ؟ ومن الذي كان يمولها

ويعضدها؟ وبمن كانت تقتدي وتتأسى؟ فهل هناك سوى تلك الأجهزة السلطوية التي جاءت بالنظام البائد وظلت تدعمه بكل وجودها؟! وهل لدينا اليوم ما يجعلنا نعارض اسم ورسم السلطة الأميركية بكل ما نملك من وجود سوى أن ذلك النظام الغابر أكبَّ على بعثرة وتضييع كافة مصادرها الإنسانية والمادية والأخلاقية والكفائية على طول خمسين عاماً؟ فما الذي حققه النظام البهلوي لإيران طوال هذه الأعوام الخمسين؟ وكم نحتاج من الجهود والوقت لإصلاح ما أوجدوه من خراب، وكيف؟ فمن الذي مهّد لكل ذلك؟ ومن الذي قدّم الدعم والمساندة؟ ومن الذي خطط لذلك النظام؟ ومن الذي قام بتقوية جهازه التجسسي؟ ومن الذي أعطاه الخط؟ ومع ذلك، فإن حكومة أميركا وانجلترا ورؤساءهما وما هنالك من سياسيين ومراكز إعلامية هم أنفسهم الذين يدعمون ويساندون اليوم ما يسمى بالإصلاحات والحرية في إيران! وهذا هو ما يدفع كل عاقل إلى إعمال فكره، ويحثّ كل غافل على اليقظة والانتباه. فما هي القضية؟ إنه لحديث في غاية الأهمية، وسؤال في منتهى الموضوعية.

مشروع أميركي لإسقاط النظام الإسلامي

إنني، وبصفتي قد عاصرت الكثير من الأحداث والقضايا في الميادين المختلفة لهذا النظام منذ بداية الثورة وحتى الآن، وأعرف طبيعة الأشخاص وفحوى الكلام، وعلى دراية باتجاهات الإعلام العالمي، قد توصلت إلى استنتاج عام وهو: أن ثمة مشروعاً أميركياً شاملاً لإسقاط نظام الجمهورية الإسلامية، وهو مشروع مدروس من كل الجهات، وقد أعدّ على غرار ذلك المشروع الذي استخدم لإسقاط الاتحاد السوفيتي،

ويصبو العدو إلى تنفيذه ثانية في إيران . وإنني لو أردت استعراض قرائن وشواهد هذا المضمون ، فكلها ماثلة في ذهني ، ولا يحتاج الأمر إلى تقصي دلائله ، لأن هناك العديد من الشواهد الواضحة في تصريحاتهم . وإن صحة هذا الإدعاء تبدو واضحة تماماً من خلال تصريحاتهم المنطوية على الغرور والاستعلاء طوال الأعوام الأخيرة - والتي يصفون هم أنفسهم بعضها بأنها كانت متعجلة - وهذه التصريحات التي تبدو محسوبة أحياناً تشير إلى أنهم قد أعدوا مشروعاً كالذي نفذوه لإسقاط الاتحاد السوفيتي السابق ولكن بالشكل الذي يتناسب مع طبيعة الأوضاع في إيران ، لإسقاط هذا النظام بزعمهم ، ولكنهم قد ارتكبوا العديد من الأخطاء ، وهذا من الألفاظ الإلهية .

إن أعداءنا يرتكبون الأخطاء في حساباتهم في المواقف الحساسة . وهذه الأخطاء ليس بمقدورهم إصلاحها حتى لو تحدثت عنها ، لأنها أخطاء في إدراك الحقائق ، وهم يخططون انطلاقاً من هذه الأخطاء فتأتي خططهم خاطئة ، ويتعرضون للفشل . لقد كانوا قد أعدوا الخطط لمساندة النظام البهلوي ، ووقفوا خلفه بكل قواهم ، سوى أنهم أخطأوا في التعرف على قضايا إيران ، والتعرف على شعب إيران ، والتعرف على علماء الدين ، والتعرف على الدين ، فكان نصيبهم الفشل ، وحتى الآن أيضاً فلن يكون مصيرهم سوى الفشل والهزيمة .

لقد تعرضوا للعديد من الأخطاء . وأولها أن السيد الخاتمي ليس كالسيد غورباتشوف . وثانيها هو أن الإسلام ليس كالشيوعية . وثالثها أن النظام الشعبي في الجمهورية الإسلامية ليس كالنظام الدكتاتوري البروليتاري . ورابعها هو أن إيران المكونة من نسيج واحد ليست كالاتحاد السوفيتي الذي كان يمثل عدداً من البلدان التي وصلوا بعضها

ببعض بالدبوس . وأما خامسها فهو أن الدور الذي لا بديل له للقيادة الدينية والمعنوية في إيران ليس أمراً من قبيل المزاح . ولسوف أوضح كل هذه الأخطاء بالتفصيل فيما بعد .

المشروع الأميركي لإسقاط الاتحاد السوفيتي

ولكن دعوني الآن أشير إلى المشروع الأميركي لإسقاط الاتحاد السوفيتي . وإن ما يدور الآن في ذهني هو لبّ مذكراتي اليومية التي سجلتها عام ١٣٧٠ هـ . ش [١٩٩١م] حول أحداث الاتحاد السوفيتي . ولقد أضفت إلى هذه المذكرات فيما بعد الكثير من المعلومات التي جمعها ونظمها أصدقاؤنا عن مصادر مهمة روسية وغير روسية ، وهو ما لا أريد الخوض فيه الآن ، سوى أنها كانت أحداثاً خطيرة .

وعندما أقول «المشروع الأميركي لإسقاط الاتحاد السوفيتي» فلا بد وأن أضيف إلى هذا الاسم نقاطاً ثلاثاً :

الأولى : هي أنه عندما أقول «مشروع أميركي» ، فلا يعني هذا أن سائر الكتلة الغربية لم تتعاون مع أميركا بهذا الصدد . وذلك لأن كافة الدول الغربية والأوربية قد تعاونت مع أميركا في هذا المجال بكل ما لديها من طاقة . فمثلاً دور المانيا وانجلترا وبعض الدول الأخرى بارز في هذا الأمر ، حيث تعاون هؤلاء بشكل جدي مع أميركا .

والثانية : هي أنه عندما نقول «مشروع أميركي» ، فلا يعني هذا أننا نتجاهل العوامل الداخلية لسقوط الاتحاد السوفيتي . كلا ، فلقد كانت عوامل السقوط ماثلة في النظام السوفيتي ، ولقد استغل أعداؤه هذه العوامل على أفضل وجه . فما هي تلك العوامل ؟ إنها الفقر الاقتصادي المدقع ، وممارسة الضغوط على الجماهير ، والكبت القاتل ، والفساد

الإداري ، والبيروقراطية ، علاوة على العوامل القومية والوطنية التي برزت في الأثناء .

وأما الثالثة : فهي أن هذا المشروع الأميركي أو الغربي - أيّاً كان الاسم - لم يكن مشروعاً عسكرياً ، بل كان إعلامياً بالدرجة الأولى ، وتم تنفيذه أساساً عن طريق اللافطات والياфطات والصحف والأفلام وسواها . والذي يدقق في هذا الموضوع سيلاحظ أن خمسين أو ستين بالمائة من المشروع قد نُفذ نتيجة لوسائل الإعلام والأساليب الثقافية . فليكن اهتمامكم كبيراً أيها الأعزاء بموضوع الغزو الثقافي الذي أثرته قبل سبع أو ثماني سنوات ، فالهجمة الثقافية ليست مزاحاً . ومن ثم كان العامل السياسي والاقتصادي بالدرجة الثانية بعد العامل الإعلامي والدعائي ، وأما العامل العسكري فلا أثر له مطلقاً .

ولكن ماهو ذلك المشروع ؟ إن غورباتشوف عندما تسلم مقاليد السلطة عام ١٩٨٥م كان من العناصر الشابة إذا قورن بأي سكرتير عام عجوز سبقه ، كما كان مثقفاً وحسن السلوك ، وكان الشعار الذي طرحه هو البروستريكا بالدرجة الأولى والغلاسنوست بالدرجة الثانية . والبروستريكا تعني إعادة البناء والإصلاحات الاقتصادية ، وأما الغلاسنوست فتعني الإصلاحات في الميادين الإجتماعية ، وحرية التعبير ، وما إلى ذلك . ولقد غمروا غورباتشوف في العام الأول والثاني بالابداعات الإعلامية من أحاديث وتحليلات وإطراءات وتوجيهات واقتراحات حتى وصل الأمر إلى أن المراكز الأميركية قدمته على أنه رجل العام ! وكان هذا في مرحلة الحرب الباردة ، أي عندما كان الأميركيون يجهضون أية محاولة للنجاح في الاتحاد السوفيتي ! فقبل غورباتشوف كانوا يتنكرون بشدة لكل ما قد يحدث في الاتحاد

السوفيتي من خطوات موفقة ويشنون عليها الهجمات الإعلامية الشرسة ، ولكن الحال تغير فجأة مع غورباتشوف ، ولقد كان هذا الترحاب الغربي الشديد المنطوي على التشجيع هو الخدعة التي انطلت على غورباتشوف ، إنني لا أستطيع الزعم بأن أجهزة الاستخبارات الغربية أو الأميركية هي التي جاءت بغورباتشوف إلى سدة الحكم - كما يدعي البعض في أنحاء العالم - لأنني حقيقة لا أملك أدلة على ذلك ، ولم يطرق سمعي أيضاً خبر من وراء الستار ، ولكن الشيء المسلّم به هو أن الترحاب والانبساط والرضا والاحترام والتبجيل والتشجيع والتقدير من قبل الغربيين هو الذي خدع غورباتشوف . لقد منح ثقته للغربيين والأميركيين ، ولكنه وقع في شباك الخديعة . وإن المرء ليلاحظ آثار هذه الخديعة في الكتاب الذي أصدره غورباتشوف تحت عنوان (البروستريكا - الثورة الثانية) .

لقد كانت هذه الشعارات مدوية في ذلك اليوم الذي كانت أجواء الكبت فيه تخيم على الاتحاد السوفيتي . وإنني كتبت في مذكراتي لعام ١٣٦٩ أو ١٣٧٠ هـ [١٩٩١ م] أن غورباتشوف رفع تصريح التنقل من مدينة إلى أخرى في الاتحاد السوفيتي ، أي أنه وبعد ثلاثة وسبعين عاماً من قيام الاتحاد السوفيتي ، وبعد انتهاء فترة حكم ستالين التي استغرقت ثلاثين عاماً ، ومدة سلطة بريجنيف التي امتدت على مدى ثمانية عشر أو تسعة عشر عاماً ، كان ما أنجزه السيد غورباتشوف ضمن ما أنجز على صعيد الغلاسنوست هو رفع لتصريح التنقل .

وفي مثل هذه الأجواء يمكنكم إدراك ما تتضمنه فكرة ومشروع قضية حرية الرأي من معنى ، وكم أنه مدهش ومذهل بالنسبة للجماهير أن يقول : حرية التعبير ؟ ففي خلال كل تلك الفترة لم يكن هناك في الاتحاد

السوفيتي سوى صحيفة واحدة مهمة وهي صحيفة برافدا والتي كانت صحيفة عامة ، كما لم يكن هناك سوى صحيفة واحدة تتعلق بالشباب ، إضافة إلى بعض المطبوعات المتخصصة ، وأما تعدد الصحف وإصدار الكتب ذات المحتوى المثير للاهتمام فلم يكن له وجود على الإطلاق . وعندما قام أحد الكتاب بنقد بعض أصول الاشتراكية - وليس كلها - فإنه ظل ممنوعاً من الخروج من الاتحاد السوفيتي لمدة طويلة . وبالطبع فإن الأميركيين روجوا كثيراً في إعلامهم لصالحه وظلوا طويلاً يتحدثون عنه ، حيث ما زلت أتذكر هذا الموضوع منذ مرحلة ما قبل الثورة .

وفي أجواء كهذه جاء غورباتشوف وأطلق شعاره المثير ، سوى أنه ارتكب أخطاءً لا أبغي الحديث عنها الآن ، وسوف يتضح بعضها في مطاوي هذا الخطاب . وخلال مدة قصيرة عمت الدعايات الغربية والعادات والمثل الغربية الاتحاد السوفيتي ، ومنها موديلات الملابس ، ومكدونالد ، وسوى ذلك من التقاليد التي كانت في الحقيقة بعضاً من الرموز الأميركية . ولا تحسبوا أن هذه أفكار لطالب حوزوي منعزل ، ففي تلك الأيام قرأت في المجالات الأميركية - كالتايم والنيوزيك - بأن انتشار مقاهي مكدونالد في موسكو يُذكر على أنه خبر مهم ويحلل على أنه طليعة ذبوع الثقافة الغربية والأميركية في الاتحاد السوفيتي !

لقد ظلت شعارات غورباتشوف في الذروة لمدة عام أو عامين ، ثم ما لبث أن ظهر بجواره شخص آخر يسمى يلتسين . وكان دور يلتسين دوراً مصيرياً ، حيث كان عليه التأكيد بإصرار بأن هذه الشعارات لا جدوى منها ، وأن هذه ليست سوى قفزة قصيرة ، وأن الوقت بات متأخراً ، وأن الإصلاحات لم يُكتب لها التقدم . ولو كان هناك شخص عاقل ومدبر في مكان غورباتشوف لاستطاع أن يروج لهذه الإصلاحات

لمدة عشرين عاماً - كما حدث في الصين - ، ولكن هذا المقدار سلب غورباتشوف أناته وتمهله ، وتفاقت الأمور لدرجة عزل غورباتشوف لمعاونيه يلتسين ، ولكن وسائل الإعلام الأميركية والغربية صعدت من دعمها له فضلاً عن عدم إقصائه .

وظلت وسائل الإعلام الغربية والأميركية لمدة عام أو أكثر تظهر يلتسين على أنه شخصية بارزة متنورة وإصلاحية مظلومة ومغضوب عليها . إلى أن حان وقت الانتخابات الرئاسية في روسيا ، وكما تعلمون فإن الجمهوريين نادوا بانتخابات مستقلة ، وهو ما لم يحدث ؛ فلقد كان أحد إنجازات غورباتشوف هو ضرورة إجراء الانتخابات ، حيث لم تجر انتخابات مطلقاً في الاتحاد السوفيتي بعد سقوط الحكم القيصري . وأما في الحقبة القيصريّة فقد كانت الانتخابات شبيهة بانتخابات عهد الشاه في إيران . حتى إن المشروطية عندهم تزامنت مع المشروطية في إيران ولكن بفارق عام واحد . ففي عهد الحكم القيصري كان المجلس الوطني (الدوما) مجلساً سورياً كمجلس الشورى الوطني عندنا في زمن النظام البهلوي . حتى إذا جاء الشيوعيون فقد انتهى كل شيء ، فلا مجلس ، ولا انتخابات ! والآن وبعد انقضاء ثلاثة وسبعين عاماً تقرر إجراء انتخابات رئاسية في روسيا ، وليس في كافة الاتحاد السوفيتي . فمن هو المرشح ؟ إنه السيد يلتسين ، وبحصول يلتسين - أي ذلك العنصر الإصلاحي - على غالبية الأصوات ، فإنه أصبح رئيساً للجمهورية .

ومن هنا تبدأ القصة الطريفة ؛ فمنذ أن تسلم يلتسين مقاليد الرئاسة في يونيو عام ١٩٩١م وحتى الإعلان الرسمي عن سقوط الاتحاد السوفيتي لم يستغرق الأمر سوى نحو سبعة أشهر ، أي أن كل تلك السنوات لم تكن سوى مقدمات للانهيـار . وقد حدثت بعض هذه

المقدمات على يدي غورباتشوف ، حتى إذا انتهى دوره ؛ اضطلع يلتسين بما تبقى منها ، فحقق المشروع الأميركي قفزته المرجوة لدى وصول يلتسين بما تبقى منها ، فبعد أخذ يلتسين بزمام الرئاسة في روسيا ، وبعد أن بات الرجل الثاني في الاتحاد السوفيتي ، فإن الإبداع تحقق على يديه . فبمجرد أن أصبح رئيساً في يوم ٢٤ / ٣ / ١٣٧٠ هـ . ش ، وبعد ذلك بثلاثة أيام ، أي في يوم ٢٦ / ٣ / ١٣٧٠ هـ . ش ، قام الرئيس الأميركي جورج بوش وأعلن أن جمهوريات منطقة البلطيق الثلاث - أي لتونيا واستونيا وليتوانيا - لا تتعلق بالاتحاد السوفيتي ، وأن عليه أن يمنحها الاستقلال ويعترف رسمياً باستقلالها ، وإلا فإن أميركا ستوقف مساعداتها التي كانت مقررة . وإنني لا أتذكر الآن هل كانت أميركا وعدت بهذه المساعدات في عهد رونالد ريغان أو في زمن بوش ، ولكنها كانت قد وعدت بها السيد غورباتشوف على كل حال ؟ ولم يكد يمضي سوى زمن يسير حتى أعلن يلتسين عن الاعتراف الرسمي باستقلال الجمهوريات الثلاث ! وبعد ذلك بشهرين ، ولكي يزداد تألق شخصية يلتسين ؛ فقد وقع الانقلاب المعروف في الاتحاد السوفيتي والذي كان يبدو غامضاً تماماً في ذلك الوقت . وعندئذ نشطت التلفزة الأميركية - سي إن إن وسواها - في موسكو ، وسلطت أضواءها على يلتسين ، حتى أن شبكة التلفزة عندنا ، وعندما كانت تبث التقرير المصور لشبكة سي إن إن ، فإننا شاهدنا يلتسين وهو يقطع الشوارع على دبابة ويطلق الشعارات بين الجماهير ويقول : كلا ، إننا لن نستسلم للانقلابيين ، ثم توجه إلى البرلمان ، ولكن الانقلابيين لم يمسوا يلتسين بسوء وهو الذي كان في متناول أيديهم عندما تحصن بالمجلس الوطني (الدوما) ولم يمسكوا به ، بل توجهوا إلى غورباتشوف الذي كان يقضي عطلته في

شبه جزيرة القرم ، واعتقلوه ! وظل يلتسين أيضاً يطلق التصريحات ويرفع الشعارات ! فأقاموا ضجة إعلامية في كل العالم ، ولكن دون أثر ملموس للحقيقة ، وظهر عدد من الدبابات وهي تتجول في شوارع موسكو ، ولكنها اختفت بعد ثلاثة أيام ، ثم ما لبثوا أن أعلنوا بأنهم قبضوا على المتمردين نياماً ، وانقشع غبار الانقلاب عن يلتسين وقد أصبح الرجل الأول بعد أن كان الرجل الثاني . وفي تلك الأيام قام وزير خارجيتنا بزيارة لجمهوريات آسيا الوسطى ، فسألته عن الأخبار لدى عودته ، فقال : إنه من الواضح أن رئيس الجمهورية هو يلتسين وليس غورباتشوف ، وكانت الأمور جلية على ما هي عليه أمام أنظار العالم . ثم أخذت الجمهوريات تطالب باستقلالها الواحدة تلو الأخرى ؛ فمثلاً زعمت أوكرانيا أنها تطالب بالاستقلال ، فعارض غورباتشوف ووافق يلتسين ، ثم ما لبث أن وافق غورباتشوف مرغماً بعد يومين أو ثلاثة ! وعلى هذا الأساس فإن تلك الخطة قد دبّرت ليجد غورباتشوف نفسه مضطراً للتقدم ورفع نفس هذه الشعارات حتى لا يتأخر عن الركب ، أو مرغماً على التبيعة بعد أيام قليلة ، حيث أن ضغوط الإعلام العالمي لم تكن تفسح مجالاً إلا لما يقوله يلتسين دون سواه . واستمرت الأمور على هذا المنوال منذ أواخر شهر يونيو ، فجاء اقتراح إقالة غورباتشوف من الأمانة العامة للحزب الذي تبعه اقتراح حلّ الحزب الشيوعي ، ثم الإعلان عن هزيمة الشيوعية - وهو ما أثلج صدور الأميركيين كثيراً - ، وأخيراً انتشرت إشاعة استقالة غورباتشوف . وفي مقابلة أجريت مع غورباتشوف في ذلك الوقت سُئِل : هل ستقدم استقالتك أم لا ؟ فأجاب : إنني بانتظار مجيء وزير الخارجية الأميركي إلى موسكو لأرى ماذا سيحدث ، ووصل وزير الخارجية الأميركي إلى موسكو ، لكنه التقى

يلتسين قبل الإتصال بغورباتشوف ، وذلك في الكرملين حيث تتم اللقاءات الرسمية ، مما يعني أن أمر غوباتشوف قد انتهى ، وبعد ذلك بثلاثة أيام قدّم غورباتشوف استقالته ، وجاء الإعلان عن انهيار الاتحاد السوفيتي ، وكان هذا هو مشروع أميركا الناجح في الاتحاد السوفيتي ، أي أنهم استطاعوا عن طريق خطة ذكية تماماً ، وبإنفاق بعض الأموال ، وتجنيب بعض العناصر ، وباستخدام وسائل الإعلام ، أن يسقطوا قوة كبرى ويقضوا عليها نهائياً في خلال ثلاث أو أربع سنوات تكلفت بالثمار المرجوة خلال ستة أو سبعة أشهر .

وبودي أن أقول لكم هنا بأن روسيا ، وبعد سقوط الاتحاد السوفيتي لم تتحول إلى برازيل ثانية كما كانوا يريدون ؛ فلقد كانوا يطمعون في تحويل روسيا لتصبح كالبرازيل ، أي دولة من دول العالم الثالث ذات كفاءة إنتاجية عالية ولكنها تعاني من الفقر الشديد وليس لها دور في السياسية العالمية . فهل هناك في العالم من يسمع بالبرازيل من حيث الموقف والرأي والحضور في الساحة الدولية ؟ لقد كانوا يريدون أن تصبح روسيا هكذا ، وهو ما لم يحدث ، فلماذا ؟ لأن في روسيا شعباً قوياً وعريقاً ومتماسكاً ، فضلاً عن التقدم الصناعي والنووي والعلمي والفكري وسوى ذلك من الإمكانيات المثيرة للاهتمام . وإن الذين انهمكوا في صياغة مثل هذه المشاريع كانوا يحلمون بأن يحدث مثل هذا الشيء في الجمهورية الإسلامية . إنهم يتصورون بأن الجمهورية الإسلامية ستصبح مثل روسيا اليوم إذا ما لاقت نفس المصير . كلا . ويفكرون بأن إيران ستعود إلى ما كانت عليه في العهد البهلوي ، أي في الدرجة العاشرة بعد تركيا ، وذلك لأنهم يعتقدون بأنه مادمن لا نمتلك الطاقة النووية ؛ فلن نحقق التقدم العلمي المطلوب ، علاوة على أن عدد

سكاننا لا يبلغ ثلاثمائة مليون ، ولسنا من طراز روسيا من حيث المساحة ، حيث مازالت من أكبر دول العالم حتى الآن .

نقاط الاختلاف بين الجمهورية الإسلامية في إيران والاتحاد السوفيتي ولكن ماهي الحقيقة الآن ؟ إن الحقيقة تجافي ما خططوا له بقدر ابتعاد السماء عن الأرض ، لقد ارتكبوا خطأ فاحشاً ، وإنني في الواقع أشعر بالمرارة من مقارنة السيد الخاتمي العزيز مع غورباتشوف - وهو السيد المؤمن سليل الشرفاء والعاشق للعلوم الدينية والمحب للإمام والذي هو مثلنا من طلبة العلوم الدينية - كما فعل الغربيون . فلقد عقدوا هذه المقارنة وقالوا بصراحة بأن شخصاً شبيهاً بغورباتشوف وصل إلى السلطة في إيران . ولا ننسى طبعاً أن البعض هنا في الداخل شعروا بالغبطة من ذلك ، وللأسف ، ولم يفهموا هذه الإهانة ، كما لم يدركوا ما تستتبعه من مؤامرة من حيث المبدأ ، إنه لا شأن بالمغرضين ولا بالذين يتابعون الأحداث ويعلمون بما يجري وماذا يريدون أن يفعلوا ، ولكن بعضاً من غير المغرضين أيضاً لم يفهموا ماذا يحدث ولا ما الذي يزمع عليه العدو .

فلنعد إلى نقاط الاختلاف : النقطة الأولى هي الفرق بين رئيس جمهوريتنا والسيد غورباتشوف ؛ لقد كان غورباتشوف متنوراً ، وربما لم يكن يؤمن كثيراً بأصول ومبادئ الشيوعية ، ولم يكن على وفاق أبداً مع هيكلية الاتحاد السوفيتي ، ولقد عبر هو بنفسه عن ذلك بأساليب مختلفة . وبالطبع فإنه لم يكن بمقدوره أن يعلن ذلك بصراحة كبيرة عندما أخذ بزمام الحكم ، إلا أنه كان يصرح بذلك بالقدر الميسور . وأما رئيس جمهوريتنا ، فالجمهورية الإسلامية هي دينه ومعتقد ، والإمام

هو مراده وأسوته ، وهو رجل دين . لقد كانوا يتحدثون في البداية من وحي خيالهم ، ومازال سياسيتوهم وأشرفهم يتحدثون بنفس ذلك الأسلوب ، ولكن بعضاً منهم ساوره الهلع في العامين الأخيرين ، وقالوا في وسائل إعلامهم : كلا ، إنه مثلهم ، وإنه واحد من هؤلاء الأصوليين ، وهذا هو الشيء الذي فهموه على حقيقته ، كما أن غورباتشوف لم يكن مؤمناً بأصول الماركسية ، وكان متولهاً بالغرب ، وكان يردد كلام الغربيين ولكن باللغة الروسية ، وإلا فشعاراته لم تكن تختلف عن شعاراتهم ، وكان من مريديهم ، وثمة أيضاً بعض الأشياء المنمقة جداً كالزيارات والوعود الكاذبة والفارغة ، وسوى ذلك مما لا مجال له في هذا الحديث والذي بوسعكم استنتاجه بأنفسكم .

وأما الفرق الثاني فهو أن الإسلام غير الماركسية ، فالشعب السوفيتي لم يكن على وفاق مع الشيوعية وإن كانت دين الحزب الشيوعي . وكان الحزب الشيوعي السوفيتي مؤلفاً من بضعة ملايين فقط ، ربما تصل إلى عشرة أو خمسة عشر مليوناً ، من أصل جميع السكان البالغ عددهم نحو ثلاثمائة مليون . كما كان أعضاء الحزب الشيوعي يتمتعون دائماً بامتيازات خاصة ، وهو ما يجعلنا نخمن بأن الحصول على هذه الامتيازات كان هو الهدف الأول لهؤلاء الأعضاء ، ولهذا لم تكن الشيوعية تمثل ديناً لهم . وأما الإسلام فهو دين شعبنا ومناه وإيمانه ، والإسلام هو الذي من أجله دفع هذا الشعب العظيم بأعزائه وأبنائه إلى ساحات القتال حتى إذا عادوا أجساداً مخضبة بالدماء ، فإنه لم يذرف عليهم الدموع ، بل توجه بالشكر إلى الله تعالى ! فهل رأيتم مثل هؤلاء الآباء والأمهات ؟! لقد شاهد كل واحد منا المئات من هذه الحالات ، حيث شاهدت أنا بنفسني الآلاف منها عن قرب . واليوم وعندما يأتي إلينا آباء وأمهات ضحوا

بأربعة شهداء من أبنائهم ، فإنهم حتى وإن اشتكوا من بعض المشاكل ، فإنهم يشعرون بالحبور والرضا للتضحية بأبنائهم في سبيل الإسلام ، إن هذا الشعب ذائب في الإسلام بكل وجوده ، فبعد خمسين عاماً من محاولات ضرب الدين اصطف منتظماً خلف إمامه العظيم ومرجعه الديني وأقام بعظمة هذا النظام الإسلامي . إن الإسلام هو ذلك الدين الذي إذا علا اسمه ورفرفت رايته في سماء إيران ؛ فإن المسلمين الواعين أحسّوا بهويتهم وشخصيتهم وكرامتهم حيثما كانوا في شتى أنحاء العالم . ثم جاء هؤلاء ليقارنوا بين الإسلام والماركسية . فالحمد لله الذي جعل أعداءنا من الحمقى .

وأما الفرق الثالث فهو أن النظام الإسلامي ليس نظاماً شيوعياً ، بل هو نظام إسلامي ويتمتع بالشباب والحيوية والمرونة والسعي الدؤوب والشعبية . لقد كنت أقول للسيد الخاتمي في ذلك اليوم : بأن أي نظام في العالم - حتى في الغرب الديمقراطي ، أو في أميركا ، أو في فرنسا ، أو في بلدان أخرى - لا يتمتع بالشعبية كما عندنا ، وذلك لأنه في الديمقراطيات الغربية يتوجه البعض إلى صناديق الاقتراع ، ثم يصوتون لصالح الشخص الذي رشحه الحزب مثلاً ، حتى إذا أدلى المواطن بصوته انتهى كل شيء ثم إن الذين تشملهم شروط التصويت يمثلون غالباً نسبة ٣٧٪ من مجموع المواطنين . فمثلاً لم يتجاوز هذا العدد ٣٧٪ في الانتخابات الأميركية الأخيرة . ولم يصل عدد المشاركين في الانتخابات إلى ستين أو سبعين بالمائة أبداً كما حدث هنا في انتخابات رئاسة الجمهورية أو انتخابات المجلس في دورته الخامسة أو السادسة . وبإختصار فإن كل الذين يشاركون في الانتخابات هناك يدلون بأصواتهم ثم يذهبون وانتهى الأمر . وأما هنا فالوضع يختلف ، حيث يحب الشعب المسؤولين

وتربط بينهم أو اصر عاطفية ، وليست علاقات انتخابية فحسب ، وعندما يتعرض أحد المسؤولين هنا للمرض فإن الجميع يرفعون أيديهم بالدعاء طلباً لشفائه كما لو كان أحد أبنائهم ، كما أنه إذا لوح أحد المسؤولين بالإشارة فإن الجماهير تتدافع إلى ميادين الأخطار مضحية بحياتها ، وهذا مما لا أثر له عند الديمقراطيات الغربية ، فما بالنظام البروليتاريا الدكتاتوري ؟ إنهم يصرحون بأنفسهم بأن الدكتاتورية أحد مبادئهم الضرورية ، أي عدم الانتخابات . فعلى طول أكثر من سبعين عاماً استغرقها النظام الشيوعي في الاتحاد السوفيتي وحتى الانتخابات الروسية الأخيرة لم تجر أية انتخابات مطلقاً ، بينما أجري عندنا واحد وعشرون انتخاباً خلال واحد وعشرين عاماً ، فهل ثمة مجال للمقارنة ؟ إن حياة ممثلي البروليتاريا هناك هي حياة القصور وبذخ الكرملين ، وأما هنا فإننا نجلس على بساط بكل فخر . كما أن المسؤولين هنا يسعون جاهدين بإعتزاز للاقترب من حياة الجماهير . وأما في النظام الشيوعي ، وعندما كان ستالين متربعا على أريكة الحكم ، فإنه لم يكن هناك علاج آخر إلا بموته ، فلقد ظل يحكم لمدة ثلاثين عاماً ، حتى إذا وافته المنية إثر حادث ، أو بدون حادث ، أو على أثر إدمان المشروبات الكحولية الروسية المعتقة ، جاء خلفه خورتشوف ، ثم بريجنيف الذي عاجلته المنية بعد ثمانية عشر أو تسعة عاماً ، فخلفه شخص آخر ! فهذا النظام يختلف عن نظام الجمهورية الإسلامية القائم على الانتخابات وصوت الشعب وتجرى فيه انتخابات برلمانية ورئاسية كل أربع سنوات .

وأما على مستوى القيادة فنظامنا أسمى درجة ورتبة ، لأن القيادة لدينا قيادة معنوية وتترتب عليها التزامات معنوية ، ولا يتوقع الخبراء أو الشعب من القائد أن تبدر عنه حتى زلة واحدة ، وإلا فيسكون قد عُزل

تلقائياً، كما أن كلامه لا يعد حجة لا بالنسبة له ولا بالنسبة للشعب. فهل يمكن مقارنة هذا النظام المرن والحيوي والفعال والمتطور بنظام مغلق ومرتمة وتتمثل فيه هشاشة الدكتاتورية البروليتارية؟!

النظام الإسلامي هو نظام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما وأود أن أبدي ملاحظة أخرى، وهي أن النظام الإسلامي هو نظام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب حتمي على الجميع، سوى أن مسؤوليتنا أنا وأنتم في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أكبر من الآخرين نظراً لما يقع على عاتقنا من واجبات ثقيلة. فينبغي علينا استخدام الأساليب والوسائل المناسبة، ولكن على أبناء الشعب أن يتحملوا أيضاً ما عليهم من مسؤوليات. وإن أداء واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يسقط بوضع مقالات في الصحف ولا تنتهي قيمته المؤثرة. فالنهوض والنضج والكمال والصالح كلها من متعلقات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهي التي تحافظ على النظام شاباً على الدوام. والآن فإن نظامنا البالغ من عمره واحداً وعشرين ربيعاً مازال شاباً، وحتى إذا قورن بالنظام الشيوعي الهزيل والعجوز والبالغ أكثر من سبعين خريفاً، فإنه سيبدو شاباً بطبيعة الحال. ولكن حتى إذا مرت مائة عام على وجود هذا النظام فسيظل واجب الأمر قائماً، واعلموا أن من واجبكم نهى أي شخص عن المنكر إذا رأيتم منه منكراً، وحينئذ يبقى هذا النظام الإسلامي أكثر رونقاً وطراوة وازدهاراً. ولا ينحصر المأمورون بالمعروف والمنهون عن المنكر في طبقة العوام فحسب، بل ربما كانوا من الخواص أيضاً، فعليكم بأمرهم بالمعروف، وإياكم أن تتوجهوا بالرجاء إلى شخص من

النخبة ، بل عليكم أن تنهوه قائلين : لا تفعل هذا الشيء أو لا تقل هذا الكلام فهو غير صحيح . فالحالة الاستعلائية لا بد من تمثيلها في الأمر والنهي ، ولا يعني هذا الاستعلاء بالضرورة أن يكون الأمر أو الناهي أرفع درجة من المأمور أو المنهي ، كلا ، فروح وقالب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تنأى عن الرجاء والخضوع والتضرع ، فلا يمكن أن يقال : أرجوك أن لا تفعل هذا الشيء ، بل يجب أن يقال : لا تفعل هذا الخطأ ، لماذا تخطئ؟ فالجميع مخاطبون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى لو كان الشخص أكثر أهمية مني ، وإن كنت لست سوى طالب حوزوي صغير .

وأما الخطأ التالي فيتعلق بنظرتهم إلى هذا البلد . إن إيران بلد منسجم ، حتى إنكم لو تحسستم مشاعر تلك الأجزاء التي انفصلت عن إيران في القرون السابقة فستجدونها تنبض بالرغبة في الانضمام إلينا «فكلّ يحنّ إلى أصله» ، وهؤلاء أيضاً يحنون إلى أصلهم . فأين إيران من الاتحاد السوفيتي ؟ لقد وصلوا عشرة أو أحد عشر بلداً بعضها بالبعض الآخر بدبوس - أو بمعنى آخر بالسوط - ثم جعلوا منها ما يسمى ببلد واحد ، ومن الواضح أنهم إذا رفعوا عنها السوط فستنفصل ، وقد انفصلت .

طبعاً ينبغي أن أقول هنا أيضاً : بأنهم يركزون على موضوع القوميات في إيران ، فالبعض يحاول نفي العامل الحقيقي للوحدة - أي الإسلام والدين - عن طريق إثارة النعرات القومية . إن الذين يتصورون أن اللغة الفارسية هي عامل الوحدة في هذا البلد ؛ لا يحبّون اللغة الفارسية كما أحبها أنا بالتأكيد ، ولم ولن يقدّموا لها واحداً بالمائة مما قدّمته . فاللغة الفارسية ليست عامل الوحدة الوطنية في إيران ، بل إنه الإسلام ، ذلك الدين الذي تجسّد في الثورة والنظام الإسلامي ، فكانت نتيجة ذلك أن المتحدث بالتركية يقول «آذربيجان أياختي ، إنقلابا دياختي» أي

«آذربيجان قائمة ، وللثورة داعمة» وهو ما يقوله الكردي بالكردية ، والبلوشي بالبلوشية ، والعربي بالعربية . ولكن البعض يحاولون التقليل من أهمية العامل القويّ للتأليف بين قلوب أبناء الشعب الإيراني ، وهو الإيمان بالإسلام . وهذا خطأ ، فالبلد والشعب منسجمان صحيح أن هذا الانسجام يعود إلى التاريخ والجغرافيا والعادات والتقاليد والثقافة ، ولكنّ مردّه أساساً إلى الدين وموضوع القيادة ، وهو ما أَلّف بين أجزاء هذا الشعب وجعل الجميع يشعرون بالوحدة والانسجام .

كما أن ثمة مسؤولية تقع على عاتق القيادة ، وهي الحفاظ على النظام والثورة . وأما إدارة شؤون البلاد فتقع على كاهلكم أنتم أيها السادة المسؤولون ؛ فكل منكم يدير البلاد من موقعه ، والواجب الأساس للقيادة هو مراقبة كل هذه المواقع حتى تظل مستناغمة مع النظام والإسلام والثورة . فإذا حدث نشاز جاء دور القائد . والقائد ليس شخصاً بعينه ، وليس طالباً حوزوياً يسمى علي الخامنئي أو ما أشبه من الكثيرين من أمثاله ، بل إنه عنوان وشخصية وحقيقة نابعة من إيمان وحب وعاطفة الشعب ، وهو كرامة وماء وجه . وإن للمئات من أمثال علي الخامنئي أن يضحوا بحياتهم وكرامتهم في سبيل هذه الحقيقة ، ولا أهمية لذلك . ودعوكم مني فأنا لست بشيء ، ولكن إمامنا العظيم - الذي كان بحق إماماً لأفئدة هذا الشعب - لم يخرج عن هذا المعنى . فلقد كان مستعداً لإراقة ماء وجهه حفاظاً على النظام وقيادة هذا النظام . وهذه حقيقة لها حضور ، ولن يستطيعوا تشويهها مهما قالوا ومهما فعلوا .

إن القيادة لم يكن لها هذا التجسيد في عصر الكبت ؛ فلقد كانت هناك قيادة تستأثر بقلوب الجماهير المتدينة ، إلا أنها لم تكن ذات تشخص وهوية خارج النطاق القانوني ، وكانت تتمثل في مراجع التقليد والعلماء

الكبار حيث ظهر تأثيرها لعدة مرات . ولهذا فإن تلك القيادة عندما كانت تحتج على معاهدة استعمارية فإنها كانت تُلقى ، وعندما كانت تستنكر حادثة غير مناسبة فإن جماهير الشعب كانت تندد أيضاً بهذه الحادثة . ففي حادثة ١٥ خرداد - وكما نقل - ضحّى الآلاف بحياتهم واستشهدوا على أيدي جلاوزة النظام البائد ، مع أن إمامنا العظيم لم يكن في ذلك الوقت قائداً بالمعنى القانوني للكلمة ، فلقد كان عالماً بارزاً ، وهذا ما لا يمكن تجاهله ، وهي ظاهرة لم تكن موجودة في الاتحاد السوفيتي ، وإلا لما حدث كل ذلك . فلو كانت موجودة لأخذت (هذه القيادة) بخناق يلتسين وأبعدته عن الساحة عندما شعرت بأنه دخل الميدان ليقفز نحو المستقبل بحركة مجنونة ومتعجلة ، ولكانت الجماهير قد التفت حولها ، وهو ما لم يكن موجوداً .

الإصلاحات حقيقة ضرورية ولازمة

إنني أعتقد بأن الإصلاحات حقيقة ضرورية ولازمة ، ولا بد من تحقيقها في بلادنا . ولكن الإصلاحات عندنا لا تأتي اضطراراً حتى يجد أحد الحكام نفسه مرغماً على القيام بإصلاحات فرعية تحت ضغوط المطالبات العنيفة ، كلا ، فالإصلاحات هي من ذات الهوية الثورية والدينية لنظامنا . وإذا لم تتحقق الإصلاحات بالتدرج ؛ فلسوف يؤدي ذلك إلى فساد النظام ووصوله إلى طريق مغلّق . إن الإصلاحات فريضة ، فما هي ميادين الإصلاحات ؟ هذا بحث آخر . ولكن الإصلاحات أمر ضروري من حيث المبدأ ، ولا بد من القيام بها . فعندما لا تجري الإصلاحات ستسفر الأمور عن نتائج كالتّي نعاني منها اليوم : كعدم التعادل في توزيع الثروات ، وتسلب الجشعين الأفضاظ على جوانب

النظام الاقتصادي في المجتمع ، وانتشار الفقر ، والمعيشة الضنكة القاسية ، وعدم الاستفادة من مصادر البلاد بالشكل الصحيح ، وهجرة العقول ، وعدم الاستفادة كما ينبغي من العقول الباقية . فعندما تكون هناك إصلاحات فإننا لن نتعرض لكل هذه الآفات والأضرار ، ولسوف نتلافى حدوث العشرات من أمثالها . فالنقطة الأولى إذن هي كون الإصلاحات أمراً ضرورياً ولازماً .

إعطاء تعريف واضح للإصلاحات

وأما النقطة الثانية ، فهي أنه لابد وأن يكون هناك تعريف للإصلاحات، أولاً لنا نحن الذين نريد القيام بالإصلاحات حيث ينبغي أن نعرف ونشخص ماذا نريد أن نفعل ، وثانياً للشعب الذي من حقه أن يعرف ماهو مقصودنا بالإصلاحات ؟ وذلك حتى لا يقوم كل واحد بتعريفها كما يحلو له ، لأن هذا من شأن مسؤولي الحكومة ، والجهاز القضائي ، والمجلس ، وسواهم . فلا بد من العثور على تعريف واضح للإصلاحات حتى تتضح الصورة والوضع الذي نريد الوصول إليه في نهاية الطريق أمام كافة أبناء الشعب والمسؤولين ويعرفوا غاية المسير . لقد كانت إشكالية السيد غورباتشوف أنه وضع أصبعه على الكثير من المساوئ والمشاكل ، ولكنه كان يفتقر إلى تصور واضح لما يجب القيام به ، وحتى لو كان يمتلك هذا التصور الواضح ، فإن شعبه كان مفتقراً إليه . وعلى هذا فإنه إذا لم نعرف الإصلاحات تعريفاً واضحاً ؛ فلسوف تكون الغلبة للنماذج المفروضة كما حدث في الاتحاد السوفيتي لأنهم لم يكونوا يدرون ماذا يفعلون ، فقلدوا بكل سذاجة الإصلاحات في نموذجها وقالبها الغربي واعتمدوا على ذلك . لقد شخّص إمامنا العظيم ،

بكل ما كان عليه من وعي هذا الضعف في التجربة السوفيتية ، وذكرهم بها في رسالته إلى غورباتشوف ؛ فكتب يقول : إنكم لو أردتم التغلب على المعضلات المحيرة في الاقتصاد الاشتراكي والشيوعي بالاعتماد على الرأسمالية الغربية ، فإنه لابد للآخرين من أن يأتوا لإصلاح أخطائكم أنتم فضلاً عن فشلكم في علاج أدواء مجتمعكم ، وذلك لأنه إذا كانت الشيوعية قد وصلت إلى طريق مغلق في أساليبها الاقتصادية والاجتماعية ؛ فإن العالم الغربي يعاني من نفس هذه المشكلة وسواها ولكن بشكل آخر . وهذا هو ما يجعلني أردد باستمرار بأن الإمام كان حكيماً حقيقياً . فلقد شخّص الإمام موضع الداء في خضم كل تلك الضجة الدعائية والإعلامية العالمية .

ولحسن الحظ فإن العديد من المسؤولين ، وفي مقدمتهم رئيس جمهوريتنا العزيز ، قالوا مراراً : بأن إصلاحاتنا هي إصلاحات إسلامية وثورية ، وإن الهدف هو الوصول إلى «مدينة النبي» . وهي تعريفات جيدة ، ولكن لابد من تعريفات أكثر دقة ووضوحاً . فهي جيدة لأنها تحبط مساعي التضليل الغربية والأجنبية وتبرز خطأ ما يدّعون . وهذا ما يدركه الجميع ، ولكن لابد من توضيح أكثر وتصوير أوضح .

وجود مركز مقتدر وحكيم يرشد الإصلاحات

والنقطة الثالثة هي أن الإصلاحات لابد وأن تسير وفق إرشادات مركز مقتدر وحكيم حتى لا تتعرض للانحراف ، فلو أردتم أن تنجزوا في عامين ما يمكن إنجازَه بدقة وعناية خلال عشر سنوات ، فإن الإصلاحات ستفتنق عن أضرار لا يمكن تعويضها ، وذلك كالسيارة التي تنطلق بسرعة بالغة على طريق شاق وخطر ، فإن العجب هو من عدم

تعرضها لحادث اصطدام أو إصابتها بخلل وإعطال . فلا بد من وجود مركز قوي وحكيم حتى يحول بين هذه الحركة وأن تتقدم بسرعة فائقة عن الحد اللازم والمفيد ، وحتى تسير الأمور بصورة متعادلة وصحيحة .

ففي الاتحاد السوفيتي عندما أقدموا على هذا العمل ؛ انفسح المجال أمام الأفلام والكتب والصحف والملابس والتقاليد الغربية ، أي أن تلك الإدعاءات كانت تجسد في الحقيقة مصاديق غربية بارزة ، وهذه الحالة كانت من الخطورة بمكان . وعليكم هنا بملاحظة دور وسائل الإعلام لأنها مسؤولة ولأن الصحف حساسة . ومن هنا ينبع الجزء الأكبر من حساسيتي إزاء الصحف . إن الحديث حول الصحف والصحافة ليس حديثاً عن الحرية ، فلا يحاول البعض أن يعرف لنا الحرية ، فلا مانع لدينا ، ولنستفد من ذلك ، ولكننا نعرف معنى الحرية ، وأفئدتنا تنبض لها بشدة . إن المراد من الحرية هو نفس حرية التعبير وحرية الفكر ، ولكن إذا أقدمتم على إغلاق محل أحد تجار التهريب طبقاً لما يقتضيه الواجب منكم ؛ فإنه لا ينبغي لهذا الشخص أن يقول لكم : بأنكم ضد حرية العمل والتكسب ، كلا ، فالموضوع لا يتعلق بالتكسب والعمل ، لأن العمل والتكسب مشروعان ، ولكن تجارة التهريب هي الممنوعة . فالحديث ليس حول حرية التعبير ، لأن حرية التعبير والفكر مكفولة ، ولكن الممنوع هو الإثارة والتضليل والتمويه ، ولا سيما في هذه الظروف الحساسة التي تمر بها بلادنا اليوم .

لقد قلت لبعض المسؤولين الإعلاميين عندنا مرات : إنه إذا أتى ذلك اليوم الذي تملكون فيه القدرة والاستعداد للوقوف بوجه هجمات العدو الإعلامية ، فإنني سأكون أول السباقين إلى تعدد المطبوعات والصحف والكتب والأفلام وما إلى ذلك ، ولكن أخبروني كم فيلماً أنتجتم في مقابل

عشرات الأفلام التي تعمل على زعزعة أركان الثقافة والعقيدة والدين والروح الثورية والتضحية والشهادة في نفوس أبناء هذا الشعب !
ومن هنا فإنني أشعر بالخطر . وبديهي فإن العمل الأساسي والبعيد الأمد هو أن نفكر في إنتاج كل ما هو جيد ، ولكن إلى أن ينزل هذا الجيد إلى الميدان فإنه ليس بمقدورنا تقبل هذا الفيضان الآسن حتى يغرق الشباب والأطفال ومختلف الفئات الشعبية في هذا البلد . إنهم يستخدمون الأساليب العدائية البغيضة والهدامة لمواجهة الفكر الثوري ، فإذا ما هب أحد في وجههم ؛ أتهموه مباشرة بما يريدون ، إن هذه ليست حرية ، وليس هذا تعقلاً أو حكمة ، وليس هذا هو الأسلوب الذي تدار به البلاد .
إنكم مسؤولون عن الإهتمام بدور وسائل الإعلام ، وهذا في غاية الأهمية . وإن الشعور بالحساسية إزاء وسائل الإعلام المكتوبة وتجاه الصحف - وخصوصاً في ظروفنا الراهنة - لمن الأمور الفائقة الأهمية .
وبهذا الشكل الذي وصفته لكم تتضح خطورة الدور الذي يمكن أن يلعبوه لصالح العدو . فينبغي أن تكون كافة الأجهزة وجميع الجبهات المتآلفة الموالية للنظام وكذلك مسؤولو السلطات المختلفة ومسؤولو المؤسسات العامة المتعددة خصماً لهم . بل يجب أن يكون الجميع خصماً لهم في هذه القضية وليس فقط الجهاز القضائي أو أحد علماء الدين .

المحافظة على هيكلية الدستور في مجال الإصلاحات

والنقطة الرابعة هي المحافظة على هيكلية الدستور في مجال الإصلاحات . إن دور الإسلام وكونه منبعاً ومنشأً للقوانين والأبنية والوظائف يتجلى في الدستور أكثر من أي شيء آخر . فلا بد من الحفاظ

بدقة على هيكلية الدستور . انظروا كيف يتعامل العدو مع دستورنا ، إنه ينفي بعضه ويثبت البعض الآخر ، ويتمسك به أحياناً ، وأحياناً أخرى يحمل عليه ، إن الدستور هو ميثاقنا الوطني والديني والثوري العظيم . وإن الإسلام - الذي يمثل كل شيء بالنسبة لنا - يتجسد ويتبلور في الدستور . وإن الأصل الرابع من الدستور يوضح كل شيء ، فلو كان في القوانين العادية - وحتى في الدستور نفسه - ما يتعارض مع الإسلام في مقام التنفيذ أو التشريع ، فإن هذا الأصل يكون حاكماً عليه ، أي حكومة بمعنى المصطلح الأصولي والعلمي السائد في الحوزات العلمية . وهذا هو ما لا حاجة لترديده لأن حاكميته واضحة بلا كلام ، ولكنهم صرحوا بهذه الحاكمية . وعلى هذا فلا بد من الحفاظ بدقة متناهية على هيكلية الدستور في حركة الإصلاحات .

مواجهة ما هو حاد ومتعجل في الإصلاحات

والنقطة الخامسة هي المواجهة بلا هوادة لكل ما هو حاد ومتعجل مما يمهد السبيل أمام الأعداء ، أي الطراز اليلتسيني . فعلى كل الأجهزة مواجهة الطراز اليلتسيني بشدة ، وألا تمنح الفرصة لكل من هو وصولي ومخدوع ومغرض وغافل ليحرّف المسيرة عن طريقها الصحيح حتى لا يسفر الموقف عن حالة من التنافس والتعارض .

المجابهة الجادة لتدخلات الأجانب

والنقطة السادسة هي المجابهة الجادة لتدخلات الأجانب والغربيين ، وعدم الإهتمام بايحاءاتهم ، وعدم حسن الظن بهم . وأما فيما يخص المواضيع الدبلوماسية والعلاقات الخارجية فهذا بحث آخر . ففي العمل الدبلوماسي يعطي المرء ، ويأخذ ، ويعقد الاتفاقيات ، ويقوم بكل شيء .

وأما في القضايا الأساسية للنظام فلا ينبغي أن تنظر بحسن ظن لايحاءاتهم ، على خلاف ما نشاهده في موقف غورباتشوف . إنهم يفتقرون تماماً إلى حسن النية ؛ فلقد وجدنا في حرب السنوات الثماني كيف أن كافة أوروبا ، من فرنسا إلى ألمانيا إلى إنجلترا إلى يوغوسلافيا السابقة إلى الكتلة الشرقية في ذلك الوقت قد قاموا جميعاً بمساعدة صدام . وبالطبع فإننا في العمل الدبلوماسي لا نقول لهم : بأننا سنقطع علاقاتنا معكم لأنكم ساعدتم صداماً . كلا ، فعالم الدبلوماسية عالم آخر . إننا موافقون على إزالة التوتر المطروح اليوم في سياستنا الخارجية ، فلا داعي لإثارة التوتر ، ولكن تجنب التوتر شيء والثقة في الغرب شيء آخر . كلا ، فنحن لا نثق به ، لأنه لا يثق بنا . وإن الذين يعملون في الحقل الدبلوماسي يدركون تماماً ما أقول ، فالساحة الدبلوماسية ميدان لحرب حقيقية ، ولكنها معركة قائمة خلف الموائد وسلاحها الابتسامة وتحية الصباح وتحية المساء ، فلا يجب أبداً أن تفهم العلاقات الدبلوماسية على أنها ثقة بالعدو ، إذ لا ينبغي الثقة بالأعداء .

تناغم الإصلاحات في المجالات المختلفة

والنقطة السابعة هي تناغم الإصلاحات في المجالات المختلفة ، وهذه نقطة مهمة . انظروا يا أعزائي ! إن الإصلاحات أمر معقد وشائك وبحاجة إلى تأني في بعض المجالات ، كما في المجال الاقتصادي مثلاً ، فإن الأمور تسير بأناة شديدة ، وكذلك عدالة التوزيع بالنسبة للعائدات ، فهذا أمر عسير جداً وليس باليسير . كما أن اجتثاث جذور الفقر وتغطية المناطق المحرومة تعد جزءاً من الإصلاحات أيضاً . وكذلك إصلاح النظام الإداري فإنه عمل في غاية الصعوبة والتعقيد والجسامة ، فلا بد أن يحدث

بأنأة وتمهّل . وأما في المجال المشابه لغلاسنوست السيد غورباتشوف فالأمر يختلف تماماً ، لأنه من الممكن منح ترخيصات لصدور عشرين صحيفة في يوم واحد ، وهذا مما لا تناغم فيه ، ولا تسير الأمور على هذه الصورة ، فلا بد لنا أن نتحرك بتناسق وبما يتناسب مع الميادين الشاقة خطوة بخطوة . ولهذا فإنني أشدد دائماً على أولوية موضوع المعيشة لأنه موضوع شاق . فلو استنفرتكم كافة ما تملكون من طاقات ، وعملتكم بكل إخلاص وحماس ورغبة ، وتحركتم بسرعة معيّنة ؛ فعليكم أن تتحركوا في بقية المجالات بنفس السرعة . فإذا لم تتحركوا التعادل والتناسق في هذه السرعة ؛ فإنكم ستواجهون الكثير من المتاعب الأساسية جداً ، فبعضها يمكن أن يكون بالحسبان ، والبعض الآخر لا يمكن ، وبعضها يمكن التكهّن به ، والبعض الآخر لا يمكن التكهّن به .

المواجهة الحاسمة لعناصر التجزئة القومية في البلاد

وأما النقطة الثامنة فهي المواجهة الحاسمة لعناصر التجزئة القومية في البلاد . وإنني أخطب المعنيين في هذا المجال بصفة خاصة ، سواء في وزارة الداخلية ، أو في الأماكن الأخرى . فاعلموا أن إثارة النزعات القومية باتت مطمحاً جاداً اليوم ، وهذا ما يلحظه المسؤولون المعنيون الذين يريدون متابعة الأحداث عندنا . إن كافة القوميات الإيرانية تعشق إيران والجمهورية الإسلامية وتعتبر إيران وطناً لها . إن انتمائي للمنطقة التركية شيء معروف ، كما عشت مدة طويلة في منطقة بلوشستان وتربطني أواصر حميمة بأهاليها ، كما كانت لي علاقة بعيدة وقريبة مع أهالي المناطق الأخرى ، ولديّ معلومات ليست بالقليلة عن أهالي المناطق التي لم أحظ باتصالات معها وأعرف روحهم المعنوية جيداً . فلقد قمت

بزيارات متعددة إلى تلك المناطق طوال حقبة مسؤولياتي المختلفة . إن القوميات الإيرانية قوميات مسلمة ، وتنبض أفئدتها بحب ماء وتراب هذا الوطن ، وتجد عزتها ورفاهيتها في إيران مجيدة وحرّة ، ولكن العدو لا يكف عن إثارة المشاعر ، فلا ينبغي التقليل من خطورة هذه الإشارات . واعلموا أن هذا الموضوع في غاية الأهمية ، ويبدو أن بعض الأيادي تحرك الخيوط حتى تفقد الحكومة سيطرتها على الأوضاع . فلو حدث مثل ذلك - لا قدر الله - فسنواجه العديد من المشاكل مما يقتضي الكثير من النفقات والطاقة والوقت ، مما يحول بين المسؤولين والقيام بواجباتهم الأساسية .

عهدي مع كافة المسؤولين هو عهد الدين والثورة
لقد انتهى حديثي ، ولكنني أريد أن أقول : أنني أدعم بشدة كافة المؤسسات القانونية في البلاد . والذي يهمننا بالنسبة للأفراد والشخصيات والمؤسسات هو الدفاع عن مواقعهم ومسؤولياتهم جميعاً ، ومد يد العون لهم ليؤدوا واجباتهم على أفضل وجه . كما أن رئيس الجمهورية ، ورئيس السلطة القضائية ، ورئيس مجلس الشورى الإسلامي ، والمؤسسات التي يديرونها ، وكذلك الأجهزة القانونية المختلفة كلهم سواء بالنسبة لي من هذه الجهة ، وإنني أعلن عن دعمي ومساندتي لمسؤوليتهم جميعاً . ولعل السبب في ذلك هو أنني أعرف كافة المسؤولين رفيعي المستوى عن قرب ، وألمح فيهم الإخلاص والتدين والالتزام . وبالطبع فإن هذا الدعم ليس دعماً مطلقاً ، فعهدي مع كافة الأخوة الأعزاء هو عهد الدين والثورة .

وكما أسلفت ، فإن الغاية والهوية والمسؤولية الأساسية للقائد هي

الدفاع عن مجموع النظام والحفاظ عليه . وإنني ليس لديّ ما أبذله من متاع سوى حياتي وماء وجهي ، وهو متاع زهيد أضحي به في هذا الطريق ، وإنني على استعداد تام لبذل هذين الشيئين . لقد أمضينا مرحلة الشباب - والتي هي فترة الإستمتاع بالحياة - في هذا السبيل ، وها نحن اليوم في مرحلة الشيخوخة . وإن الحياة لا تمثل لذة لي في مثل هذه السن ، فلذة الحياة لم تعد لذة اليوم . وإنه لا تعلق بالحياة في أواخر العمر وموسم انحطاطه وفي فصل ضعف القوى البدنية وسائر القوى البشرية الأخرى . فكل ما أملكه من متاع - أي الحياة والكرامة - رهن هذا السبيل ، ولست أملك ما لا والحمد لله .

وأما بالنسبة لهذه المسؤولية الراهنة فليست مما أهواه مطلقاً ، ولعل الكثيرين منكم لا يعرفون هذا ، ولكن الكثيرين من الحضور في هذا المكان على علم بذلك . إنني لا أهفو إلى مسؤوليتي الحالية مطلقاً ، إلا أن تكون أداءً للواجب . والآن ، وقد تحملت هذه المسؤولية ، فليس إلا قياماً بالواجب ، ولم يخرج الأمر من ذلك منذ اليوم الأول . ولقد واجه السادة في مجلس الخبراء مقاومتي وامتناعي ومخالفتي الشديدة والمتوالية منذ اليوم الأول لاختيارهم لي ، ولكن عندما آن أوان تحمل المسؤولية قلت : «خذها بقوة» . فليست ممن يبيدي وهنا إزاء ما يلقي على كاهلي من مسؤوليات ، كلا ، فهذا واجبي ، ولسوف أقوم بأداء هذا الواجب بفضل الله وهدايته وتوفيقه .

إن الآية التي تلوتها عليكم في بداية هذا الحديث تتعلق بإحدى غزوات الرسول ﷺ وهي ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم﴾ ، فكان جوابهم ﴿حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ .
وبالتأكيد فإن ﴿حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ لا يتأتى مع القعود والراحة .

فليس من المعقول أن نعقد أيدينا على صدورنا ، ولا نبذل جهداً ، ولا نقوم بحركة ، ولا نحمل أرواحنا على أكفنا ، ولا نريق ماء وجوهنا ، ثم نقول ﴿حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ ! وليس الله بكاف عبده إلا أن يجاهد في سبيله في ساحة النزال .. وإننا اليوم في ساحة للقتال حتى لو لم تكن معركة عسكرية ولا حرب حياة أو موت . ولأن المستكبرين في العالم يعادون الإسلام والنظام الإسلامي بضراوة ، فكل إجراء جيد نقوم به ، وكل قانون جيد نشرعه ، وكل تطبيق جيد نقدم عليه ، وكل حكم جيد نصدره ، وكل حركة جيدة تبدر منا ، وكل عمل تكون غايته تقوية هذا النظام وتقوية الإسلام ، فإننا في الواقع نكون قد وجهنا ضربة للعدو ، وعندئذ نقول ﴿حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ . ويكون الجواب الإلهي ﴿فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم﴾ . ولحسن الحظ فإن لدينا أدياناً مختلفة تتعايش في بلادنا ، فاليهود ، والمسيحيون ، والزردهشتيون ، يعيشون معاً بجوار الإسلام وفي ظل النظام الإسلامي ، وهم متعاونون ومتعايشون معنا ، ويقوم كل منهم بدوره . وطبعاً فإن عليهم واجبات ، كما أن على الحكومة الإسلامية أيضاً واجبات إزاءهم بصفتهم مواطنين إيرانيين ، فعليهم بالقيام بهذه الواجبات ، وأن لا يتقاعسوا عن أدائها . إنه لا توجد لدينا أية شكوى من مواطنينا من الأقليات الدينية . وإنكم تلاحظون أن اليهود الإيرانيين يصدرن البيانات عندما تأخذ دعايات الأعداء شكلاً حاداً ضد الجمهورية الإسلامية .

وكذلك الأرامنة مع الطوائف المسيحية الأخرى فإنهم أصدروا بياناً عبّروا فيه عن دعمهم للجمهورية الإسلامية في إحدى القضايا ، وهذا يعدّ من مفاخر الجمهورية الإسلامية .

ولاية الله

✽ الشيخ محمد مهدي الرضوي

﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات﴾^(١).



ولاية الله

(الولي) وصف لله تعالى تجاه عباده ، ووصف للعباد تجاه الله فهو من الأوصاف المشتركة المتقابلة .

في الجانب الأول يقول تعالى : ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا﴾^(٢).

ويقول تعالى : ﴿أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين﴾^(٣).

وعن ولاية العباد لله تعالى يقول تعالى : ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم

ولا هم يحزنون﴾^(٤).

(١) البقرة : ٢٥٧ .

(٢) المائدة : ٥٥ .

(٣) الاعراف : ٥٥ .

(٤) يونس : ٦٢ .

وولاية الله تأتي بمعنيين :

الولاية بمعنى الحكم والأمر والسيادة .

يقول تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ .

والولاية بمعنى التدبير والرعاية .

يقول تعالى : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ .

ونحن نقصد بـ (ولاية الله) في هذه المقالة ... هذا المعنى الأخير .

ولا بد من توضيح لهذه النقطة .

خلق الله تعالى الناس ووهبهم العقل والمعرفة ليؤمن لهم معاشهم ومعادهم ووهبهم العصم التي تعصمهم من الذنوب ، والحب والعاطفة الذي يؤلف بينهم وحب الأزواج والبنين الذي يجمع شملهم وألهمهم الصدق والعدل والحق ، وغرس في نفوسهم الفطرة التي يعرفون بها الهدى عن الضلال ورزقهم الغيرة والغضب والألفة والارادة والعزم والشجاعة ورزقهم كل ما يحتاجون إليه في حياتهم الفردية والاجتماعية وفي دنياهم وآخرتهم ورزقهم من الطيبات من كنوز الأرض في البر والبحر ما يغنيهم ويكفيهم وحملهم في البر والبحر ... وكل ما يحتاجه الإنسان من رزق ، وطعام ، وشراب ، ولبس ، وإيواء ، وسكن ، وعلاج ، وطب ، وعلمهم ما لا يعلمون ، ورزقهم غير ذلك مما يحتاجون إليه وهو كثير كثير .

ولكن مع ذلك لم يكلمهم الله تعالى إلى أنفسهم ، وإنما تولاهم برعايته وتأييده وتسديده بصورة دائمة ، ولولا أن الله تعالى يتولى الإنسان في حياته الاجتماعية والفردية بالرعاية والتدبير والتوفيق والتسديد لسقط الإنسان واختلت حياته ، فما أكثر ما يصل الإنسان إلى حافة السقوط والهلاك ، سواء في حياته الفردية أو الاجتماعية ، ولكن الله تعالى يدركه

في اللحظة المناسبة ويتولاه برعايته وفضله بالتدبير والتسديد والإنقاذ والخلص ... وقد عاصرنا نحن في كل التقادير حربين كونيتين وصل الإنسان فيه إلى حافة السقوط والهلاك لولاه تدركه رحمة الله ، وتنقذه ، وتسلمه .

وما يقال في الحياة الإجتماعية يقال في الحياة الفردية . وكل واحد منا قد مرَّ بأمثال هذه الحوادث في حياته ، ولمس فيها رعاية الله تعالى وتدبيره وتسديده وتوفيقه وانقاذه له ، لو أمعن النظر في ذلك .

وهذه الحالات الكثيرة من التدبير والرعاية الالهية لعباده في الغرائب والشدائد والتوفيق والتسديد الالهي هي ما نقصده من الولاية الالهية العامة والخاصة ، في حياة الناس عامة ، وفي حياة المؤمنين خاصة . وهذه (الولاية) هي أمر وراء ما رزق الله تعالى الناس بالخلق والتكوين .

فان الله تعالى هو الخالق المدبّر ، يخلق الخلق ويرزقهم ما يحتاجون ثم لا يكلهم إلى أنفسهم ، وإنما يواصل تدبيرهم ورعايتهم بعد ذلك ... وهي الولاية الالهية .

بعكس النظرية اليهودية إلى تقرر أن الله تعالى خلق الخلق وأعطاهم ما يحتاجون ثم أكلهم إلى أنفسهم وتركهم لشأنهم ، وهي المقولة اليهودية المعروفة التي يشجبها القرآن : ﴿ قَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ .

الولاية العامة لله :

ولله تعالى ولايتان على عباده :

ولاية عامة تعم الناس جميعاً ، وولاية خاصة يخص بها الله تعالى

الصالحين من عباده .

وولاية الله تعالى العامة تعمّ الناس المؤمنين وغير المؤمنين والصالحين والفاسقين ، يعمّهم الله تعالى بالرحمة والرزق والفضل ، يطعمهم إذا جاعوا ، ويشفيهم إذا مرضوا ، ويرزقهم الأمن إذا خافوا ، ويدفع عنهم البلاء كلما روّعهم البلاء ، ويغنيهم إذا افتقروا ، ويعلمهم ويفتح عليهم أبواب العلم إذا جهلوا ، ويسرّ لهم الأمور إذا تعسّرت عليهم الأمور ويعيد إلى قلوبهم الأمل إذا يئسوا ، ويلقي في قلوب بعضهم الرحمة للبعض ، وحب التعاون ، لتنظم أمور حياتهم .

وكم من خطر يدفعه الله تعالى عن حياة الناس برّهم وفاجرهم ، وكم من رزق يرزق الله عباده ، وكم من أزمة يفرّجها الله عن عباده من غير طلب ولا سؤال من الناس ، ومن غير شكر أيضاً ، بل من غير معرفة بالله ؟ .

وقد ورد في دعاء شهر رجب : «يا من يعطي من سأله يا من يعطي من لم يسأله ومن لم يعرفه تحنناً منه ورحمة» .

وهذه الولاية العامة لله تعالى يتمتّع بها كل الناس وليس بإمكان الإنسان أن يعيش ويقاوم ابتلاءات الدنيا ومشاكلها وينتظم حياته لولاها ... ويعيشها الإنسان في كل يوم بل لا تفارقه في أية لحظة ، ومع ذلك فلا يشكرها الإنسان ، بل لا يعرفها ، فإذا مات ورجع إلى الله عرفها عند ذلك ﴿وردوا إلى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾^(١) .

عندئذ يعرف الله ويعرف رعاية الله ، وتديره له في حياته ولكن بعد فوات الأوان ، عندما تتجلي حجب الغفلة عن عينيه . ﴿فكشفنا عنك غطائك فبصرك اليوم جديد﴾^(٢) .

(١) يونس : ٣٠ .

(٢) ق : ٢٢ .

الولاية الخاصة :

وعدا الولاية العامة التي تعم الناس جميعاً بالتدبير والرعاية والتسديد والتيسير ... هناك ولاية أخرى يخصّ الله تعالى بها المؤمنين الصالحين من عباده ، يفرّج عنهم الكربات ، ويسرّ لهم أمورهم ، ويفتح لهم مغاليق الأمور ويهديهم صراطه المستقيم ، ويمنع عنهم شياطين الجن والإنس ، ويخصهم من رعايته وفضله وكرمه بما لم يعرفها غيرهم من الناس .

يقول تعالى : ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ﴾ ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً ﴿^(١) . وهذه ولاية خاصة بالمؤمنين لا ينالها غيرهم .

يقول تعالى : ﴿ الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات ﴾^(٢) .

هذه الولاية خاصة بالذين آمنوا ﴿ الله ولي الذين آمنوا ﴾ .

وهذه الولاية : ﴿ يخرجهم من الظلمات إلى النور ﴾ .

ولاجتماع المؤمن من منزلة ورعاية خاصة عند الله تعالى والله عز شأنه يمنح اجتماع المؤمن من رعايته وفضله ما لم يعرفه غيرهم .

شواهد من الولاية الخاصة في القرآن :

وفي القرآن الكريم نلتقي شواهد كثيرة على ولاية الله تعالى ورعايته لعباده المؤمنين في البأساء والضراء ، وفي نوائب الحياة وشدائدها يقول تعالى مخاطباً رسوله ﷺ عندما رمى الكفار في معركة بدر بحفنة

(١) الطلاق : ٢ - ٣ .

(٢) البقرة : ٢٥٧ .

من التراب ، وقال ﷺ : شأته الوجوه ، فما بقي أحد من المشركين إلا ودخل التراب في عينه ... يقول تعالى لرسوله ﷺ في ذلك : ﴿ فَمَا تَقْتَلوهُم وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ (١) .

فقد كانت هذه الرمية بتسديد من الله ، وهو الرامي في الحقيقة ، وإن كانت بيد رسول الله ﷺ .

وتذكر سورة (الأنفال) المسلمين بطائفة من الشواهد على تأييد الله تعالى وإسناده لهم في معركتهم مع المشركين .

﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ * وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا بَشْرًا ولَقَدْ ظَنَّنْ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢) .

﴿ إِذْ يَغْشِيكُمْ اللَّهُ أَنُةً مِنْهُ وَيَنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رَجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ * إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ (٣) .

يذكرهم الله بما سبق من رحمته وفضله وإمداده لهم في ساحة المعركة إذ مدَّهم بألف من الملائكة مردفين في ساحة المعركة ، ليثبتوا قلوب الذين آمنوا ، ويطمئنوهم ، ويبشروهم بالنصر .

ويذكرهم بما ألقى عليهم من النعاس قبل المعركة ، وكان لذلك النعاس الخفيف الذي غلبهم قبيل المعركة دور في إزالة القلق والارتباك عن قلوبهم وإدخال الأمن والاطمئنان إلى نصر الله تعالى في نفوسهم . ويذكرهم الله تعالى بما أنزل عليهم من المطر قبيل المعركة ليطهرهم

(١) الأنفال : ١٧ .

(٢) الأنفال : ٩ - ١٠ .

(٣) الأنفال : ١١ - ١٢ .

من خبث الجنابة ويزيل عنهم رجز الشيطان ، وقد كان المطر سبباً في تلييد الأرض التي كان عليها المسلمون ، فقد كانت أرضاً رملية فتلبدت بالمطر بينما كانت الأرض عليها المشركون أرضاً طينية فتطيتوا وتطينت دوابهم وأصبحت الأرض من تحتهم زلقة : ﴿وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام﴾ .

ويذكرهم الله بما ألقى في نفوس المشركين من الرعب ، ودور الملائكة في ضرب الأعناق والبنان في ساحة المعركة ، ويذكرهم الله تعالى بما كان من تأييده تعالى لهم ونصره إياهم ويذكرهم بما رزقهم من الطيبات ، بعد أن كانوا يخافون أن يتخطفهم الناس من حولهم .
﴿وانذكروا إذا أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فأواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون﴾ (١) .

وفي سورة البقرة يذكر الله تعالى بني إسرائيل بطائفة كبيرة من الشواهد على رعايته تعالى لهم وتأييده إياهم ونصره لهم على أعدائهم وورقه لهم .

﴿وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذالكم بلاء من ربكم عظيم ﴾ * ﴿وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون﴾ (٢) .

﴿وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المنّ والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ (٣) .

﴿وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض

(١) الأنفال : ٢٦ .

(٢) البقرة : ٤٩ - ٥٠ .

(٣) البقرة : ٥٧ .

مفسدين ﴿١﴾.

وكثيرة الآيات التي تشير في القرآن إلى تأييد الله تعالى ودعمه ونصره لعباده المؤمنين .

يقول تعالى : ﴿بل الله مولاكم وهو خير الناصرين﴾ (٢).

﴿ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾ (٣).

﴿إننا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا﴾ (٤).

﴿وان تولوا فاعلموا ان الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير﴾ (٥).

﴿وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً﴾ (٦).

وعى ولاية الله :

وليس كل أحد يعى ولاية الله ، وأكثر الناس ينعمون برعاية الله ونصره ، ورزقه ، وتأييده لهم ، وتسديده إياهم ، دون أن يعرفوا ذلك لله ، ودون أن يشكروا الله عليه .

وقليل من الناس من يعرف ولاية الله وهم أصحاب البصائر من المؤمنين ، وأعز بشيء في نعم الله البصيرة ، فإذا رزق الإنسان البصيرة؛ لمس يد الله تعالى في كل جزء من حياته ، ولمس رحمة الله وتسديده إياه في كل منعطفات حياته ، ولم يفقد رعاية الله وتدبيره وتوفيقه حيث يحتاجها .

والذين آتاهم الله البصيرة والمعرفة يعرفون يد الله تعالى ورعايته

(١) البقرة : ٦٠ .

(٢) آل عمران : ١٥٠ .

(٣) الحج : ٤٠ .

(٤) غافر : ٥١ .

(٥) الأنفال : ٤٠ .

(٦) النساء : ٤٥ .

لهم وعطفه عليهم في أحلك الظروف وفي ظروف البأساء والضراء .
وقد يدخل الإنسان أزمة شديدة وضيقاً شديداً في حياته الفردية أو الاجتماعية ، فحسب أن الله تعالى قد أوكله إلى نفسه ، ونسيه ، وحاشاه ، وإنما يرى ما لا نراه من صلاح عبده .

ويحتاج الإنسان إلى درجة عالية من الوعي والمعرفة حتى يعلم أن اليد التي تعصر قلبه في المحن والشدائد يد أرحم الراحمين .
يقول تعالى : ﴿ وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ﴾ (١) .
﴿ فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً ﴾ (٢) .

مفاتيح تحصيل ولاية الله :
ويكسب الإنسان ولاية الله تعالى بالايمان ، والصلاح والتقوى وهذه الثلاثة هي مفاتيح ولاية الله .
وكل من هذه الثلاثة يكسب الإنسان رعاية الله ورحمته وتسديده وتأييده وحفظه وستره .
يقول تعالى عن ولايته للمؤمنين : ﴿ ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم ﴾ (٣) .
وعن ولاية الله للصالحين يقول تعالى : ﴿ ان ولي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ﴾ (٤) .
وعن ولاية الله للعاملين يقول تعالى : ﴿ لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون ﴾ (٥) .

(١) البقرة : ٢١٦ .

(٢) النساء : ١٩ .

(٣) محمد : ١١ .

(٤) الأعراف : ١٩٦ .

(٥) الأنعام : ١٢٧ .

وعن ولاية الله للمتقين يقول تعالى : ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ .

وهذه الرعاية والتدبير خاص بالمتقين ، كما أن الله يبصر المتقين بخطر الشيطان وينذرهم ويذكرهم لئلا يقعوا في شرك الشيطان .
﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾ .

رعاية الله تعالى ليوسف الصديق :

وفي قصة يوسف بعد أن أعز الله تعالى يوسف الصديق ، ونجّاه من نوائب الدهر وكيد اخوته قال له اخوته : ﴿أنتك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ (١) .

وقد نال يوسف الصديق ﷺ هذه الرعاية والتأييد بالتقوى والصبر
﴿إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ .

ولاية الله ورعايته لفتية الكهف :

وفي قصة الفتية من أصحاب الكهف ، يحدثنا القرآن بثلاثة أنماط من رعاية الله تعالى وتأييده وتسديده ورزقه لهم :

الرزق الأول : عندما آمنوا بالله وتجاوزوا سلطان الارهاب الذي فرضه عليهم الطاغوت في القصر فلما آمنوا بالله : زادهم الله ايماناً وهدى .

يقول تعالى : ﴿إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى﴾ (٢) .

والرزق الثاني : لما قاموا ونهضوا في اجواء القصر برسالة الايمان ،

(١) يوسف : ٩٠ .

(٢) الكهف : ١٣ .

وأعلنوا الايمان ، ودعوا أبناء القصر إلى الايمان بالله ، رزقهم الله رباطة الجأش ، وسكون القلب ، وشد على قلوبهم ، فلم يرهبهم الطاغية ببطشه وسطوته .

يقول تعالى : ﴿ وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السماوات والأرض لن ندعوا من دونه الها لقد قلنا إذا شططا ﴾ (١) .

وليس من شك أن هذه الخطوة في الإعلان عن الدعوة إلى توحيد الله ، يحتاج إلى جرأة وشجاعة ورباط الجأش ، ولكن الله تعالى عندما عرف منهم صدق النية والاحترام لم يكلهم إلى أنفسهم ، وإنما ربط على قلوبهم ، ورزقهم قوة في القلب ، ورباطاً في الجأش ، وسكينة في النفس ﴿ وربطنا على قلوبهم إذ قاموا ... ﴾ .

الرزق الثالث : كان بعد أن اعتزلوا قومهم وقاطعوهم وآواهم الله إلى الكهف وضرب على آذانهم سنين عددا ونشر لهم ربهم من رحمته ، وهياً لهم من أمرهم مرفقا يقول تعالى : ﴿ وإذا اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فاووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا ﴾ (٢) .

ولولا أنهم آمنوا لم يجدوا من عند الله هذه الزيادة في الهدى ، ولولا أنهم قاموا ونهضوا برسالة التوحيد في القصر لم يجدوا من عند الله هذا الربط على القلب .

ولولا أنهم اعتزلوا قومهم لم يجدوا من عند الله الايواء إلى الكهف ، ولم يجدوا هذه الرحمة التي نشرها الله عليهم وهذا المرفق الذي هيأه الله لهم .

وهم لم يؤمنوا ، ولم يقوموا بدعوة التوحيد ، ولم يعتزلوا قومهم بحول منهم وقوة منهم ، ولكن بما آتاهم الله من الحول والقوة والوعي

(١) الكهف : ١٤ .

(٢) الكهف : ١٦ .

والمعرفة في أصل الخلق .
 فلما آمنوا زادهم الله هدى .
 ولما قاموا ربط الله على قلوبهم .
 ولما اعتزلوا قومهم آوهم الله في الكهف ونشر لهم من رحمته ، وهذه
 هي رعاية الله تعالى وتوفيقه وتأييده للصالحين من عباده ، ووعده لهم
 بالتوفيق والتأييد : ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع
 المحسنين ﴾ (١) .

العلاقة المتبادلة بين ولاية العبد لله وولاية الله على عباده :
 الولاية ، كما ذكرنا من الألفاظ المتقابلة في اللغة العربية ، يطلق على
 علاقة الله بعبده ، وعلى علاقة العبد بالله .
 يقول تعالى في علاقة الله بعباده : ﴿ الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من
 الظلمات إلى النور ﴾ (٢) .
 وعن علاقة العباد بالله ، يقول تعالى : ﴿ إلا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا
 هم يحزنون ﴾ (٣) .
 وهذه العلاقة المتبادلة تجري في الايجاب والسلب معاً ففي الايجاب ،
 يقول تعالى : ﴿ ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم
 الغالبون ﴾ (٤) .

والعلاقة بين الولايتين واضحة .
 فإن من يتولى الله ورسوله والمؤمنين فهو من حزب الله .

(١) العنكبوت : ٦٩ .

(٢) البقرة : ٢٥٧ .

(٣) يونس : ٦٢ .

(٤) المائدة : ٥٦ .

وحزب الله هم أولياء الله ، ينصرهم الله تعالى وهم الغالبون .
وفي الجانب السلبي كذلك تجري العلاقة التبادلية فمن يعادي الله
يعاديه الله ، ويسلب ولايته عنه ، ومن يعرض عن ولاية الله يعرض الله
تعالى عنه . يقول تعالى : ﴿ ومن يتولَّ يعذبه عذاباً أليماً ﴾ (١) .
يعني من يتولَّى عن الله يسلب الله عنه ولايته ويعذبه عذاباً أليماً ،
ويقول تعالى : ﴿ ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون ﴾ (٢) .
من يتول منكم عن الله فأولئك هم الظالمون .
وهذه هي العلاقة المعروفة بالعلاقة الجدلية أو (الدور المعي) ، وهي
من رقائق الثقافة القرآنية .
وقد ورد نظيرها في مواضع متعددة من القرآن من العلاقة بين الله
تعالى وعباده في الجانب الايجابي والجانب السلبي معاً .
ففي الجانب الايجابي يقول تعالى : ﴿ فاذكروني أذكركم ﴾ (٣) .
﴿ رضي الله عنهم ورضوا عنه ﴾ (٤) .
وفي الجانب السلبي يقول تعالى : ﴿ ويمكرون ويمكر الله والله خير
الماكرين ﴾ (٥) .
﴿ ومكروا مكراً ومكرنا مكراً ﴾ (٦) .
وهذه العلاقة التبادلية تجري بين التقوى وولاية الله ، فإن الله ولي
المتقين .

(١) الفتح : ١٧ .

(٢) الممتحنة : ٩ .

(٣) البقرة : ١٥٢ .

(٤) المائدة : ١١٩ .

(٥) الأنفال : ٣٠ .

(٦) النمل : ٥٠ .

يقول تعالى : ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ (١) والمخرج من الأزمان والرزق من حيث لا يحتسب الإنسان من مصاديق ولاية الله .

وهذا أحد طرفي العلاقة .
والطرف الآخر للعلاقة علاقة المتقين بالله ، فإن المتقين أولياء الله ، يقول تعالى : ﴿إن أولياؤه إلا المتقون﴾ .

آثار ونتائج ولاية الله في النفس :

إذا عرف العبد أن الله تعالى مولاه ؛ يتولاه بالرعاية ، ويرعاه ، ويسدده ، ويدبر أموره ، ولا يريد به إلا الخير ، ولا يغيب العبد عن عين الله وسمعه ، وهو تعالى حاضر ، يسمعه ويراه في الشدة والضراء ، وأن ما يصيبه من الشدة فقضاء من الله وقدره ، والله أرحم الراحمين بعباده ... ﴿قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا﴾ (٢) .

عندئذ يسكن العبد ويطمئن إلى قضاء الله وقدره ، ويقنع بما رزقه الله ، ويصبر في الشدة والضراء والبأساء ، ولا يفقد توازنه ، واستقراره ، وسكونه النفسي في الشدة والبلاء .

ويقول أمير المؤمنين (عليه السلام) عن أولياء الله : «في الزلازل وقور» .

ويقول (عليه السلام) : «نزلت أنفسهم منهم في البلاء كالتي نزلت في الرخاء» .

وقد ورد في الدعاء في الزيارة المعروفة بـ (أمين الله) : «واجعل نفسي مطمئنة بقدرك ، راضية بقضائك .. صابرة عند نزول بلائك» .

وهؤلاء يتوكلون على الله في أمورهم ، ويتقون بتدبير الله تعالى لهم ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ .

(١) الطلاق : ٢ .

(٢) التوبة : ٥١ .

ويفوضون أمورهم إلى الله ﴿ وافوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد ﴾ .
وليس معنى التوكل والتفويض ، الإهمال ، بل الحزم والعمل جهد
الامكان ، وتفويض النتائج إلى الله .

آثار ونتائج ولاية الله في حياة الإنسان :

ورد في الحديث القدسي عن رسول الله ﷺ قال : « قال الله : ما تحب إلي
عبي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ، وإنه ليتحب إلي بالنافلة ، حتى أحبه ، فإذا
أحبته كنت سمعه الذي يسمع به ، ورجله التي يمشي بها . إذا دعاني أحبته ، وإذا
سألني أعطيته وما ترددت في شيء أنا فاعله كترددي في موت المؤمن يكره الموت
وأنا أكره مساءته » (١) .

وورد نفس المضمون في رواية أخرى عن رسول الله ﷺ عن
جبرئيل عليه السلام قال : قال الله تبارك وتعالى : « من أهان لي ولياً فقد بارزني
بالمحاربة ، وما ترددت في شيء أنا فاعله ما ترددت في قبض نفس المؤمن ، يكره
الموت ، وأكره مساءته ، ولا بد له منه ، وما يتقرب إلي عبي بمثل أداء ما افترضت عليه .
ولا يزال عبي ينتهل إلي حتى أحبه ، ومن أحبته كنت له سمعاً وبصراً ويداً وموثلاً .
إن دعاني أحبته ، وإن سألني أعطيته ، وإن من عبادي المؤمنين لمن يريد الباب من
العبادة فأكفّه عنه لئلا يدخله العجب ، ويفسده ، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح
إيمانه إلا بالغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك ، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه
إلا بالسقم ، ولو صححت جسمه لأفسده ذلك ، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح
إيمانه إلا بالصحة ، ولو أسقمته لأفسده ذلك ... إني أدبر عبادي بعلى بقلوبهم فأني
عليم خبير » (٢) .

(١) بحار الأنوار ٧٠ : ٢٢ عن المحاسن للبرقي : ٢٩١ .

(٢) بحار الأنوار ٧٠ - ١٦ - ١٧ عن علل الشرائع ، وروي هذا الحديث الحر العاملي في الجواهر
السنية : ١٢٠ - ١٢١ .

نظرية الإمامة ضرورة الإمامة

✽ السيد محمد باقر الحكيم

موضوع البحث

أهل البيت عليه السلام - كما نعرف - كان دورهم الأساس هو الإمامة وامتداداً للرسالة الإلهية الخاتمة ، وكان وجودهم تعبيراً عن امتداد هذه الرسالة في خط الإمامة ، هذا هو العنوان العام في دور أهل البيت عليه السلام ، ولكن هذا العنوان العام قد يعتريه شيء من الغموض ، مما نحتاج فيه إلى هذا البحث ، وهذا الغموض هو أن المتبادر إلى الأذهان دائماً أن الإمامة هي : عبارة عن (الخلافة) المتمثلة بولاية الأمر وقيادة التجربة الإسلامية والحكم الإسلامي ، ومن ثم فقد يأتي هذا السؤال إذا كانت الإمامة هي عبارة عن الخلافة والولاية والحكم ، فأهل البيت عليه السلام قد حرموا من هذه الخلافة كما نعرف ، باستثناء فترات محدودة وقصيرة جداً في التاريخ الإسلامي ، وهي فترة أمير المؤمنين عليه السلام وخلافة الإمام



الحسن عليه السلام وهي مدة قصيرة جداً ، وإن كنا ننتظر الخلافة المطلقة لهم التي يقوم بأعبائها إمامنا وسيدنا الحجة بن الحسن (عج) ، وبإستثناء ذلك فإن هذه القرون العديدة التي مضت في تاريخ الإسلام وهي حوالي أربعة عشر قرناً من الزمن ، وما يمكن أن نفترض من قرون أخرى تأتي حتى يظهر سيدنا الإمام الحجة (عج) ، ويتولى أهل البيت عليهم السلام هذا الدور . لم يتسلم أهل البيت (الخلافة) ، فهل أن ذلك كان تعطيلاً لدورهم في الحياة الإسلامية طيلة هذه المدة الطويلة ، حتى يظهر أمرهم في المستقبل؟! أو أن الإمامة ودور أهل البيت عليهم السلام هو أوسع وأشمل من قضية تولي الحكم وإدارة هذا الحكم، وأن تولي إدارة الحكم هو أحد الأدوار والأبعاد في دورهم عليهم السلام الواسع في حياة الإسلام والمسلمين ؟ هذا هو السؤال الذي يشرح العنوان .

ونحن نحاول في هذا البحث أن نبين الأبعاد والأدوار الواقعية المتعددة لأهل البيت عليهم السلام في الحياة الإسلامية العامة ، مضافاً إلى دور الخلافة وقيادة التجربة الإسلامية وولاية الأمر^(١) .

تقسيم البحث :

ونبدأ هذا البحث أولاً : بتمهيد يتركب من خطين رئيسين ، لا بد من الحديث فيهما قبل الشروع في أصل الموضوع :

أولاً : الحديث عن النظرية الإسلامية في موقع أهل البيت عليهم السلام في

(١) وهنا يحسن بنا أن نشير إلى أن هذا الموضوع هو من الأبحاث التي يمكن أن يكتب الباحثون فيها موسوعة كاملة، نسميها بـ«موسوعة أهل البيت (ع)»، ولدي أمل أن أكتب ذلك، إلا أن هذا البحث بالخصوص إنما هو في إطار التخطيط النظري له، والأمل المستقبلي أن أكتب عدة كتب، كل كتاب قد يشتمل على عدة أجزاء، لبيان هذه الأدوار، وأحد النماذج لهذه الكتب هو كتاب (دور أهل البيت (ع) في بناء الجماعة الصالحة) الذي يعبر عن دور واحد من هذه الأدوار، وقد وضعت الأطار النظري والتخطيطي لإنجازها .

الرسالة الإسلامية ، وهذا الموضوع من الموضوعات المهمة التي لا بد أن نتناولها في التمهيد من أجل الدخول في هذا البحث .

ثانياً : هو تشخيص الأهداف والأدوار لأهل البيت على المستوى النظري مع الإشارة إلى أدلة هذه الأهداف والأدوار من الكتاب الكريم والسنة التي وردتنا من النبي ﷺ وعن أهل البيت عليه السلام .

نظرية الإمامة :

أما فيما يتعلق بالأمر الأول وهو بيان (النظرية) ، يلاحظ بأن الرسائل الإلهية السابقة كانت تعتمد في إدامتها واستمرارها وبقائها على مجموعة من الأنبياء الذين يأتون بعد كل نبي من الأنبياء أولي العزم ، يتحملون مسؤولية هذه الرسالة على مستوى التطبيق والتنفيذ والتفسير ، ولكن الرسالة الخاتمة التي هي أعظم هذه الرسائل وأفضلها ، وأراد الله لها الإستمرار والبقاء إلى آخر الحياة البشرية ، يلاحظ فيها أنها رسالة لا يوجد فيها نبي بعد رسول الله ﷺ ، لما نص عليه القرآن من قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ (١) ، وكذلك ما ورد عن رسول الله ﷺ وتواتر عنه ﷺ لدى المسلمين من قوله لعلي عليه السلام : (... أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي) (٢) .

إذن ، فهذه الرسالة من ناحية هي أعظم الرسائل الإلهية ، ويراد لها الإستمرار والدوام أكثر مما يراد للرسائل الإلهية الأخرى ، ولكن من ناحية أخرى نجد أن هذه الرسالة لم توضع لها ضمانات للاستمرار

(١) الأحزاب : ٤٠ .

(٢) البحار ٢١ : ٢٠٨ ، مستدرک الحاكم ٣ : ١٠٩ ، صحيح البخاري ٢ : ٥٨ ، راجع كتاب المراجعات :

١٩ ، مراجعة رقم ٢٨ ، وقد ذكر فيه مصادر علماء المسلمين .

والبقاء من خلال إرسال الأنبياء التابعين ، كما وضعت ضمانات للرسالات السابقة التي جاء بها الأنبياء أولو العزم ، حيث أن هؤلاء الأنبياء التابعين كانوا يقومون بمهمة إدامة زخم تلك الرسالة ومتابعة الإشراف على تطبيقها ودعوة الناس إليها ، لأن عمر الرسول - بصورة عادية - يبقى محدوداً بالنسبة إلى عمر الرسالة نفسها ، ولا يستمر عمره - عادة - باستمرار الرسالة نفسها ، ولذلك كان الله تعالى يرسل الأنبياء التابعين من أجل أن يديموا حركة الرسالة ومسيرتها .

هذا السؤال هو الذي يفرض الحديث عن قضية ضرورة وجود الإمامة ، وموقع ودور أئمة أهل البيت عليهم السلام من الرسالة الخاتمة ، حيث شاء الله أن يكون استمرار الرسالة الخاتمة عن طريق نظرية (الإمامة) ، وأن تكون هذه الإمامة في أهل البيت سلام الله عليهم .

إنّ هذا الموضوع يحتاج إلى بحث وشرح واسع ، وسوف أشير إليه في حدود الإثارة وبعض خطوطه العامة فيما يأتي - إن شاء الله تعالى - إلاّ أننا نحاول هنا معالجة ثلاثة أسئلة رئيسية :

الأول : ماهي ضرورة وجود الإمامة في الرسالة الخاتمة .

الثاني : لماذا كان استمرار الإمامة في الرسالة الخاتمة في خصوص أهل البيت عليهم السلام ولم يوضع هذا الدوام بصيغة أوسع وأشمل من هذه الأسرة الشريفة وهم (أهل البيت) ، ووضعت الإمامة والإختصاص في خصوص (آل النبي محمد صلى الله عليه وآله) ؟

الثالث : لماذا اختصت الإمامة بخصوص الأئمة الإثني عشر المعروفين من أهل البيت عليهم السلام ؟

وجواب كل واحد من هذه الأسئلة نحتاج فيه إلى بيان بعدين :

أحدهما : تفسير هذه الظاهرة ، لأن الظواهر الإلهية والإسلامية

بصورة عامة ليست ظواهر اعتباطية ، أو مجرد قضايا تعبدية ، وإنما هي ظواهر لا بد أن يكون وراءها حكمة ومصالح تُفسر هذه الظواهر .

والبُعد الآخر : هو الإستدلال على ثبوت هذه الظاهرة في الإسلام وهذا الإختصاص بأهل البيت عليه السلام ، وهو بحث تناوله علماءنا في مختلف العصور ، عندما كانوا يتناولون عقيدة الإمامة .

وهذا التصور النظري الخاص للاستمرار ، من الامتيازات التي اختلفت بها مدرسة أهل البيت عليه السلام على المدارس الأخرى ، لأن المدارس الأخرى تدعي أن الرسالة الإسلامية كان استمرارها بطريق أوسع ، ولم يكن الإختصاص بأهل البيت عليه السلام .

هنا نحتاج أيضاً من الناحية النظرية أن نتبين هذا الموقع الخاص لأهل البيت عليه السلام في قضية استمرار وإدامة هذه الرسالة .

فأولاً: نحتاج بالنسبة إلى النظرية أن نتبين دور الإمامة وضرورتها في الرسالة الخاتمة من أجل ملء هذا الفراغ ببيان خصوصياته وهو فراغ ضرورة استمرار الرسالة ، حيث أريد لهذه الرسالة الخاتمة أن تكون رسالة أبدية تنتهي بعمر البشرية .

وثانياً: نحتاج أن نتبين اختصاص أهل البيت عليه السلام بهذا الدور دون غيرهم من الناس ، وتفسير هذا الاختصاص ، وهل أنه هو مجرد اصطفاء غيبي دون وجود تفسير له علاقة بحركة البشرية والحياة الإجتماعية ، أو أن هذا الاصطفاء له علاقة بهذه الحياة البشرية والإرتباط بين الأمر الأول والثاني ؟

وثالثاً: نحتاج أن نتبين اختصاص أهل البيت عليه السلام بخصوص هذا العدد المحدود ، وهم الأئمة الإثنا عشر عليه السلام .

هذا كله في ما يتعلق بموضوع أصل النظرية ، وهو الأمر الأول الذي

سوف نتناوله في فصول ثلاثة على المستوى النظري .

الأول : البحث في ضرورة (الإمامة) وموقعها في الرسالة الإسلامية .

الثاني : في اختصاص (الإمامة) بخصوص (أهل البيت عليهم السلام) .

الثالث : في اختصاص أهل البيت بالأئمة الإثني عشر من أهل البيت عليهم السلام .

الأهداف والأدوار :

أما فيما يتعلق بالأمر الثاني وهو الأهداف والأدوار العامة لأهل البيت عليهم السلام ، بعد أن نعرف أن لأهل البيت عليهم السلام هذا الموقع الخاص .

وفي هذا البحث سوف نلاحظ أن هناك سبعة أهداف وأدوار رئيسية وأساسية ، يمكن أن نستنبطها من حديث أهل البيت عليهم السلام ، عند الرجوع إلى أحاديثهم عليهم السلام عن دورهم في حياة المسلمين ، وهذا البحث سوف نشرحه من خلال تسمية الأدوار ، وبيان النصوص ذات العلاقة بتشخيص هذه الأدوار :

الدور الأول : حفظ الحياة الإنسانية ، لما ورد في شأن الإمامة وأهل البيت عليهم السلام بأنهم أمان لأهل الأرض .

الدور الثاني : قيادة التجربة والحكم الإسلامي وولاية الأمر .

الدور الثالث : المرجعية الدينية والفكرية للمسلمين .

الدور الرابع : المحافظة على الشريعة الإسلامية ، وبقاء هذه الرسالة محفوظة ومنزهة عن التحريف والتزوير .

الدور الخامس : المحافظة على وجود الأمة الإسلامية ووحدتها وحيويتها .

الدور السادس : بناء الجماعة الصالحة ، ولذلك فإن موضوع بناء الجماعة الصالحة يكون أحد الأدوار والأهداف التي استهدفها أهل

البيت ﷺ في الحياة الإسلامية .

الدور السابع : تجسيد القدوة والأسوة في السلوك الإسلامي الراقى ، وإيجاد المثال الخارجي له .

وقد يستحق كل واحد من هذه الأدوار بحثاً أو كتاباً مستقلاً ، ولكننا في هذا الإستعراض سوف نحاول التلخيص والاقتصار على القضايا الرئيسية مع الإشارة إلى أدلتها وذكر العناوين التي يمكن أن تكون مجالاً للبحث التفصيلي مع الإشارة إلى بعض المصادر التي تناولت هذه الأبحاث التفصيلية .

المواقف :

وإلى جانب هذين الأمرين أو الخطين من البحث (النظرية والأدوار) يوجد بحث ثالث - أيضاً - مهم ، وهو استعراض (المواقف) والإنجازات المهمة الرئيسية التي اختص أو تميز بها كل واحد من هؤلاء الأئمة الإثني عشر إلى جانب المساهمة في الأدوار المشتركة وتحقيق الأهداف العامة، حيث يمكن تقسيم البحث في هذا الموضوع على عدد الأئمة أنفسهم ، وبيان الأدوار من خلال المواقف الخاصة لهم والتي كان لها بطبيعة الحال أثر مهم في الوقت نفسه في تحقيق الأهداف العامة المشتركة . وبعد هذا العرض ، نأتي إلى معالجة الأسئلة التي أثارناها في الأمر الأول (النظرية) .

ضرورة الإمامة :

السؤال الأول : لماذا كان من الضروري أن تستمر الرسالة الإسلامية من خلال (الإمامة) ، مع أن هذه الرسالة هي رسالة خاتمة ، ثم لماذا لم

يكن هذا الإستمرار بهذه الصورة في الرسائل السابقة ، بل كان من خلال النبوات التابعة ؟

أما عدم الإستمرار من خلال النبوات التابعة ، فلأن الاستمرار للنبوة في الرسائل السابقة كان أمراً طبيعياً ، وذلك للوصول بالرسالة والإنسانية معاً إلى مرحلة التكامل الرسالي والإنساني ، فكان من الضروري أن يأتي أنبياء تابعون للرسالة الإلهية التي يرسل الله تعالى بها نبياً من الأنبياء أولي العزم ، لأن الرسائل الإلهية كانت تتعرض إلى التحريف فيها من ناحية ، والإنسانية لم تبلغ مرحلة التكامل الرسالي في ثبات الأصول والمبادئ الأساسية للرسالات الإلهية في مسيرتها من ناحية أخرى ، فحتاج إلى هذه النبوات التابعة ، أما في الرسالة الخاتمة وبعد فرض تكاملها الرسالي والإنساني ، فنحن لسنا بحاجة إلى أنبياء تابعين ، ولذا أنقطعت النبوة^(١).

وأما لماذا كان هذا الاستمرار من خلال خط الإمامة في الرسالة الخاتمة ؟

فقد أشرنا في حديثنا إلى أنه قد يبدو لأول وهلة أن الحاجة في الرسالة الخاتمة إلى الاستمرار والبقاء بسبب أهميتها وجلالتها وسموها وامتيازاتها على الرسائل السابقة أكثر من الحاجة بالنسبة إلى الرسائل السابقة ، لأنها الرسالة الأهم والأعظم ، فكيف لا تحتاج إلى من يتابعها ، مع أن الرسائل الأقل إحتاجت إلى مثل هذه المتابعة ؟

والسبب في ذلك هو أن هذه الرسالة أصبحت من حيث مضمونها ومحتواها الرسالي رسالة خاتمة وكاملة ، ولا تحتاج عندئذ إلى متابعة على مستوى (الأنبياء) لبيان أصل الرسالة ، لأن النبي ﷺ أكملها في

(١) عالجنا هذا الموضوع في بحثنا حول خصائص الرسالة الإلهية (العالمية، الخاتمية، الخلود).

بلاغها وعرضها على الناس ، وقد صرح القرآن الكريم بذلك : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾^(١) ، إذن ، فالرسالة الخاتمة من هذه الناحية لا تحتاج إلى إكمال على مستوى البلاغ والتبشير والإنذار الذي يتحمله الأنبياء عادة ، لمعالجة الانحرافات وتثبيت الأصول والأسس .

كما شاء الله سبحانه وتعالى أن تختص الرسالة الإسلامية من بين الرسائل الأخرى بضمانات ووسائل الحفظ من الضياع والتحريف المطلق في مضمونها ، وذلك من خلال عدة عناصر أساسية ومهمة ، يأتي في مقدمتها القرآن الكريم ، والمحافظة عليه من التحريف والزيادة والنقصان ، ببركة قيام النبي ﷺ بتدوينه ووجود العدد الكبير من الصحابة الأفاضل الصالحين وفي مقدمتهم الإمام علي عليه السلام ، الذين تمكنوا من حفظ القرآن في الصدور ، وغير ذلك من الأسباب الغيبية أو المادية ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾^(٢) ، ولا شك أن لوجود أهل البيت عليهم السلام دوراً مهماً وعنصراً أساسياً في ذلك .

وهي بذلك لم تعد بحاجة إلى نبوات تابعة ، ولكن مع ذلك كله ، تبقى الرسالة الإسلامية الخاتمة بحاجة إلى وجود متابعة لها على مستويات أخرى ، ومن أجل ذلك كان وجود الإمامة وإستمرار الرسالة من خلالها ضرورة لازمة .

وبصدد توضيح ذلك ، أشير إلى ثلاث نقاط رئيسية ، لابد من الاهتمام بها ومتابعتها وبحثها بدقة :

(١) المائدة : ٣ .

(٢) الحجر : ٩ ، عالجنا هذا الموضوع في بحث ثبوت النص القرآني من كتابنا علوم القرآن : ٩٩ .

الإمامة والاختلاف في العبادة :

النقطة الأولى: إن الأنبياء عندما يرسلهم الله سبحانه وتعالى إلى عباده كانوا يقومون بمهمات ذات بعدين رئيسيين :

أحدهما : البلاغ والإنذار لهؤلاء الناس فيبينون الرسالة بتفاصيلها المطلوبة ، وهذا ما قام به رسول الله ﷺ في الرسالة الخاتمة ، وقام به الأنبياء السابقون أيضاً في الرسائل الأخرى .

ثانيهما : مواجهة ظاهرة الاختلاف في المجتمع الإنساني والعمل على حله ، لأن الله تعالى يقول : ﴿... فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه...﴾ (١) .

وتدخل مهمة التزكية والتطهير ومهمة التعليم ، كنتيجة لهاتين المهمتين الرئيسيتين .

إذن ، قضية الاختلاف هي قضية مهمة جداً يواجهها الأنبياء في عملهم وحركتهم ، والاختلاف هنا هو اختلاف في المثل العليا التي يتخذها هؤلاء الناس للعبادة وفهمهم للحياة والكون وحركتهم الاجتماعية ، حيث يتخذ هؤلاء الناس لهم الآلهة المصطنعة والمثل المحدودة ، أو التكرارية (٢) ، والأسماء المزيفة المستلهمة من القوى الموجودة في هذا الكون ، أو الشهوات والأهواء والميول ، أو الطغاة والمستكبرين والمترفين ، أو من تقليد الآباء والأجداد يعبدونها من دون الله .

ولما كان عمر الرسول محدوداً - عادة - لا يستوعب الزمان الكافي لحل هذا النوع من الاختلاف خارجياً ، بحيث يمكنه من إزاحة جميع

(١) البقرة : ٢١٣ .

(٢) إصطلاح استخدمه الشهيد الصدر رحمته الله في بحثه حول التفسير الموضوعي ، عندما طرح فكرة المثل الأعلى في العبادة : ١٨٤ .

العوائق والموانع التي تقوم أمام الرسالة في حركتها الاجتماعية والإنسانية ، تصبح الرسالة بحاجة إلى قيادة إجتماعية معصومة لإدامة العمل لحل هذا النوع من الإختلاف ، وهذه الحاجة ثابتة في كل الرسائل الإلهية ، فكيف إذا كانت الرسالة رسالة خاتمة طويلة ، يراد لها أن تعم الأرض كلها ، وتزيل جميع الآلهة المصطنعة ، والأمثلة التي يبتدعها الإنسان وتنتصب في وسط الطريق .

لذا كانت الحاجة قائمة لوجود القائد وهو الإنسان الكامل الذي نعبر عنه بالإمام ، ليقود معركة تحرير الإنسان من كل هذه الآلهة والقيود ، وتحقيق العبادة المطلقة لله تعالى ، دون غيره من الآلهة ، وهو المثل الأعلى للحق .

وهذا السبب هو ما أشار إليه الشهيد الصدر^{عليه السلام} في حديثه حول ضرورة الإمامة بعد الرسول ، وقد أعطى الإمامة مضموناً شاملاً ، يتحد مع النبوة أحياناً ، عندما تكون الحاجة إلى النبي والقائد معاً ، ويفترق عنها أحياناً أخرى ، عندما تكون الحاجة إلى القائد وحده ، وهو على أي حال يرتبط بهذه المهمة الخاصة وهي قيادة المعركة ، وهو ما عبر عنه الشهيد الصدر^{عليه السلام} بقيادة المعركة التي يواجهها الأنبياء في المجتمعات الإنسانية ، لإزالة كل الأمثلة المزيفة والآلهة المصطنعة الذي يخترعها الإنسان ويبتدعها ، سواء كانت هذه الأمثلة المصطنعة والآلهة المزيفة عبارة عن طواغيت يحكمون بين الناس ، أو كانت شهوات وهوى يتحكم في مسيرة هؤلاء الناس ، أو كانت أفكار منحرفة يخلقها الإنسان ويبتكرها ، فيجعلها مثلاً له يقتدي ويهتدي به ، فيتحول إلى إله يعبد من دون الله ، كما قال تعالى : ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ

بها من سلطان ﴿١﴾ ، فهي معركة إزاحة هذه الآلهة المصطنعة عن طريق الهدى والصالح والخير الذي يقوده الأنبياء ﴿٢﴾ .

وهذه المعركة عمرها أطول من عمر النبي ، فإن عمر الرسول مهما طال زمانه ، لا يستوعب زمان الاختلاف ، لأن الله تعالى جعل قضية الاختلاف بين الناس سنة من السنن الطبيعية التي تحكم حركة التاريخ في كل الأدوار ، فقضية الاختلاف ، قضية قائمة لا يختلف فيها زمان عن زمان ، ولا تنتهي هذه القضية إلا بنهاية حركة البشرية ، والقرآن الكريم يشير إلى ذلك أيضاً في قوله تعالى : ﴿ولو شاء الله لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين * إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم...﴾ ﴿٣﴾ .

إذن ، فالمعركة ضد الاختلاف تحتاج إلى من يقودها ، وزمنها أطول من زمن النبي ، ولو كانت هذه المعركة تنتهي بزمن النبي ؛ كان يمكن للنبي أن ينهي المعركة ولا نحتاج إلى من يقودها من بعده ، ولكنه لما كانت هذه القضية هي سنة تحكم حركة التاريخ ؛ فنحتاج إلى من يقود هذه المعركة ، معركة إزاحة الآلهة المزيفة والمصطنعة أمام الحركة التكاملية للإنسان .

وقيادة هذه المعركة تارة تكون من قبل نبي يتقمص دور الإمام أيضاً كما في كثير من الأنبياء السابقين التابعين ، وأخرى تكون من قبل الإمام الذي لا يتصف بعنوان النبوة ، ولما كانت الرسالة الإسلامية هي الرسالة الخاتمة ، ونبوة محمد ﷺ لا نبوة بعدها ؛ اقتضى أن يكون الدور للإمامة التي لا تتصف بالنبوة .

(١) النجم : ٢٣ .

(٢) التفسير الموضوعي : ١٩٥ - ١٩٦ .

(٣) هود : ١١٨ - ١١٩ .

والشواهد على هذه الحقيقة عديدة وليست مجرد الآيات القرآنية التي أشرت إليها ، وإن كانت تكفي هذه الآيات أن تكون شاهداً ودليلاً عليها ، ولكن الواقع التاريخي شاهد أيضاً على هذه الحقيقة ، فإن ظاهرة الاختلاف ظاهرة قائمة وثابتة في التاريخ الإنساني - كما ذكرنا - كما أنها ظاهرة ثابتة في التاريخ الإسلامي في زمن النبي وبعده ، ولا يمكن لأحد من الناس أن ينكرها أو يخفيها ، وهذه القضية ليست مجرد قضية نظرية ، وإنما هي قضية ذات واقع قائم في المجتمع الإنساني والإسلامي كله ، وهذا هو ما نواجهه أيضاً في هذا العصر والزمان .

الإمامة والاختلاف في التأويل :

النقطة الثانية : إن الرسالات الإلهية تواجه - عادة مع غض النظر عن الاختلاف الأول الذي ذكرناه في النقطة الأولى - بعد ثبوتها ورسوخ أقدامها نوعاً آخر من الاختلاف وهو الاختلاف في تفسير هذه الرسالة ، وفهم مداليلها وتأويلها وتجسيد المصاديق الخارجية فيها ، وهذا نوع آخر من الاختلاف أشار إليه القرآن الكريم في كثير من الآيات الكريمة التي تحدث فيها عن أهل الكتاب وما اختلفوا فيه من تأويل الكتاب ، منها قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمناً قليلاً أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزيهم ولهم عذاب أليم ﴾ * أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار * ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاقٍ بعيدٍ ﴿ (١) ، وقوله تعالى : ﴿ ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات

(١) البقرة : ١٧٤ - ١٧٦ .

وفضلناهم على العالمين * وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا فيه إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴿١﴾، كما أن بعض الآيات القرآنية أشارت أيضاً إلى كلا النوعين من الاختلاف، كما في قوله تعالى: ﴿كان الناس أمةً واحدةً فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ (٢).

وهذا النوع من الاختلاف هو معركة أخرى تخوضها الرسالات الإلهية عادة وهو غير الاختلاف الناشئ من تحريف أصل الرسالة أو ضياع معالمها، والذي حفظ في الرسالة الإسلامية، فهو تحريف في التطبيق، ويحتاج أيضاً إلى قيادة معصومة في فهمها الكامل للرسالة وفهم مضمونها وآفاقها، وفي معرفتها لتفاصيلها التي لا يمكن عادة للنبي أن يبينها لجميع الناس كما تدل على ذلك شواهد كثيرة (٣)، وكذلك معصومة في حرصها على الرسالة وقيمها ومثلها ومبادئها وصبرها واستقامتها في هذا الطريق، وتحملها لمسؤوليتها وأعبائها.

وقد كان يتم ذلك عن طريق النبوات التابعة من الرسالات الإلهية الأخرى، الذين كانوا يتحملون هذا الدور من الإمامة أيضاً، وأما في الرسالة الخاتمة فقد تمخّص هذا الأمر في دور الإمامة.

وهذا النوع من الاختلاف هو الذي يفسر لنا ما ورد في أحاديث عديدة

(١) الجاثية: ١٦ - ١٧.

(٢) البقرة: ٢١٣.

(٣) ذكرنا هذه الحقيقة مع بعض شواهد في بحثنا عن التفسير في زمن النبي (علوم القرآن) وفي بحثنا عن التفسير عند أهل البيت، وسوف نتناول هذا الموضوع مرة أخرى بصورة تفصيلية في البحث عن المرجعية الفكرية لأهل البيت (ع).

عن رسول الله ﷺ ، عندما كان يتحدث مع علي عليه السلام ، وغيره عن مستقبل الأيام في التاريخ الإسلامي وتطورات الأحداث فيه ، حيث كان هناك معركتان إحداهما على التنزيل كان يقودها رسول الله ﷺ في مواجهة المشركين وأهل الكتاب ، ومعركة أخرى هي معركة على التأويل الذي كان يخبر الرسول عن دور الإمام علي عليه السلام في قيادتها فقد روى سعيد بن المسيب ، عن سعيد بن مالك أن النبي ﷺ قال : «يا علي ! أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ، تقضي ديني وتنجز عدتي وتقاتل بعدي على التأويل كما قاتلت على التنزيل ، يا علي حبك إيمان وبغضك نفاق ولقد نبأني اللطيف الخبير أنه يخرج من صلب الحسين تسعة من الأئمة ، معصومون مطهرون ، ومنهم مهدي هذه الأمة ، الذي يقوم بالدين في آخر الزمان كما قمت به في أوله» (١) .

إذن ، فهذه المعركة هي قضية حقيقية قائمة في التاريخ الرسالي والتاريخ الإسلامي ، وقد ذكرها القرآن الكريم على مستوى تاريخ الأنبياء أيضاً وأكدت الأحداث التي جرت بعد رسول الله ﷺ كحقيقة من الحقائق التاريخية ، أخبر بها رسول الله ﷺ في مستقبل الأيام .

الإمامة والولاية :

النقطة الثالثة : إن الرسالة الخاتمة إمتازت بإمتميازات عديدة لم تشبهاها الرسالات الإلهية السابقة وكان من جملة الامتميازات في الرسالة الخاتمة - كما ذكرنا سابقاً - هو أن الله تعالى شاء أن يحفظ هذه الرسالة بمضمونها الرسالي بصورة كاملة من خلال القرآن الكريم ، ولذا لم تحتج إلى النبوات التابعة ، أما الرسالات السماوية الأخرى فقد تعرضت

(١) البحار ٣٦ : ٣٣١ ، حديث ١٩٠ ، وقد ورد مضمون القتال على التأويل والقتال على التنزيل في عدد من النصوص التي رواها الفريقان .

للتحريف والضياع، لأسباب يطول الحديث فيها^(١).

وكان أحد الامتيازات المهمة - أيضاً - هو أنها تمكنت من أن تقيم الدولة الإسلامية (الكيان الإسلامي) في المجتمع الإنساني في عصر صاحب الرسالة وبعده.

فقد دعت الرسائل السابقة إلى إقامة الحق والعدل بين الناس وإلى تحكيم ما أنزل الله تعالى بين الناس، فقد قال القرآن الكريم في سياق الحديث عن نزول التوراة: ﴿...ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ وقال في سياق الحديث عن نزول الإنجيل: ﴿...ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾، كما قال في سياق الحديث عن نزول القرآن الكريم: ﴿...ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾^(٢).

إذن فقضية الدعوة إلى إقامة الحكم بين الناس ليست خاصة بخصوص الرسالة الإسلامية، بل أن قضية إقامة الحكم بما أنزل الله بين الناس هي قضية ترتبط بكل الرسائل الإلهية، ولكن شاء الله تعالى في حركة وتاريخ هذه الرسائل الإلهية أن يقوم الحكم بين الناس كحالة سياسية اجتماعية خارجية، نعبر عنها بقيام الدولة الإسلامية، شاء الله تعالى أن يقوم ذلك في خصوص تاريخ الرسالة الخاتمة، دون بقية الرسائل الأخرى.

فنوح ﷺ لم يتمكن من تحقيق قيام دولة إسلامية، ولو بمستوى الإسلام الذي جاء به نوح ﷺ.

(١) لا أريد أن أتعرض هنا إلى جميع امتيازات الرسالة الخاتمة على الرسائل السابقة، وقد أشرت إلى بعض هذه الامتيازات في بحث (العالمية الخاتمية والخلود) في رسالة الإسلام، ولكن أريد أن أشير هنا إلى الامتيازات التي هي محل الشاهد في بحثنا هذا.

(٢) المائدة: ٤٤ و ٤٥ و ٤٧.

كما أن إبراهيم عليه السلام - وهو شيخ الأنبياء - لم يتمكن أن يقيم هذا الكيان السياسي الإسلامي ، وموسى عليه السلام شاء الله تعالى أن يقبضه إليه قبل أن يتمكن من إقامة هذا الكيان السياسي الإسلامي ، بعد أن كان قد مهد له بإخراج بني إسرائيل من سلطة فرعون ، وجاء بألواح التوراة ، ليحقق ذلك ، ولكنهم رفضوا الاستمرار في المسيرة ودخول الأرض المقدسة ، لتحقيق هذه المهمة الإلهية الصعبة ، فكتب الله عليهم أن يتيهوا في الأرض أربعين سنة^(١).

وكذلك الحال في النبي عيسى عليه السلام ، حيث رفعه الله قبل أن يحقق هذا الهدف الإسلامي العظيم .

ولم يتمكن الحواريون من أن يقوموا بذلك - أيضاً - ، فولدت الرهبانية والانعزال ، وانحرفت المسيحية على يد بولس ، عندما تحولت إلى الحكم والسلطان والقيصرية .

وشاء الله تعالى أن يكون ذلك من امتيازات نبوة محمد ﷺ .

إذن ، فهذا من الامتيازات الخاصة التي امتازت بها الرسالة الإسلامية^(٢).

(١) وقد أشار إلى ذلك القرآن الكريم في سورة المائدة، الآيات : ٢١ - ٢٦ .

(٢) هذا بحث عميق وفيه الكثير من التفاصيل، وقلت: إنني أشير هنا إلى العناوين الكلية، ومن هذه التفاصيل تفسير ظاهرة قيام الدول التي أقامها بعض الأنبياء، كداود وسليمان عليه السلام ، وغيرهما من الأنبياء الذين أقاموا دولة، وأشار القرآن الكريم إلى ذلك، عندما يتحدث عن تفضيل وتعم الله على بني إسرائيل بقوله تعالى: ﴿... إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً...﴾ ، المائدة: ٢٠. فإن بعض هؤلاء الأنبياء أقاموا دولة، ولكن هذه الدولة التي أقاموها تختلف بحسب مضمونها وهويتها وخصائصاتها عن هذه الدولة الإسلامية التي أقامها النبي (ص)، ليس بحسب سعتها ودائرة وجودها وتفاصيلها، بل بحسب الهوية والمضمون - أيضاً - وهذا بحث أشرت له بصورة موجزة - أيضاً - في بحث (العالمية والخاتمية والخلود) كصفات للرسالة الإسلامية. إن الدول التي أقامها هؤلاء الأنبياء أقاموها من خلال التحولات البشرية للقدرة والسلطان، فهي دولة سلطان يمكنه الله تعالى من القدرة في المجتمع، فيقيم حكم الله تعالى، لا أنها دولة ←

إذن ، فعندما تكون من خصائص هذه الرسالة وجود هذه الدولة ، فهذه الدولة تحتاج إلى قيادة تقودها ، وهذه القيادة لا بد أن تكون في بداية الأمر معصومة ، لتتخذ الدولة صيغتها الإسلامية الكاملة في التطبيق المتميزة عن الصيغ الأخرى ، وهذا إنما يتحقق من خلال الإمامة .

لأن مثل هذه الدولة ، ومثل هذه التجربة لا يمكن أن تقاد وبصورة كاملة وصحيحة ، بحيث تحقق كل الأهداف التي جاءت بها الرسالة ، إلا بمثل هذه القيادة التي نعبر عنها بالإمامة .

وهنا ينفتح أمامنا باب بحث الخلافة الإلهية ، فإن بحث الخلافة الذي هو من الأبحاث الكلامية المهمة التي يتناولها علماءنا ، ويستدلون فيها على تشخيص من يتولى الخلافة بعد رسول الله ﷺ ويقوم بإدارة هذه الدولة ، هذا البحث فيه بعدان :

بُعد يرتبط بالجانب العقائدي وهو استمرار الرسالة في الإمامة وعصمة هذه الإمامة كعصمة الرسالة ، وهو ما نريد أن نشير إليه في هذا الحديث ، وبعُد آخر يرتبط بالجانب التاريخي والسياسي والنصوص التي وردت في ذلك ، والتحويلات الإجتماعية والظروف السياسية التي اقترفت بهذا الموضوع ، وهذا البعد له حديث آخر غير هذا الحديث (١) .

→ أقيمت منذ البداية على أساس الرسالة التي جاء بها هذا النبي ، والصراع السياسي والتغيير في المجتمع الإنساني ، لإقامة حكم الله في الأرض .

فقد مكن الله تعالى داود (ع) كقائد عسكري من أن يمسك بالقدرة ، فيقيم - بطبيعة الحال - حكم الله ، ولذا توجه إليه الخطاب الإلهي ﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى...﴾ ، ص : ٢٦ ، فمن الطبيعي أن يحكم بين الناس بالحق .

إذن ، فكانت هناك قدرة بموجب طبيعة حركة انتقال السلطة بين الناس ، ومن بعد هذه القدرة أقيمت هذه الدولة .

أما النبي (ص) فقد أقام دولة الإسلام كمشروع طرحه منذ البداية ، ثم أسسه وأقام دعائمه .

(١) سوف نتناوله بشيء من التفصيل ، عندما نتحدث عن دور أئمة أهل البيت (ع) في قيادة الحكم الإسلامي .

إذن ، فنحن عندما نتحدث عن موضوع الخلافة ، وأن هذه الخلافة لا بد أن يقوم بها الإمام المعصوم ، وتكون تجسيدا واستمراراً للحكم الإلهي النبوي ، عندما نتحدث عن هذا الموضوع ، لا نتحدث عن أمر تاريخي ذهب مع الزمن وانتهى وقته ، وإنما نتحدث عن أمر عقائدي ، يرتبط بفهمنا للإسلام وللرسالة الإسلامية ، ولتكمال هذه الرسالة ، وهذه قضية مهمة جداً .

إذن ، فالنقطة الثالثة في ضرورة الإمامة ، هي ضرورة وجود قيادة معصومة للحكم الإسلامي والكيان السياسي .

لأن هذا الكيان السياسي من أجل أن يكون قادراً على تطبيق الحق والعدل على البشرية بصورة كاملة ودقيقة ، تتناسب مع الهدف الكبير لهذه الرسالة الإسلامية ، لا بد له من وجود قائد معصوم لهذا الكيان السياسي الإسلامي حتى يمكن تحقيق هذا الهدف الكبير ، ولذلك نعتقد بضرورة الإمامة المعصومة من أجل تحقيق هذا الهدف .

العصمة والإمام المهدي :

نحن نعتقد أنه بسبب عدم تولي الإمامة المعصومة لقيادة الحكم الإسلامي لتحقيق هذا الهدف العظيم في إقامة الحق والعدل الكامل ، شهد التاريخ الإسلامي هذا القدر الكبير من الانحراف في مجال تطبيق العدل والحق ، بحيث جعل الرسالة الإسلامية كلها في موضع الشك والريب بسبب الظلم والاستبداد والطغيان الذي مارسه الحكام المسلمون في عدة قرون من الزمن ، في العهود الأموية والعباسية والعثمانية ، ولولا الفترة القصيرة للقيادة المعصومة لرسول الله ﷺ وللإمام علي عليه السلام التي

تمكنت أن تبين الوجه الناصع الحقيقي لطبيعة الحكم الإسلامي ، لكان مواجهة هذه الشبهة واقعياً وعملياً أمراً عسيراً ، ولاسيما وأن فترة الخلافة الأولى بعد رسول الله التي كانت تتسم بالإعتدال النسبي ، شهدت الإضطراب والتذبذب في صيغة الحكم الإسلامي ، وفي النتائج المروعة التي انتهت إليها في خلافة الخليفة الثالث ، ومن هنا كانت وجود فكرة الإمام المنتظر (عج) الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، كما ملئت ظلماً وجوراً ، فكرة مطروحة منذ البداية في الرسالة الإسلامية وهي مما يجمع عليها المسلمون ، وذلك من أجل تحقيق هذا الهدف الكبير في الحكم والانتشار وفي الكيف والتطبيق الكامل للحكم الشرعي ، وعندئذ تكون كل المساعي التي بذلها أئمة أهل البيت عليهم السلام وهم بعيدون عن قيادة الحكم الإسلامي والتجربة الإسلامية ، وكذلك كل المساعي الأخرى التي بذلها ويبدلها العلماء والمجاهدون والمؤمنون في طول التاريخ الإسلامي ، كل هذه المحاولات إنما هي تمهيد لظهور هذه الدولة المباركة الكريمة التي تملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، كما ملئت ظلماً وجوراً .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

**من مات ولم يعرف إمامه ،
مات ميتة جاهلية .**

بحار الأنوار ٢٣ : ٧٧

نظرة في علم الأخلاق

✽ السيد هاشم الهاشمي

نبحث في هذا المقال بإيجاز عن ميول الإنسان ورغباته ،
وطرق الاستجابة لها ، وبعض الآراء حولها .
وأهم النظريات في هذا المجال ثلاث :
النظرية الأولى

تذهب إلى القضاء على الميول والرغبات النفسية والفطرية وكبتها ،
والدعوة للتنسك والتقشف دون أية استجابة لها ، وقد وجد في الماضي
والحاضر من يدعو لهذه النظرية .

وقد وجهت اعتراضات كثيرة لهذه النظرية نشير إلى بعضها :

١ - إن هذه الميول الفطرية لم تخلق عبثاً في الإنسان ، بل إنها كسائر
القوى والأجهزة النفسية والبدنية ضرورية لسعادته وتكامله ، لذلك من

يحاول القضاء عليها أو عدم الاستجابة لها الاستجابة المشروعة المتوازنة سيئسبىء إلى سعادته ، كما لو قضى على جهاز أو عضو بدني ، كقطع يده .

والدليل على ضرورتها ، أنه تعالى لم يخلق رغبة فطرية إلا وقد خلق ما يشبعها ، كالمرأة للرغبة الجنسية والماء للعطش والطعام للجوع ، وبهذا الطريق يمكن الاستدلال على وجود الله والمعاد ، ففي الإنسان رغبة فطرية للتدين ، وتوجه فطري لوجود الله ، يظهر خاصة في لحظات الخطر (كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه يهودانه أو ينصرانه)^(١) .

وهو ما يدل على وجود الله تعالى الذي يستجيب لنداء هذه الرغبة ، وكذلك للإنسان رغبة في الخلود ، تعبر عنه محاولاته الكثيرة في بقاءه وسلامته . والكثير من المجالات التي تعبر عنها ، فلا بد من وجود عالم خالد يستجيب لهذه الرغبة ، وليس هو العالم الدنيوي الزائل .

٢- إن كبت أية رغبة فطرية ، نظير القضاء على قانون في الطبيعة ، لا يترك بدون عقاب وجزاء ، فمن يخالف قانوناً طبيعياً سيلاقى عقابه وجزاءه ، على شكل أمراض ، أو مخاطر ، والملاحظ أن الميول الفطرية لا تموت مهما حاول الإنسان القضاء عليها وكبتها لأجل فطريتها ، ولكنها قد تختفي ، وتنتقل من عالم الشعور إلى عالم اللاشعور ، وتنفث من هناك - مطالباتها ، وعقوباتها على شكل أمراض نفسية أو بدنية - حيث أنها تطالب بالاستجابة ، كشرط للحياة السوية المتوازنة كالرغبة الجنسية ، فإذا لم يستجب لها وحاول كبتها ؛ فيفقد الإنسان تلك الحياة السوية المتوازنة .

(١) البحار ٢ : ٨٨ .

٣- إن الحياة الفردية والاجتماعية ستتعطّل لو تقشف الناس جميعاً واعتزلوا وتجنبوا الاستجابة لبعض الغرائز ، كالقضاء على الرغبة الجنسية حيث سيتعطّل النسل ، وبالعزلة الشاملة في الكهوف ، سوف لا يتوفر المسكن والطعام والبناء وغيرها من نشاطات الحياة .

٤- إن هذه النظرية لم يمكنها التخلص من الاستجابة للميول النفسية ، فالعبادة والتقشف من الميول النفسية أيضاً ، وإنما تؤثر أثرها الإيجابي فيما لو استخدمها بصورة معقولة متوازنة ، وأما الاهتمام الزائد بها فسوف يكون على حساب الغرائز والرغبات الأخرى ، وكل غريزة فطرية اهتم بها الإنسان أكثر من سائر غرائزه ، سوف يضر في سعادته لأن شرط الحياة السعيدة المتوازنة الاستجابة الصحيحة المعقولة العادلة لجميع الغرائز ، لا الاهتمام ببعضها دون البعض الآخر .

إذن .. فحرمان الإنسان من لذائذ الحياة له أضراره السيئة على الإنسان .

والإسلام - كما ذكرنا - يعترف بمشروعية هذه الغرائز والعلاقات الدنيوية ، حيث أن هذه الغرائز لم تخلق عبثاً ، وإنما خلقت لأنها ضرورية لسعادة الإنسان وكماله ، ولكن لو استخدمت في الحدود المشروعة لها ، فالدنيا غير مذمومة في رأي الإسلام ، وإنما الدنيا المذمومة هي المحرمة ، وارتكاب ما يخالف أحكام الله ، أو التي تتنكر للحياة الأخروية ، وتحصر النظر على الدنيا ، حيث لا يلاحظ في تصرفاته عالم الآخرة ﴿ أرضيتم بالحياة الدينا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل ﴾ ، وكذلك يذم من يقدم هذه الرغبات والعلاقات على رضا الله ، والالتزام بأحكامه في مجال التزاحم بينهما ، كما لو قدم حبه للحياة أو المال أو النساء على الجهاد في سبيل الله ، وسائر الأحكام الإسلامية ﴿ قل إن كان آباؤكم وأبنائكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن

ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله ﴿١﴾ ، وفي الآيات والأحاديث الشريفة ما يدل على مشروعية هذه الرغبات واللذائذ والعلاقات الدنيوية والاستمتاع بها ، قال تعالى : ﴿٢﴾ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا ﴿٣﴾ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴿٤﴾ ، وإذا كانت محبة الزوجة مذمومة لم تجعل آية ، فالأمر الفطري لا يكون مذموماً ، وإلا لم يخلق ، وقال تعالى : ﴿٥﴾ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ﴿٦﴾ .
وعنه عليه السلام : «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً» .

إن الرغبات الفطرية ، يمكن كبتها ، ويمكن إشباعها ، وإشباعها توجد طرق مشروعة ، وطرق غير مشروعة ، فالجنس والمال يمكن تحصيله وإشباعه في مجالات غير مشروعة ، كالزنا والقمار والربا والسرقة ، ويمكن تحصيله من مجالات مشروعة ، كالتجارة المحللة بأنواعها ، والزواج . والإنسان السوي والمتوازن والمؤمن هو الذي يختار المجالات المشروعة لإشباعها ، فإنه تعالى لم يخلق رغبة فطرية إلا وبين الطرق المشروعة لإشباعها ، وحكمته تعالى اقتضت أن يختار الإنسان طريق تكامله وسعاده بصورة اختيارية ، بعد أن خلق فيه الإرادة ، وبين له طريق السعادة والشقاء .

النظرية الثانية

تذهب إلى الاستجابة التامة المطلقة لهذه الميول والرغبات ، أي إطلاقها بلا ضوابط ولا حدود ، فالغريزة الجنسية مثلاً يجب إطلاقها وإشباعها بلا حدود .

(١) الأعراف : ٣٢ .

وهناك طائفة من الفلاسفة السابقين والمعاصرين ، ذهبوا إلى عبادة اللذة ، والاستجابة بلا حدود لهذه الرغبات النفسية ، فليست الأخلاق معيار السعادة والتكامل البشري فحسب ، بل هي مانعة منها ، ويزعمون أن الأخلاق ليست لها فائدة إلاّ تحديد لذة البشر وحرية ، يقول أحد فلاسفة اليونان في القرن الرابع قبل الميلاد (الخير عبارة عن اللذة والشر ليس إلاّ الألم ، وهدف البشر هو الأخذ من لذائذ الدنيا) ويقول آخر (أجب نداء غرائذك حتى تحصل على اللذة ، ولا تقاوم ابرازها ، لأن ذلك يورث الشقاء والألم ، والأخلاق كلها مجموعة من الأوهام الفارغة من البرهان والدليل ، إن الأخلاق قيود يقيد بها الضعفاء أنفسهم تجاه الأقوياء)^(١) ويقول نيتشه من الفلاسفة المعاصرين (لا بد أن توجه نظرك واهتمامك إلى نفسك فحسب ، ولا بد أن تعبد نفسك وتهمل الضعيف والعاجز حتى يفنى ويزول فالشخص الأفضل هو الأقوى ، الذي يحيى بقوة ويستجيب لميوله ولتسحق كل مانع في طريقك ولا تخف من الخطر والقتال والجدال)^(٢) حيث يدعو نيتشه لبقاء الأقوى ، وعلى الإنسان تحقيق ميوله الشخصية وإن قضى على الأخلاق والقيم ، وإن الأخلاق والعفة والكرامة والشرف والعطف صفات الضعفاء ، وبذلك مهد السبيل لظهور بعض المبادئ المدمرة كالفاشية والنازية . وكذلك فرويد عالم النفس الشهير يدعو لإطلاق الغريزة الجنسية بكل حرية وبدون ضوابط وحدود ، وغيرهم كبعض فلاسفة الوجودية كسارتر والعبثية واللامنتمية وأمثالهم ، ولعل بعض الفلاسفة المعاصرين الذين ينظرون لأمثال هذه النظريات الإباحية والمدمرة من تخطيط الصهيونية العالمية التي تحاول السيطرة على العالم ، من خلال إغراق الشعوب بالفجور والشهوات ،

(١) لذات فلسفة : ١٠١ (بالفارسية) .

(٢) سير حكمت در اوربا ٢: ٢٧ (بالفارسية) .

حيث أن الغرق بالشبهوات المحرمة والمخدرات وإطلاق الغرائز بلا حدود وضوابط ، مما تدمر الفرد والمجتمع نفسياً ، ودينياً ، وشعورياً ، وتضعف روح المقاومة والوعي فيه ، وبذلك يسهل السيطرة عليه ، وتدل على هذا التخطيط الجهنمي بعض التصريحات ، كما يلاحظ ذلك في بروتوكولات حكماء صهيون ، ومن هذا الباب التيارات التي تدعو لالغاء الدين ، أو عزله عن الحياة الاجتماعية والسلوك العملي وحصره في القلب ، أما العمل فيتبع الإنسان والآراء والقوانين البشرية ، أمثال ان الدين أفيون الشعوب ، أو أن جوهر الدين هو التجربة الروحية ، وأما الشريعة فإنها قشور تحافظ عليه ، ولا أهمية لتعاليم معينة وأمثالها من الآراء .

وقد وجهت اعتراضات عديدة لهذه النظرية نشير إلى بعضها :

١ - يلزم من حرية الغرائز بلا حدود الفوضى في المجتمع ، لأنه لأجل إرضائها ، لو لم يكن له رادع من وجدان ومبادئ وأحكام ، يفرع لأخطر الجرائم ، فمن لم يحاول إشباع حبه للمال أو للجنس من خلال التجارة المشروعة أو الزواج فسوف يتعرض لأموال الآخرين وشرفهم أو لأعراضهم ، فيقضي القوي على الضعيف ، ويتجاوز على حقوق الآخرين ، فيتعرض أساس الحضارات للخطر ، وسعادة المجتمع تتوقف على أن كل فرد يحترم نفوس الآخرين وأعراضهم وأموالهم ولا يتعدى عليها ، ولعله يشير إليه قول أمير المؤمنين عليه السلام «من غلب هواه على عقله ظهرت عليه الفسائح» .

وإطلاق الغرائز بلا حدود ، كما يؤدي للجرائم الخارجية الأخلاقية ، كذلك ينتج الانحرافات النفسية كالتعصب والتكبر والعناد التي تمنع من سعادة الإنسان ، قال تعالى : ﴿وإن كثيراً ليضلوا بأهوائهم بغير علم﴾ ، بل إن بعض النصوص تدل على أن الفساد الأخلاقي واتباع الأهواء المحرمة ،

والتماذي فيها ، سوف يؤدي إلى الانحراف العقائدي والخروج عن الدين ، وليس لمجرد الفسق قال تعالى : ﴿وَكَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أَصَاءُوا السُّوءَ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ ، حيث ان النفس معها تكون أقل تقبلاً للمعتقدات الصحيحة وأكثر تقبلاً للفسادة ، لذلك يحاول أمثال هؤلاء الإنكار أو التشكيك في المعتقدات والتعاليم الإسلامية الصحيحة .

كما أنه يلزم من هذه الحرية الحيوانية والإباحية تفكك الأسرة ، حيث يرون الزواج تحديداً لها ، كما أن من يلهث وراء أعراض الآخرين ، ولا يشبع ويطلب المزيد ، ولم يوجه نظره لزوجته وأسرته ، فإنه لا يمكنه ممارسة أعماله العائلية ، بل وحياته الاجتماعية والاقتصادية وغيرها من الأنشطة الفاعلة ، حيث أن اهتمامه كله موجه لإشباع غرائزه ، على العكس ممن لا يوجه كل اهتمامه لذلك ، وإنما يوجه اهتمامه لزوجته والمجالات المشروعة ، فإن نشاطه واهتمامه سيتوجه أفضل لأعماله ونشاطاته الفاعلة ، والنصوص والشواهد العديدة قديماً وحديثاً تدل على هذه الحقائق والنتائج .

إن الأخلاق تجعل من الفرد إنساناً اجتماعياً متوازناً ومحترماً ، يستطيع أن يعيش بكل احترام مع الآخرين من خلال تحديد غرائزه وعدم تجاوزه على حقوقهم ، فمن يتعدى على الآخرين يفقد احترامه ولا يكون مقبولاً عندهم ، عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) : «من أحب المكارم اجتنب المحارم» وعنه (عليه السلام) «كم من لذة دنية منعت من سنن الدرجات» ، والإسلام في تعاليمه يحاول توفير الأرضية الصالحة لسعادة الفرد والمجتمع وتكامله وقربه من الله ، لذلك منع من الممارسات التي تمنع من ذلك كإشاعة الفحشاء والتجاهر بها وحددها ضمن حدود وضوابط متوازنة ، لذلك لم يعترف بالحرية بمفهومها الغربي ، والله تعالى بعلمه المحيط يعلم بالمصالح والمفاسد الواقعية والأحكام الملائمة لها ، ثابتة أو

متغيرة ، فيعرف الحدود الصالحة لارضاء هذه الغرائز ، ويبينها من خلال شريعته ، لطفاً منه تعالى على البشر ، أما أولئك الذين لا يدركون المصالح والمفاسد الواقعية ، ثوابتها ومتغيراتها ، كيف يمكنهم تشريع الأحكام على وفق هذا القصور ؟ ثم كيف يمكنهم تغيير أو إلغاء الأحكام الإسلامية الثابتة كالحجاب والحدود والديات اعتماداً على بعض الظنون والأهواء ومجرد تغير الزمان والمكان ؟ ثم ماهي الأحكام البديلة لها ؟ لضرورة وجود قوانين لتوقف النظام عليها ، مع ما يلاحظ من تغير الآراء والقوانين البشرية .

٢- إن الإنسان - كما ذكرنا - يمتلك غرائز وميولاً عديدة ، والإنسان السوي السعيد من أشبع جميع الميول بصورة متوازنة وعادلة ، لأنه يشبع بعضها ويهمل الأخرى ، أو على حسابها ، فهو يميل للجنس ويميل أيضاً لحفظ الذات والسلامة والصحة ، والحياة المعيشية السوية ، فإذا حاول ارضاء رغبته الجنسية بلا حدود ، فإن هذا سيؤدي إلى ميله الغريزي للصحة والسلامة ، وإلى حالته المعيشية الاقتصادية السوية ، إذ لا شك بأن ذلك يسيء إلى سلامته وأمواله ، فلا بد إذن من ارضاء الجميع بصورة مشروعة ، حتى لا يسيء للميول الأخرى لأن سعادته متوقفة على إرضاء جميع الميول لا إشباع بعضها دون الأخرى .

٣- يوجد في الإنسان الضمير أو الوجدان الأخلاقي ، وهو يؤنب الإنسان ويعاقبه على ارتكاب ما يخالفه ، وليس القلق إلا عقاب الضمير على ارتكاب ما يخالف مقرراته الوجدانية ، والضمير هو أمر فطري غريزي ، وليس اكتسابياً ، أو عادة ، والدليل على فطريته ، وجوده منذ القدم حتى عصرنا الحاضر وفي كل زمان ومكان .

ولو كان اكتسابياً أو من العادات والتقاليد ؛ لم يكن موجوداً في كل زمان ومكان ، كما ذكره في تعريف الفطري ، وفرقه عن التقاليد

والعادات حيث أنها مؤقتة ومحدودة ، وغير دائمة أو عامة مشتركة بين جميع الأفراد ، لذلك تنكر نسبية الأخلاق وتغيرها حسب الأفراد والظروف ، كما تذهب إليه بعض التيارات ، وتوضح هذه النظرية ونقدها في محله ، ولعل ندم ابن آدم على قتله لأخيه دليل على وجود الضمير منذ القدم وفطريته ، بل حتى أولئك الذين يعيشون التربية السيئة وفي محيط يشجع على الرذائل ، أو الجرائم ، يشعرون في أعماق نفوسهم بتأنيب الضمير حين ارتكابها ، فالمجرم والسارق ومرتكب الرذيلة يشعر بتأنيب الضمير من عمله ، ويمدح الفضيلة والعامل بها ، وهذا دليل على عدم كون الضمير اكتسابياً وإنما هو أمر فطري ، فإن الأمور الفطرية تتصف بالشمولية والدوام خلافاً للأمور المكتسبة والعادات والتقاليد . وهناك بحوث طويلة حول الضمير .

وهذا الضمير يؤنب الإنسان شعورياً أو لا شعورياً على خطاياها ، وتجاوزاته على حقوق الآخرين ، وعلى ارتكاب الشرور والذنوب والجرائم ، وربما لا يشعر بهذا التأنيب ، ولكنه موجود في أعماقه لا شعورياً ، وتظهر أعراضه على سلوكه ، بشكل أمراض نفسية وقلق وتوتر ، بل ربما نشأ من ذلك أمراض بدنية أيضاً كما أقر بذلك العلم الحديث ، فالمجرم يتوهم أنه وصل لسعادته وأنه بعيد عن عقاب الضمير أو القانون ، ولكن هذا غير صحيح ، أن من يقتل أو يسرق أو يتجاوز على الأعراض والأموال والنفوس يتوهم الوصول إلى السعادة من خلال ذلك ، ولكن عبثاً ، فإن ضميره يؤنبه ، يطارده ، أين ما ذهب ، في يقظته ونومه ، في عزلته واجتماعته ، في صمته وحديثه ، في كل حالة ، ويسمى القرآن الكريم الضمير (بالنفس اللوامة) ﴿ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾ .

يقول أحد علماء النفس (إن متابعة الضمير كما يؤدي للاستقرار الاجتماعي يؤدي للاستقرار النفسي ، وإن تعذيب الضمير نتيجة اقتراف

ما يخالفه، ربما أدى إلى الكثير من الأمراض الروحية والبدنية^(١). فالفتاة التي أسلمت نفسها في لحظة طائشة باختيارها ربما كان في الخفاء، لا يعلم بها أحد، ولكن لا تستطيع الفرار من عذاب الضمير والندم. والسارق وإن أمكنه الفرار من البوليس والناس، ولكن لا يستطيع الفرار من عذاب الضمير.

وابن آدم ندم على قتله لأخيه. وإن كثرت أعمال الشر، وتراكمت التآنيبات؛ فربما أصيب الإنسان بالقلق والانهيار النفسي وربما الأمراض البدنية. فعمر بن سعد بعد واقعة كربلاء، أمر أن يمد فراشه طوال الليل والنهار، فكان يستلقي تارة ويتمشى في البيت أخرى، ويتخطى في الأزقة مذهباً ثالثاً.

وبسر بن أراطه الذي أرسله معاوية ففتك وفجر وارتكب أبشع الجرائم في مكة والمدينة واليمن فقد عقله آخر عمره ومات مجنوناً^(٢). وهؤلاء يحاولون الفرار من واقعهم المتحطم وتأنيب الضمير، والقلق، إلى الخمرة والجنس والمخدرات وغيرها من التصرفات الطائشة، ولكن هذه المخدرات والغيوبة لا تقضي على القلق والمشكلة، بل تزيدها اشتعلاً، وتضعف من إرادتهم وعزيمتهم على معالجة تحديات الحياة، وممارسة سائر الذنوب، لأن المشكلة لا يقضي عليها إلا مواجهتها وعلاجها، وهذه الأساليب كما لا تقضي على هذه المشكلة ومضاعفات الجريمة، فإنها كذلك تزيدها تأنيباً، وتضعف من الإرادة والعزيمة على مواجهتها، وسائر المشاكل وتحديات الحياة ونشاطاتها

(١) عن كتاب الطفل للفيلسوف ١ : ٣٤٨، وقد استغدت في بعض مواضع هذا المقال من هذا الكتاب، وكتاب الأخلاق له أيضاً، وكذلك من كتاب (الحجاب) للشيخ المطهري.

(٢) سفينة البحار ١ : ٨٢.

الفاعلة .

ولا علاج لهذه الحالة إلا بالتوبة ، والعودة إلى رحاب الايمان والالتزام
ببناء الضمير وقانون السماء ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ ، فإن ممارسة
الفضائل والعمل ببناءات الضمير وقانون السماء كما يؤدي للاستقرار
النفسي كذلك يؤدي إلى قوة الإرادة والعزيمة على مواجهة تحديات
الحياة ومشاكلها والذنوب والخطايا ، وممارسة النشاطات الفاعلة ،
والتمكن من الحياة السوية والناجحة للفرد والمجتمع .

﴿يا أيها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية﴾ ، لذلك اعتبر الايمان
والتدين من العوامل الفاعلة في علاج الكثير من الأمراض النفسية بل
البدنية أيضاً .

كما يدل على ذلك الكثير تصريحات العلماء في مجال الطب وعلم
النفس والاجتماع وغيرها .

٤ - إن ارضاء الشهوات والميول جميعاً بلا حدود ، ليس متيسراً
وممكناً للبشر ، فهناك الكثير من الأشياء يميل إليها الإنسان ولا يستطيع
الحصول عليها فيما لو لم يجعل من نفسه رادعاً عن الميل إليها أو العمل
بها ، كزوجات الآخرين وأموالهم ، حيث لا يمكن إلا بالتعدي على النفوس
والأعراض والأموال ، ولا يمكن ذلك دائماً .

وهناك بعض الغرائز تطمح بالمزيد ، ولا يشبع الإنسان ومنها الرغبة
بالجنس والمال ، فكلما أشبعها أكثر ازدادت اشتعالاً وطمعاً ، كالنار حين
يلقى فيها الحطب تزداد اشتعالاً ولهباً ، ومن ليس له رادع يردعه عن
التفكير بالشهوات المحرمة ، أو التي لا يستطيع التوصل إليها ؛ فهو دائماً
يريد ويرغب ولكنه يحرم منه ، فيشعر بالحرمان دائماً ، ويتراكم
الحرمان في نفسه ، بالإضافة لتأنيبات الضمير وآثار الذنوب ، وبذلك
سيصاب بالأضرار النفسية والبدنية . وقد اختلط الأمر على البعض ،

حيث توهم بأن إرضاء الغريزة الجنسية وإشباعها يتم بإطلاقها بلا حدود ، مع أن الإطلاق لها ، يزيد من عطشها ولا يشبعها . لأن هذا النهم وعدم الإشباع من خصائص هذه الغريزة .

قال الإمام الصادق عليه السلام « لا تدع النفس وهوها فإن هوها رداها » ^(١) . وقال عليه السلام « من أطاع نفسه في شهواتها فقد أعانها على هلكتها » .

ولأجل ذلك تنقل لنا كثير من الأخبار عن الوضع النفسي المنهار للغرب بل والشرق المنحرف ، وأن القلق مرض العصر ، وعن الانتحار والمخدرات والتيارات الطائشة وغيرها من التصرفات .

واتّباع الشهوات والتشجيع عليها بلا حدود ، مما يشجع عليه الطغاة والاستعمار وعملاؤه ، لأنه يخدّر الشعوب ، ويقتل روح الدين ، بل روح الفتوة والشجاعة والثورة والجرأة والمقاومة ، بل الوعي بما يدور حولهم من أحداث وتجاوزات ، ولعل الغرب لأجل ذلك يعيش مؤامرة كبرى تحيط بكلّ شعوبه ، من أجل أن لا يشعر بما يفعله الطغاة والحكام . وتحجبه هذه الغيبوبة عن النظر إلى القيم أو المبدأ والدين الحق . والتاريخ ينقل لنا الكثير حول الشعوب والحضارات التي كانت قوية فبادت بفعل هذه الممارسات والأساليب المتحللة ، ولعل ذلك كان بتخطيط من أعدائها أو حكامها ليرتكبوا ما شاءوا من الرذائل دون أن يشعروا بالوعي أو المقاومة من شعوبهم .

والقرآن الكريم أشار إلى هذه الحقيقة بقوله تعالى : ﴿ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً ﴾ ^(٢) ، حيث إن الدمار نتيجة طبيعية للشعوب والحضارات التي تفرق بالفسق والفجور ، وقد ذكر القرآن الكريم أساليب فرعون بل الفراغة لاستعباد الشعوب

(١) الكافي ١ : ٣٣٦ .

(٢) الإسراء : ١٦ .

والسيطرة عليها : ﴿ إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم انه كان من المفسدين ﴾^(١) ، حيث أشار إلى أساليب فرعون كرمز للطغاة المتجبرين في استعباد الشعوب ، وهي التفرقة ﴿ جعل أهلها شيعا ﴾ وهذا مضمون الشعار الاستعماري (فرق تسد) والارهاب ﴿ يذبح أبناءهم ﴾ ، والفساد الاخلاقي ﴿ يستحيي نساءهم ﴾ ، ومن عوامل سقوط الأندلس وخروجها من أيدي المسلمين ؛ اشتغال الأمراء والكثير من المسلمين فيها باللهو والعبث والشهوات والخمرة والنساء والتفرقة .

وتدل بعض الشواهد التاريخية على أن أعداء الإسلام خططوا لاسترجاع الأندلس والسيطرة عليها ، فتوصلوا إلى أن خير طريق لذلك ؛ اشغال المسلمين بالفساد الأخلاقي والتفرقة لذلك أكثروا من مراكز الفساد والعبث في الأندلس ، وبذلك ماتت فيهم روح الفتوة والشجاعة والوعي السياسي والديني ، ودبت التفرقة بينهم ، وبذلك أمكن السيطرة عليهم بسهولة^(٢) .

إن عبّاد اللذة ، ومخالفي القيم والمبادئ الأخلاقية الفاضلة ، يتوهمون بأن حرية الشهوات وسحق الأخلاق والاستجابة غير المحدودة للرغبات النفسية ، تؤدي إلى السعادة والحرية الحقيقية ولكن في الواقع أن السعادة والحرية ليست في الاستجابة للميول بلا حدود بل هي عبودية ، وتقييد للإنسان ، فهو عبد لشهواته ، قال أمير المؤمنين عليه السلام «مغلوب الشهوة أذل من مملوك الرق»^(٣) إنها الأغلال التي تشد الإنسان عن السمو والتعالى والحياة السوية الملتزمة والفاعلة ، والأديان الإلهية بعثت لأجل إنقاذ

(١) القصص : ٤٢ .

(٢) تفسير الطنطاوي ٢١ : ١٨٠ .

(٣) غرر الحكم : ١٨٨ .

الإنسان من هذه الأغلال ﴿ ويضع عنهم إصرهم والأغلال ﴾ .

ليست السعادة والنجاح في الاستجابة لهوى النفس بلا حدود ، بل لابد للإنسان من الكدح والمشقة ليصل إليها ، لابد للطالب من مجاهدة هوى النفس والتعب ليصل للنجاح ، والفلاح لابد أن يكدح ليصل للحصاد وهكذا . لذلك جعل القرآن الكريم البشارة والفلاح دائماً بعد الصبر على الشدائد وتحديات الحياة ، وما يوجبه الإيمان والالتزام بالمبدأ الحق من المواجهة للكثير من الابتلاءات ، والصبر على مجاهدتها ﴿ ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين ، إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا ﴾ والصبر بمفهومه الإسلامي ، ليس ذلك المعنى السلبي ، أي العزلة ، بل بمعناه الإيجابي أي خوض شدائد الحياة وابتلاءاتها وتحدياتها ثم الصبر عليها ، والفلاح دائماً يعقب هذا الصبر في المنطق القرآني .

النظرية الإسلامية في الأخلاق

وتتمثل في الاستجابة المحدودة والعادلة والمعقولة لهذه الميول والغرائز ، لا إفراط ولا تفريط ، ولا كبت ولا إطلاق بلا حدود ، ومن هنا كان الإسلام الصراط المستقيم ، والمسلمون أمة وسطاً لأنه - كما ذكرنا - إن في الإنسان ميولاً فطرية ضرورية لكماله وسعادته في الدنيا والآخرة ، إذ لم تخلق عبثاً ، كأعضائه وأجهزته البدنية ، فرغبته للثروة والدين والمحبوبة الاجتماعية والمعرفة وتشكيل الأسرة والجنس والجمال وغيرها من الميول الفطرية ، لا يوجد صراع فيما بينها ، وكل منها لها نصيب وحدود معينة ، وإذا أعطي لكل واحدة منها نصيبها بعدالة ، حصل التوازن والاستقرار ، وأدّى ذلك لتكامل الإنسان وسعادته ، وإنما يبدأ القلق والصراع فيما لو أعطي لبعضها نصيباً أكثر على

حساب الميول الأخرى فيشبعها ويطلقها أكثر من حدّها المفروض أو يكبتها. وليست العدالة المساواة بين الأفراد وإرضاء الميول ، بل إعطاء كل فرد وميل نصيبه المشروع والمعقول ، المؤثر في كماله وسعادته ، والشارع المقدس ، لطف على البشر من خلال تعاليمه وأحكام شريعته بين الحدود المشروعة والعدالة لكل الأفراد والميول ، وأما البشر لقصوره - كما ذكرنا عوامل قصوره في بحث آخر فهو عاجز عن تحديدها بكل دقة ، عن أمير المؤمنين عليه السلام «من عمل بغير علم كان ؛ ما يفسد أكثر ما يصلح» ، فللأحكام والتعاليم الدينية حدود لإرضاء هذه الميول والغرائز، ومن هنا أطلق على الأحكام الإسلامية بصورة عامة (بالحدود)، في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة ﴿تلك حدود الله فلا تعتدوها﴾ فلا بد من الالتزام بهذه الحدود ، فلا كبت ولا إطلاق للحدود ، وعن أمير المؤمنين عليه السلام «من حصر شهوته فقد صان قدره» .

ومن مميزات الإسلام ، أنه اعترف بمشروعية جميع الغرائز البشرية ، فلا رهبانية في الإسلام ﴿ورهبانية ابتدعوها﴾ ولا حرية حيوانية ﴿اولئك كالأنعام بل أضل سبيلا﴾ ، كبعض المبادئ التي التزمت بأحد هذين الاتجاهين ، فهناك حدود عمل هذه الغرائز ، فالرغبة الجنسية حدّها الإسلام بالزواج ، وحب الثروة بالتجارة المشروعة .

وليس مقياس السعادة في رأي الإسلام عدم الإضرار بالآخرين فحسب ، بل عدم الإضرار بالنفس أيضا ، فشارب الخمر والمقامر ربما يشرب أو يلعب بصورة لا تضر بالآخرين ، ولكنها تضر بنفسه ، ومن هنا وردت النصوص الشرعية في عدم إلحاق الضرر بالنفس وبالآخرين ، عن النبي صلى الله عليه وآله «لا ضرر ولا ضرار في الإسلام» ، وقال تعالى ﴿ما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ ، الذي يعني أن الإسلام لا يصدر منه حكم يجيز إلحاق الضرر أو الحرج والمشقة بالنفس أو بالعرض أو المال

لنفسه وللآخرين .

إن الإسلام لأجل صيانة الذات وتوفير سعادة الفرد والمجتمع أودع هذه الغرائز والميول في الإنسان ، فوجود كل واحدة ضرورية لحياته المتوازنة السعيدة ، ولكن يشترط التعديل في الاستجابة لها ، والحياة السعيدة الناجحة متوقفة على تعديل الغرائز حتى لو لم يكن دين ، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) «لو كنا لا نرجو جنة ولا نخشى ناراً ولا ثواباً ولا عقاباً لكان ينبغي لنا أن نطالب بمكارم الأخلاق ، فإنها مما تدل على سبيل النجاح» (١) .

ونحن نعلم أن الغرائز والرغبات الفطرية على قسمين :

الغرائز غير الاختيارية : كـرغبة الطعام والشراب ، فسواء أراد الإنسان أو لم يرد ، تعرض للمثير أو لم يتعرض ، فإن نفسه ترغب بالطعام والشراب تلقائياً ، بحيث إذا لم يستجب لها سيهلك .

الغرائز والرغبات الاختيارية : كالرغبة الجنسية فليست هي كـرغبة الطعام والشراب ، فإنها تابعة للتفكير والتعرض للمثير ، وتحتاج لما يحركها من الخارج ، فلا بد من وجود عوامل تؤدي لظهورها أو زيادتها ، أو ضعفها وهو التعرض للمثيرات وعدم وجود المرض ، لذلك يمكن للإنسان التحكم فيها وتوجيهها .

ولذلك ومن أجل أن تؤثر هذه الرغبات في سعادته وكمالته وتبعد الضرر عن الفرد أو المجتمع ؛ فلا بد من ضبطها في تلك الحدود ، وقد ذكرنا أن الغرائز توجد لها مجالات مشروعة وغير مشروعة وعلى المسلم المتوازن استخدامها في المجالات المشروعة . لذلك يجدر بنا أن نتكلم حول أساليب الإسلام في علاج الغريزة الجنسية لأهميتها وخطورتها .

وهناك أساليب ذكرها الإسلام وتعرضت لها النصوص الإسلامية
لعلاج الغريزة الجنسية وتعديلها .

ففي المرحلة الأولى يدعو الإسلام إلى الزواج ، لذلك يشجع على
الزواج المبكر من أجل عدم الوقوع في انحرافات الغريزة الجنسية
ومزلقها ، وتدل على ذلك آيات وأحاديث كثيرة .

قال تعالى : ﴿ وَأَنْكَحُوا الْيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ ﴾ . وعن
الرسول ﷺ «النكاح سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني»^(١) .

وأما إذا لم يقدر على الزواج لبعض الموانع ، فعليه الاستعفاف أي
الاصطبار ﴿وَلَيْسَتَعَفُّ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ وإنما
يتم ذلك بترك التعرض للمثيرات والمهيجات لهذه الغريزة ، لما ذكرناه أن
هذه الغريزة لا تلح على الإنسان لارتكاب الحرام إلا بالتعرض للمثيرات
بعكس الطعام والشراب ، لذلك عليه ترك النظر المحرم والاختلاء
بالأجنبية ، فإن أقوى الأسباب المهيجة لها النظر والخلوة ، ويجدر به
أيضاً قلة التخیل والتفكير في الجنس وعدم التعرض لمثيراته من القراءة
والمشاهدات المثيرة ، لأن المعصية عادة ما تبدأ من التفكير ، وليست
أعمال الإنسان إلا انعكاساً لما يفكر فيه ، عن أمير المؤمنين عليه السلام : «من كثر
فكره في المعاصي دعت إليه» .

ولا يعني الاستعفاف في الآية الشريفة استتذار الدافع الجنسي ، بل
توقيته ﴿حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ﴾ ، أي حتى يتمكنوا من الزواج فليس هذا من
الكبت ، لأن الكبت بمعنى استتذار الدافع الفطري ، ولا يجوز استتذاره
بالنسبة للمسلم .

وهناك طريقة (التسامي) أي التصعيد ، أي صرف هذه الطاقة في

(١) البحار ١٠٠ : ٢٢٠ .

مجالات فاعلة ومفيدة تجعل الإنسان لا يتأثر كثيراً بمضاعفات هذا الدافع ، كما لو أغرق نفسه في النشاطات والأعمال الفنية أو الرياضة وأمثالها ، وعن الرسول ﷺ : «يا معشر الشباب : من استطاع منكم الباءة ؛ فليتزوج فإنه أعف للبطن والفرج فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»^(١) والباءة مؤونة الزواج ، والوجاء كسر الشهوة وتخفيفها ، ولا شك في تأثير الصوم في ذلك .

بل يمكن القول بأنه حتى المتزوجين ، إذا لم يتحكموا ولم يضبطوا غريزتهم الجنسية ضمن الحدود المشروعة وأطلقوها بلا حدود من النظر والتخيل والخلوة والتعرض للمثيرات والمشاهدات فسوف لا يجدي زواجهم في منعهم عن الوقوع في الانحرافات والمزالق .

قال تعالى : ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ﴾ وهو خطاب عام ، أي أظهر لهم ولمجتمعهم ، وأبعد لهم من المتاعب النفسية والانحرافات ، حيث يكون الفرد والمجتمع أكثر فاعلية وتوازناً ، لما ذكرناه ان الإسلام يسعى دائماً في توفير الأرضية الصالحة للتكامل والسعادة وقال تعالى : ﴿ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ﴾ أي يواجهها بالموقف الإسلامي المشروع .

إذن ... فالشعور الجنسي لا يثور إلا إذا وجد ما يحركه ، فيطلب الإشباع ، ولا يوجد كبت إذا لم يثر ، ولكن لو تعرض للمثيرات يكون خطراً ، ولا خطورة لو لم يتعرض لها ، وحين يستثار الجنس بغير طرقه المشروعة ينتهي إلى مفسد يوجبها الانطلاق أو عقد يوجبها الحرمان والكبت .

ومن عوامل انحرافات الفطرة والميول الفطرية ، التوجيه السيء للدوافع الفطرية أو عدم توجيهها وإهمالها ، والشرائع الإلهية بعثت

لتوجيه الميول الفطرية توجيهها سليماً سوياً ، وذلك لاحتياج هذه الميول لمن يوجهها التوجيه الصحيح ، ومن هنا يظهر تأثير تربية الأبوين والمحيط في توجيه الغرائز ، حيث يؤثر هذان العاملان في تشكيل نفسية الفرد ﴿قل كل يعمل على شاكلته﴾ أي نفسيته التي صنعت بفعل التربية الفاسدة والمعاصي ، وإذا وجه الإنسان في صغره الوجهة الصحيحة كان سعيداً في كبره وإلا كان شقياً ، فالدور المهم في انحراف الأبناء ناشيء من مسامحة الآباء في هداية غرائزهم وميولهم ومن تأثير المحيط ، بالإضافة إلى أفعال الإنسان نفسه وتأثيرها في تشكيل نفسه وصفاته النفسية ، فالأفعال المنحرفة تخلق حالة نفسية منحرفة تدعو للمعصية .

ولكن كل هذه العوامل ليس لها التأثير الجبري في نفسية الإنسان ، بل لها تأثير استعدادي واقتضائي ، فحتى لو نشأ في بيئة فاسدة أو كان منحرفاً ومرتكباً للمعاصي وتغيرت نفسيته حسب هذه العوامل ولكنه في المستقبل يمكنه تغيير نفسيته إلى طريق الصلاح والهداية ، وإن كانت معاناته أكثر من ذلك الفرد الذي نشأ في بيئة صالحة أو كان ملتزماً منذ صغره ، حيث تكون مخالفته للمعصية أكثر عناءاً أو مشقة ، ولمجاهدة النفس والتعود على الملكات الفاضلة ، وترك الرذائل والأخلاق والأعمال الفاسدة الأثر الكبير في تغيير نفسه ، لأن نفس الإنسان ملائمة لأعماله ، لتأثير الأعمال الخارجية على شكل نفسيته وشاكلته ، للتأثير المتبادل بين النفس والبدن ، والأعمال البدنية والصفات النفسية .

ومن هنا عليه مجاهدة النفس ، والتعود على الأعمال الصالحة وترك الرذائل ، فعن الرسول ﷺ «الخير عادة» من خلال ما ذكرناه من عدم التعرض للمثيرات المحرمة والاستجابة لغرائزه من خلال الحدود المشروعة ، تطهر نفسيته وصفاته النفسية ، ولا تنطلق منها إلا الإحياءات

الطاهرة .

وعليه أن يحذر من التماذي في المعصية والرديلة والجريمة لئلا تصل نفسه من خلال هذا التماذي إلى حالة القسوة والرين بالمصطلح القرآني ، بحيث لا يوفق للتوبة بعد ذلك أبداً . بل ربما أدى به هذا التماذي إلى حالة الجحود العقائدي أيضاً فضلاً عن الفسق العملي كما ذكرنا ، فإن بعض النصوص تدل على أن ارتكاب الذنوب كثيراً ، وتكرارها ، ربما أدى إلى حالة تحجر القلب وقسوته ، بحيث لا تخطر التوبة فيه بعد ذلك ، وتصبح المعصية ملكة نفسية راسخة ، تشد الإنسان إليها ، وقد عبر القرآن الكريم عن هذه الحالة بتعبيرات عديدة ، منها القسوة ﴿ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة﴾ ﴿ولكن قست قلوبهم وزيين لهم الشيطان ما كانوا يعملون﴾ ﴿فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله﴾ ومنها الختم ﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم﴾ ﴿والطبع (وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون)﴾ ﴿اولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم﴾ ﴿كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار﴾ ﴿وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون﴾ والرين ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ ، وعن الإمام الصادق عليه السلام «إذا أذنّب الرجل خرجت في قلبه نكتة سوداء فإن تاب انمحت وإن زاد زادت حتى تغلب على قلبه فلا يفلح أبداً» (١) .

لذلك ، قبل أن يصل الإنسان في نفسه لهذه المرحلة عليه إصلاحها وتوجيهها في طريق النور والهداية ، وهي تحصل من التعرف على الثقافة الإسلامية والعقائدية الصحيحة ، والتعود على ممارسة الأعمال الصالحة ، والأجواء الإسلامية ، وترك الأعمال المنحرفة والأجواء المثيرة للانحراف وأمثالها من الأساليب .

عقد الصيانة

✽ الشيخ مرتضى الترابي

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد
وآله الأطهار.



عقد الصيانة

من المعاملات المستحدثة عقد الصيانة ، والبحث عنه يقع من
ناحيتين:

- ١ - حقيقة الصيانة وأنواعها.
- ٢ - حكمها من ناحية الشريعة المقدسة.

أهمية الصيانة

الأدوات والأجهزة المستحدثة في حياتنا الفردية والاجتماعية؛
كأدوات المنزل ووسائل الانتاج والنقل، ووسائل الحرب، والآلات المهنية

المختلفة قد تحولت من وسائل بسيطة إلى أجهزة معقدة فهي تستوجب المراجعة من قبل المتخصصين لصيانتها وتعميرها، وربما تبديل بعض قطعها وكذلك الحال بالنسبة إلى حفظ المشاريع الصناعية والعمرانية. ولذا كانت فكرة عقد الصيانة من لوازم الاستفادة الصحيحة من هذه الأجهزة الحديثة والمتطورة ، ومن لوازم حفظ المشاريع الصناعية والعمرانية المهمة ودوامها ، تجنب حصول العطل فيها بسبب عدم توفر المتخصص أو قطعة الغيار التي يلزم تبديلها في وقت الحاجة.

تعريف الصيانة

الصيانة هي الاتفاق في عقد مستقل أو في ضمن عقد معين بين الشركة أو المتخصص وبين صاحب المال للقيام بخدمات الإدامة وإصلاح المال في مدة معينة لكي يبقى صالحاً للاستفادة المطلوبة في مقابل أجره معينة.

أنواع الصيانة

الاتفاق على الصيانة يمكن أن يتحقق بصور مختلفة لكل منها آثار وأحكام خاصة. فإن الاتفاق على الصيانة كما يمكن أن يتحقق في ضمن شرط في عقد بيع أو إجارة ، كذلك يمكن أن يتحقق في عقد مستقل . وكذلك الملزم به كما يمكن أن يكون صرف استعداد المتخصص للقيام بخدمات الصيانة ، مع كون أجره العمل خارجاً عن الاتفاق ، كذلك يمكن أن يكون مشتملاً على أجره عمل الصيانة فيكون الاتفاق على الصيانة ملحوظاً فيه أجره الإصلاح وتبديل قطع الغيار أي لا تكون لهما أجره مستقلة.

فقبل الدخول في البحث نشير إلى الأشكال المختلفة للاتفاق على الصيانة ثم نتعرض لأحكامها.

الأشكال المختلفة للاتفاق على الصيانة

الشكل الأول: الاتفاق على الصيانة كعقد مستقل بين صاحب المال والشركة أو المتخصص على مجرد عرض خدمات الإدامة ، ويكون الإصلاح وتعويض قطع الغيار عند اللزوم بأجرة مستقلة عن أجرة الخدمات المتفق عليها في ذلك العقد .

الشكل الثاني: نفس الصورة السابقة مع كون أجرة الإصلاح وتبديل قطع الغيار وسائر الخدمات منضمّاً إلى أجرة الخدمات في عقد واحد.

الشكل الثالث: كون الصيانة شرطاً في ضمن عقد البيع أو الايجار وكان المشروط به هو الاستعداد لتوفير خدمات الصيانة عند الحاجة مع كون أجرة الإصلاح والخدمات وثمان قطع الغيار مستقلة عن هذا العقد.

الشكل الرابع: نفس الصورة السابقة مع كون أجرة الإصلاح والخدمات داخلة في العقد الأوّل أي عقد البيع والايجار الذي قد اشترط فيه الصيانة.

الشكل الخامس: كون عقد البيع أو الايجار مشروطاً بتبديل أو اصلاح المبيع أو المال المستأجر عليه لو طرأ عليه عيب معيّن إلى مدة معلومة بدون أخذ الأجرة أو الثمن على ذلك ، وهو ما يسمى بضمانة الصيانة لمدة معلومة . وتفترق هذه الصورة عن الصورة السابقة في أن الملحوظ فيه هو التحفظ عن العيوب المخفية أو العيوب غير المتوقعة في المبيع، ويكون هذا الشرط بنحو شرط النتيجة ، أي كون ذمة البايع مشغولة بالتبديل أو الإصلاح فيما لو طرأ على المبيع عيب ، وهذا بخلاف الصورة السابقة فإن الشرط فيه على نحو شرط الفعل ، أي تعهد المشروط عليه

بالقيام بالفعل وهو التعمير والإصلاح بدون أن يكون هناك اشتغال ذمة -
أي ضمان بشيء وضعاً - والملحوظ فيه هو المحافظة على المبيع بإجراء
خدمات الادامة.

وبما أن أحكام بعض هذه الأشكال متداخلة ؛ لذا نعقد البحث في ثلاث
صور :

الصورة الأولى : الاتفاق على الصيانة في عقد مستقل

كما لو تم بين مالك الجهاز وبين المهندس المتخصص أو الشركة
اتفاق على أن يقوم المهندس أو الشركة بخدمات الادامة في فترات معينة
وتبديل قطع الغيار عند الحاجة في مقابل أخذ أجرة معينة إلى مدة
معلومة.

حقيقة هذا الاتفاق وحكمه الشرعي :

لمعرفة الحكم الشرعي لهذا النوع من التعاقد الذي هو من المعاملات
المستحدثة لابد من اتباع الطرق الآتية :

أولاً: عرض هذه المعاملة على المعاملات الشرعية التي كانت قائمة في
ذلك الوقت والمقارنة بينهما لمعرفة حقيقة هذه المعاملة .

ثانياً: تطبيق إحدى القواعد العامة على هذا العقد لو لم نجد ما يماثلها
في الإسلام .

ثالثاً: وبعد العجز عن الوصول إلى نتيجة عبر هذين الطريقتين يتم
الانتقال إلى الأصول العملية .

عرض عقد الصيانة على المعاملات الشرعية :

قد يقال: إن هذا الاتفاق إذا تحقق في عقد مستقل هو نوع من الأيجار

بين صاحب المال كمستأجر ، وبين المتخصص أو الشركة كأجير في مدة معينة للقيام بخدمات الادامة في فترات معينة ، وكذلك الإصلاح وتغيير قطع الغيار عند اللزوم كإجارة الخياط نفسه لخياطة الثوب أو الحارس للحراسة عن مال خاص ، فأركان الإجارة من حيث وجود المستأجر والأجير والمنفعة ، وهي الصيانة التي تكون متعلق التملك هنا، متوفرة.

لكن التحقيق هو أنه لا يمكن ارجاع بعض أقسام الصيانة كالشكل الثاني إلى الإجارة الصحيحة ، من جهة عدم وجود التحديد في ناحية المنفعة ، لاشتمالها على القيام بالإصلاح وتغيير قطع الغيار عند اللزوم بدون أخذ ثمن قطعة الغيار أو أجره الإصلاح مستقلة عن عقد الصيانة ، فعقد الصيانة حينئذ يشتمل على تملك عين ومنفعة غير محددة، والحال أنه لا بد في عقد الإيجار من كون متعلق الإجارة منفعة محددة.

على أن المرجع في تشخيص حقيقة المعاملات هو العرف وكيفية الإنشاء الرائج بين الناس ، والعرف لا يرى عقد الصيانة داخلاً في باب الإجارة لأن الإجارة في نظر العرف تتقوم بحصول سلطنة فعلية منجزة على المنفعة والحال أن عقد الصيانة لا ينتج سلطنة من هذا القبيل .

ومجرد الامكان العقلي لإنشاء هذه المعاملة (الصيانة) على نحو الإجارة أو الصلح لا يغير نظر العرف والواقع في الخارج من عدم وقوع عقد الصيانة بهذه الصياغة ، إذ العقود أمور اعتبارية يتبع حقيقتها الاعتبار الموجود في الخارج وكيفية الإنشاء ، وليست لها حقائق منفصلة عن الاعتبار والإنشاء حتى يكون هو الملاك والموضوع . بل لكل عقد حقيقته الاعتبارية التي لا بد لتشخيصها من مراجعة العرف وكيفية الإنشاء المتعارف عندهم .

فمجرد التشابه بين عقدين في بعض الأركان لا يجعلهما يحملان عنواناً واحداً . فمثلاً عقد النكاح الدائم وإن كان هو تملك البضع وهي منفعة ، ولكنها لا تسمى إجارة شرعاً ولا عرفاً بل هو عقد مستقل له أحكامه الخاصة وكذلك عقد المزارعة والمساقاة .

ومن هنا علم أن ارجاع هذا العقد إلى الجعالة أو الهبة المعوضة أو الصلح أيضاً لا يخلو من تعسف وذلك لعدم مساعدة العرف وكيفية انشاء الواقع في الخارج على ذلك .

فالصحيح هو أن عقد الصيانة من العقود المستحدثة التي لها خصوصيات تجعلها متميزة عن العقود الأخرى . فهذا العقد بهذه الصورة ليس بيعاً ولا إجارة ولا غيرهما وإنما هو عقد مستقل له كيانه الخاص وشروطه وآثاره الخاصة به ، ولا ينبغي صهره في بوتقة عقد آخر . نعم باعتباره عقداً لا بد من توافر أركانه وهي : العاقدان والمعقود عليه والایجاب والقبول ، وكذلك شروطه العامة . ولا بد من البحث عن حكمها الشرعي كعقد مستقل مستحدث .

عرض عقد الصيانة على القواعد العامة :

الصحيح أن عقد الصيانة وإن كان عقداً مستحدثاً ولكنه عقد شرعي كسائر العقود التي لا اشكال في شرعيتها وذلك لأنه عقد مشتمل على الايجاب والقبول وسائر الأركان والشرائط اللازمة لصحة العقد ، فيكون مشمولاً للعمومات القاضية بالوفاء بالعقد مثل قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ... ﴾ (١) .

(١) المائدة : ١ .

وقول النبي ﷺ: «المؤمنون عند شروطهم»^(١) «والمسلمون عند شروطهم»^(٢).
 وكونه عقداً مستحدثاً غير معهود في زمن النبي ﷺ لا يوجب عدم
 شمول إطلاق وعموم تلك الأدلة لمثل هذا العقد. فإن الظاهر من قوله
 تعالى ﴿أوفوا بالعقود﴾ إن الموضوع للوفاء هو كل انشاء امكن اتصافه
 بكونه عقداً سواء كان متداولاً أم غير متداول، فإن قيد التداول أمر زايد
 يحتاج بيانه إلى دلالة زائدة، ومع فقدها يؤخذ بظاهر العموم في كلمة
 العقود، ويحكم بصحة كل عقد ما لم يكن فيه خلل ممنوع شرعاً من قبيل
 الربا أو الغرر أو نحوه. واحتمال كون اللام في العقود للإشارة إلى
 العقود المتعارفة في زمن نزول الوحي خلاف المتبادر منه عند الإطلاق.
 على أن النظر في الأدلة الواردة في المعاملات يدلنا على أن الأصل في
 المعاملات هو امضاء ما تعارف بين الناس من أصناف المعاملات
 والتجارات والحكم بصحته، إلا في موارد خاصة مثل استلزامه للربا أو
 الغرر أو ما شاكل ذلك من المحظورات الشرعية.

ولا يفرق في البين بالنسبة إلى الالتزام بألفاظ خاصة سواء في
 الإيجاب أو القبول ولا داعي للاقتصار على لفظ خاص بعد أن كان
 للمنشئ أن يبرز ما في نفسه بأي مبرز كان.

ولكن قد يشكل في صحة هذه المعاملة من جهة كونها مشتملة على
 الغرر والتعليق، أما الغرر فلعدم معلومية مقدار الحاجة إلى الإصلاح
 وتبديل ما ينبغي تبديله من قطع الغيار. وأما التعليق فلكون التعمير
 والإصلاح معلقاً على طرو العيب، فالمعاملة باطلة من ناحية اشتمالها

(١) الوسائل الباب ٤٠ من أبواب المهور كتاب النكاح.

(٢) الوسائل، الباب ٦ من أبواب الخيار. صحيح البخاري مع الفتح كتاب الاجارة ٥١٦:٢، سنن أبي

داود مع عون المعبود ٥١٦:٩، الحاكم ٤٩:٢.

على ما هو محظور شرعاً من الغرر والتعليق في المعاملة.

ولكن التحقيق أن ما ذكر لا يصلح أن يكون موجباً لفساد المعاملة.

أما لزوم الغرر فأولاً: إن متعلق العقد ليس هو الصيانة الخارجية، بل هو عبارة عن استعداد الشركة أو الشخص للقيام بالخدمات اللازمة للإدامة وإصلاح الأجهزة وتبديل قطع الغيار عند الحاجة، وهو أمر معلوم معين ليس فيه جهالة وخطر في نظر العرف، نظير استئجار شخص للحراسة، فإن الحراسة هو القيام بالحفظ والاستعداد لمواجهة مع اللصوص، وعدم معلومية وجود لص لا يوجب الجهالة في متعلق العقد وهو الحراسة عرفاً.

وثانياً: النسبة المئوية لاحتمال طرو العيب في الأجهزة معلومة أو قابلة للتخمين، وذلك من خلال التجربة والاحصائيات والاختبارات العلمية الحديثة، ومع امكانية كهذه لا يكون الاقدام على عقد من هذا القبيل اقداماً على أمر مجهول فيه خطر.

هذا مع أن الدليل القائم على ممنوعية الغرر في المعاملة هو الحديث المروي عن النبي ﷺ: بأنه نهى عن بيع الغرر^(١). وهو - مع ما في سنده من مناقشة - مختص بباب البيع ولا مجال للتعدي عن البيع إلى المعاملات الأخرى، كما نبه عليه الفقهاء في كتبهم.

اما لزوم التعليق:

فقد ظهر جوابه مما سبق، وهو أن متعلق المعاملة في ما نحن فيه ليس هو إلا الصيانة، أي استعداد الشركة أو الشخص للقيام بالخدمات

(١) وسائل الشريعة الباب ٤٠ من أبواب التجارة حديث ٣.

اللازمة عند الحاجة ، وهو أمر منجز غير معلق على شيء مثل الحراسة .
نعم القيام بالإصلاح الذي هو من لوازم الصيانة المنجزة معلق على طرو
العيب ، ولكنه ليس متعلق العقد عرفاً بل هو من لوازم المتعلق .

ملاحظة وجواب :

يمكن أن يُشكل في صحة عقد الصيانة بأنه جُمع فيه بين تمليك منفعة
وعين ، فيكون إيجاراً وبيعاً معاً ، وهذا لا يصح لأنه يكون من باب
الصفقتين في صفقة واحدة . وقد روي أنه نهى النبي ﷺ عن صفقتين في
صفقة وعن بيع وسلف^(١) .

توضيح ذلك إن الصائن يقوم بأمرين :

الأول : هو الإصلاح وخدمات الادامة مما يرجع إلى تمليك المنفعة .

والثاني : تبديل قطع الغيار ، وهو يرجع إلى تمليك العين الخارجية
فيكون إجارة وبيعاً معاً .

ولكن هذه الملاحظة غير تامة ، وذلك لأن الجمع بين تمليك العين
والمنفعة لا يوجب تعدد الصفقة ما لم يوجب تعدد الايجاب والقبول
والمثمن والثمن ، بل هو صفقة واحدة بإيجاب وقبول واحد والثمن
والمثمن فيها أيضاً متحد^(٢) .

أما الجمع بين الصفقتين في صفقة واحدة إنما يصدق فيما لو كان
هناك صفقتان لكل منهما ايجاب وقبول وثمن ومثمن ، ولكن ربط
أحدهما بالآخر في مقام الإنشاء ، كأن يبيع أحد المتعاملين شيئاً للآخر

(١) مسند أحمد .

(٢) قال الشهيد الثاني في المسالك ٣ : ٢٨٦ : « فإن التعدد في البيع بتعدد البائع وتعدد المشتري
ويتعدد العقد » .

على أن يبيع الآخر شيئاً منه كما يقول : أبيعك لك داري على أن تبيعني دابتك مثلاً. أو أن المراد منه أن يبيع شيئاً بثمانين أحدهما نقداً والآخر نسيئة بأيهما شاء المشتري أخذ من دون أن يوجب أحدهما ويجعله قطعياً . وقد ورد النهي عنه في روايات كثيرة . وقد فسر هذا الحديث - نهى النبي ﷺ عن صفقتين في صفقة - وكذا نهى النبي ﷺ عن بيعين في بيع بأحد هذين المعنيين غير واحد من العلماء (١) .

على أن هذا الحديث أي نهى النبي ﷺ عن صفقتين في صفقة غير ثابت من حيث السند وغير معمول به عند علمائنا (٢) . وقد صرح أكثر فقهاءنا بصحة الجمع بين البيع والاجارة في صفقة واحدة .

وقال المحقق ﷺ في شرائع الإسلام «ولو جمع بين شيئين مختلفين في عقد واحد بثمان واحد . كبيع وسلف أو اجارة وبيع أو نكاح صح» (٣) . وقال الشهيد الثاني في ذيل هذا الكلام : «لا خلاف عندنا في صحة ذلك كله لأن الجميع بمنزلة عقد واحد ، والعوض فيه معلوم بالإضافة إلى الجملة وهو كاف في انتفاء الغرر والجهالة» (٤) .

(١) ذكر المعنيين معاً ابن الأثير في النهاية ١ : ١٧٢ وفي مسند أحمد حديث ٣٥٩٥ في ذيل حديث نهى النبي (ص) عن صفقتين في صفقة واحدة : «قال اسود قال شريك قال سماك الرجل يبيع البيع فيقول هو بنساً بكذا وكذا وهو بنقد بكذا وكذا» وقد نقل في فتح القدير ٥ : ٢١٨ هذا المعنى أبي نعيم أبي عبيد القاسم بن سلام .

(٢) نعم حديث نهى النبي (ص) عن بيعين في بيع مروي عندنا بالطريق الموثق وسائل الشيعة ١٨ : حديث ٢٣٠٨٥ ، ملاذ الأخبار ١١ : ٤٤٤ ولكنه غير مربوط بالمقام كما هو واضح ، على أن المراد منه أحد المعنيين اللذين ذكرناهما في معنى الحديث أي أن يبيع شيئاً بثمانين أحدهما نقداً والآخر نسيئة بأيهما شاء المشتري أخذ ، أو أن يبيع شيئاً للآخر على أن يبيع الآخر شيئاً منه . (٣) شرائع الإسلام كتاب التجارة ، أحكام العقود .

(٤) مسالك الإفهام ٢ : ٢٨٠ .

فتحصل مما ذكرنا أن الصيانة كعقد مستقل من العقود المستحدثة التي لها مميزاتها الخاصة التي لا توجد في المعاملات المعهودة ، ولكن مع ذلك هو عقد صحيح ولازم تشمله أدلة الوفاء بالعقود ، وليس فيه خلل يوجب الحكم بالفساد شرعاً.

نعم من ذهب إلى توقيفية العقود وأن المشروع من العقود هي العقود المتداولة في عصر نزول الوحي ؛ فله أن يرجع العقود المستحدثة إلى إحدى العقود المعهودة كالصلح مثلاً وأن يوصي المتعاقدين الملزمين بالأحكام الشرعية أن يغيروا صياغة الإنشاء لكي يندرج العقد حقيقة في تلك العقود حتى يكون صحيحاً.

الصورة الثانية : الاتفاق على الصيانة كشرط في ضمن البيع أو الاجارة (بنحو شرط الفعل)

كما لو اشترى جهازاً بشرط أن يكون البائع أو وكيله ملزماً بالقيام بخدمات الادامة والإصلاح إلى مدة معينة (بدون أخذ أجره الإصلاح أو ثمن قطع الغيار مستقلاً أو مع أخذها بنحو شرط الفعل)^(١).
الصحيح إن هذه معاملة صحيحة مقترنة بالشرط فتشملها أدلة وجوب الوفاء بالعقد والشرط .

ولكن قد يُشكل في صحة هذا النوع من التعاقد من جهة توجه نفس

(١) أي كون المشروط عليه (البائع) ملتزماً بالقيام بفعل من دون أن تكون ذمته مشغولة وضعاً بشيء فيما لم يحم بذلك بالاختيار، أو لمانع إن شرط الفعل في العقود لا يقتضي أكثر من الوجوب التكليفي والعصيان عند المخالفة بخلاف شرط النتيجة والغاية من الفعل، كاتفاق العبد أو كون المال الفلاني لأحد المتعاقدين، فهو اشتراط كون ذمة المشروط مشغولة بشيء وضعاً على ما يأتي توضيحه في الصورة الآتية. نعم يكون للمشتري خيار تخلف الشرط على كل حال عند عدم الوفاء به.

الاشكالات التي ذكرناها في الصورة الأولى أي الغرر والتعليق وكونه صفتين في صفقة واحدة . ولكن بما أن بين المقامين فرقاً من ناحية مصب الاشكال وبعض الأجوبة نشير إليها مع جوابها:

الاشكال الأول :

إن هذا الشرط يستلزم الغرر ، والغرر موجب لفساد المعاملة .

والجواب :

أولاً: إن ممنوعة الغرر شرعاً الثابت بحديث نهى النبي ﷺ عن بيع الغرر ، تختص بالقرار الأصلي المعاملي أي المبادلة بين الثمن والمثمن ، أما الشروط الضمنية فما دامت لا توجب حصول الغرر في المشروط أي القرار الأصلي في المعاملة ، فلا يشمل هذا النهي .

توضيح ذلك: إن الغرر في الشرط قد يؤدي إلى حصول الغرر في المشروط وقد لا يؤدي إلى ذلك ، مثلاً لو باع الدار بثمن معين واشترط على المشتري خياطة ثوب ودار أمر الخياطة بين نوعين من الخياطة «كالخياطة بدرز أو درزين مثلاً» على نحو الاجمال ، فإن الغرر في الشرط بلحاظ اختلاف قيمته لو ثبت ؛ لا يوجب تحقق الغرر في البيع نفسه ، لأن الاختلاف في قيمة الخياطة يكون ضئيلاً بالنسبة إلى قيمة الدار ، ولا يلزم من زيادتها أو نقصانها الغرر في أصل المعاملة .

فإن شرط الصيانة في المقام وإن كان فيه اجمال من ناحية عدم معلومية طرو العيب ، ولكن ليس بحد يوجب الغرر في أصل المعاملة لعدم وجود أي خطر عرفاً فيه على المتعاملين .

ثانياً: لا غرر في الشرط أيضاً بعد معلومية درجة احتمال طرو العيب بالتجربة أو الاحصائيات . إذ الصانع يعرف بالتجربة والاحصائيات

مقدار احتمال طرو العيب والاحتياج إلى الإصلاح ، فأقدامه على شرط
الصيانة إقدام على أمر معلوم ليس فيه خطر عرفاً.

الاشكال الثاني :

وقد يُشكل في صحة هذه المعاملة من جهة اشتمال شرط الصيانة
فيها على التعليق ، إذ القيام بالصيانة معلق على بروز العيب وليس
بمنجز ، والتعليق في العقود يوجب بطلانها.

والجواب :

أولاً : لا نسلم وجود التعليق في مثل هذه الشروط التي يلتزم أحد
المتبايعين بالقيام بفعل على تقدير حصول شيء في الخارج ، وذلك لأن
الشرط هنا هو «الالتزام» والالتزام أمر فعلي منجز يعلمان بتحقيقه ، إنما
التعليق في متعلق هذا الالتزام وهو الفعل في الخارج . كما هو كذلك في
الواجب المعلق في التكاليف ، وببيان آخر أنه وقع هناك التزام مطلق من
أحد المتبايعين بحصة خاصة من الفعل لا الفعل المطلق حتى يكون أصل
الالتزام معلقاً^(١).

ثانياً : إن الشرط هو عنوان الصيانة مثل الحراسة وهو عنوان فعلي
منجز ، وإن كان بعض لوازم هذا العنوان كالقيام بالإصلاح أو تغيير
قطعة الغيار معلقاً على طرو العيب ، فهو كالأجارة على الحراسة ، فإن
الحراسة عنوان منجز فعلي وإن كان بعض لوازمه كدفع اللص معلقاً
على وجوده.

(١) قال الشيخ الأنصاري (ره) في دفع ما قيل لاعتبار التنجيز في الشروط: ويندفع بأن الشرط هو
الخطا على تقدير المجيء (فيما لو باع شيئاً بشرط الخطا على تقدير مجيء زيد مثلاً) لا
الخطا المطلقة ليرجع إلى التعليق إلى أصل المعاوضة الخاصة ، راجع المكاسب : ٢٨٢ .

وثالثاً: لا دليل هناك على اعتبار التنجيز في المعاملات غير الاجماع، والاجماع المدعى على بطلان التعليق يختص بالقرارات المستقلة في العقود والايقاعات، ودعوى سريان التعليق من الشرط إلى العقد المتضمن له لأنه جزء من أحد العوضين أو استلزامه المبادلة بثمنين على تقديرين، مما لا دليل عليه عرفاً ولا شرعاً.

وتدل على صحة التعليق في الشرط بالإضافة إلى ما ذكر بعض الروايات الخاصة المنقولة من أهل بيت النبي ﷺ، كصحيحة سليمان بن خالد عن أبي عبد الله عليه السلام^(١) قال: سألته عن رجل كان له أب مملوك وكان لأبيه امرأة مكاتبة قد أدت بعض ما عليها فقال لها ابن العبد: هل لك أن أعينك في مكاتبتك حتى تؤدي ما عليك بشرط أن لا يكون لك الخيار على أبي إذا أنت ملكت نفسك؟ قالت: نعم. فأعطاهما في مكاتبتهما على أن لا يكون لها الخيار عليه بعد ذلك، قال عليه السلام: لا يكون لها الخيار، المسلمون عند شروطهم^(٢).

الإشكال الثالث:

كون المعاملة مع هذا الشرط من الصفقتين في صفقة واحدة، وهو منهي عنه في الشرع وموجب لبطلان المعاملة.

بيان الاشكال: ذهب الحنفية والشافعية إلى أن كل شرط في المعاملة لا يقتضيه العقد ولا يلائمه، وليس مما ورد في الشرع جوازه ولا مما جرى

(١) وسائل الشريعة ١٦: باب ١١، أبواب المكاتبة، حديث ١.

(٢) وقد استدلل المحقق النائي (ره) بهذا الحديث على نفوذ الشرط مع التعليق (منية الطالب ٢: ١٢٦)، والأمر كما أفاده (ره) حيث تضمنت الصحيحة صريحاً تعليق الشرط - عدم الخيار - على حرיתה وملكها لأمرها.

به التعامل بين الناس^(١) وفيه منفعة لأحد المتعاقدين موجب لبطلان المعاملة ، فإن اشترى ثوباً مثلاً وشرط أن يخطه البائع قميصاً يكون هذا الشرط فاسداً ومفسداً للمعاملة . وذلك لأنه إن كان بعض البدل بمقابلة العمل المشروط فهو إجارة مشروطة في العقد، وإن لم يكن بمقابلة شيء من البدل فهو إجارة مشروطة في البيع ، وهو مفسد للعقد^(٢) لأنه من الجمع بين صفتين في صفقة واحدة المنهي عنه شرعاً . حيث روي عن النبي ﷺ أنه نهى عن بيع وشرط^(٣) ، وكذلك روي أنه ﷺ نهى عن صفقتين في صفقة^(٤) وفي رواية أخرى عن بيعتين في بيعة واحدة^(٥) .

ولكن يمكن الإجابة عن هذا الاشكال بأن الرواية الأولى - أي نهى النبي ﷺ عن بيع وشرط - وكذلك الرواية الثانية - أي نهيه ﷺ عن صفقتين - في صفقة منها غير ثابتة عندنا من حيث السند، وغير معمول به عن علمائنا^(٦) فإنه لو تم هذا المعنى وكان المراد هو النهي عن أخذ

(١) المراد من هذه القيود والاستثناءات على ما بين في المصادر الفقهية هو كما يلي :

معنى كون الشرط مما يقتضيه العقد هو كل شيء يقتضيه العقد بلا شرط، كاشتراط تسليم المبيع على البائع وتسليم الثمن على المشتري ، فإن العقد يقتضي ذلك بصيغته، فإن اشترط ذلك كان صحيحاً . ومعنى كون الشرط ملائماً للعقد كونه مؤكداً لما يوجب للعقد، كما لو باع شيئاً بشرط أن يرهن المشتري عنده رهناً فإن ذلك الشرط يؤكد معنى البيع . وأما ما ورد في الشرع جوازه كشرط الخيار، وأما ما جرى به التعامل عند الناس كما إذا اشترى جزمة بشرط أن يخط البائع إزارها فإن الشرط في ذلك متعارف فيصح . (يراجع: الفقه على المذاهب الأربعة للجزيري ٢: ٢٢٦ وشرح فتح القدير ٦: ٧٧ .

(٢) يراجع: المبسوط ١٢: ١٩٩ و ١٣: ١٨ .

(٣) مجمع الزوائد ٤: ٨٥ .

(٤) مسند أحمد حديث ٣٥٩٥ .

(٥) سنن الترمذي حديث ١١٥٢ ومسند أحمد ٦٣٣٩ .

(٦) أما الرواية الثالثة وإن كانت تامة من حيث السند، كما صرح بذلك العلامة المجلسي في ملاذ الأخبار ١١: ٤٤٤ ولكنه غير مربوطة بالمقام إذ لا يتصور في ما نحن فيه تحقق بيعين في بيعة واحدة على أي تقدير، على أن الحديث لا ربط له بأخذ الشرط في العقد أصلاً كما يأتي توضيحه.

الشرط في البيع؛ لشاع هذا الحكم بين المسلمين، واشتهر عندهم، وصار من الضروريات كالنهي عن الربا لكثرة ابتلائهم به . إذ من المعلوم أن السيرة العقلائية قد استقرت مدى الأعصار على التعامل مع الشروط التي تجر نفعاً لأحد المتعاملين، والنهي عن أمر شائع كذلك يحتاج إلى تأكيد أكثر وتكرار في مختلف الأزمنة ، وكذلك هو موجب لكثرة السؤال عن هذا الموضوع خصوصاً مع ملاحظة أن مركز ظهور الإسلام أي مكة المكرمة كان مركزاً للتجارة، ومع فقد هذه الشهرة يطمئن بعدم صدور هذا النهي من النبي ﷺ أو عدم دلالة على هذا المعنى .

على أن كون المراد من قوله عن بيع وشرط ، هو أخذ الشرط في عقد البيع مع كون النهي مطلقاً غير مقيد بشيء يلزم منه تخصيص الأكثر المستهجن عرفاً في التخاطب، فإن الشروط الجائزة المتفق على صحتها في جميع المذاهب كثيرة جداً . فالصحيح أن المراد من النهي عن بيع وشرط على تقدير صحته هو النهي عن شرط خاص كان متداولاً في ذلك الزمان مثل اشتراط زيادة الثمن على تقدير التأخير في أداء الثمن لا مطلق الشرط^(١) .

وأما ما يقال من أنه إن كان بعض البذل بازاء العمل المشروط فهو اجارة مشروطة في العقد، وإن لم يكن بمقابلة شيء من البذل فهو إعارة مشروطة في البيع وهو مفسد للعقد^(٢)، لأنه من الجمع بين صفتين في

(١) كما هو المراد من حديث نهى النبي (ص) عن بيع وشرطين، وتدل على هذا المعنى بعض الروايات الواردة من طريق الأئمة من أهل البيت (ع) ، كرواية السكوني عن جعفر عن أبيه عن أبياته (ع) «أن علياً (ع) قضى في رجل باع بيعاً واشترط شرطين بالنقد كذا وبالنسيئة كذا، فأخذ المتاع على ذلك الشرط فقال : هو بأقل الثمنين وأبعد الأجلين...» تهذيب الأحكام ٧ : ٦٤ .

(٢) يراجع : المبسوط ١٣ : ١٨٠ .

صفقة واحدة فغير تام . وذلك :

أولاً: إن أخذ الشرط في المعاملة لا يوجب تعددها وخروجها عن كونها صفقة واحدة مع عدم تعدد الايجاب والقبول ووحدة الثمن والمثمن .

وثانياً: فلما حققه فقهاؤنا من أن الثمن لا يقسط على الأوصاف والشروط، ولكن مع ذلك الوصف أو الشرط دخيل في ازدياد ثمن أصل المال بنحو الحيثية التعليلية .

بيان ذلك

إذا باع أحد متين من أرز بدينارين فإنه هنا يقسط الثمن أي الدينارين على المثمن وهو الارز ، فيقال : إن كل من من الأرز هو بدينار فازدياد الثمن منوط بازدياد الارز قلة وكثرة. فدخل ازدياد مقدار الارز في ازدياد الثمن دخل تقييدي، ويقال إن هذا الدخل بنحو الحيثية التقييدية .

أما إذا باع المتين من الأرز من النوع الجيد بثلاثة دنانير وباع المتين من الأرز ذي النوع المتوسط بدينارين فأن اتصاف الارز بكون نوعه جيداً دخل في ازدياد الثمن، ولكن دخله ليس بنحو يقسط عليه الثمن عرفاً بل يقال : إن الارز الجيد بدينار ونصف ، فالوصف يكون علة في ازدياد ثمن أصل المال لا أن يقابل نفسه بمال ، وهذا ما يصطلح عند علمائنا بأن دخل الأوصاف والشروط في ازدياد الثمن بنحو الحيثية التعليلية لا التقييدية.

فعلى هذا لا يصدق كون بعض البذل بمقابلة العمل المشروط حتى يكون اجارة مشروطة في العقد ، ولا يكون العمل المشروط مجانياً، ومما ليس له دخل في البذل أصلاً حتى يكون اعارة ، بل له دخل في ازدياد أو

نقصان قيمة أصل المال وإن كان ليس بإزائه مال ، فعلى هذا لا يكون أخذ الشرط في المعاملة موجباً لتعدد الصفة أصلاً . أما معنى الصفقتين في صفقة واحدة فليس هو اشتمال المعاملة على شرط يوجب انتفاع أحد المتعاملين ، بل معناه - كما مر الإشارة إليه - هو إما أن يبيع شيئاً بثمانين أحدهما نقداً والآخر نسيئة بأيهما شاء المشتري أخذ من دون أن يوجب أحدهما ، أو أن المراد منه هو أن يبيع أحد المتعاملين شيئاً للآخر على أن يبيع الآخر شيئاً منه ، وعلى أي حال لا ربط لهذا الحديث بأخذ الشرط في العقد أصلاً .

الصورة الثالثة : ضمان الصيانة لمدة معلومة

في ما إذا كان عقد البيع أو الاجارة مشروطاً بتبديل أو إصلاح المبيع أو المال المستأجر عليه لو طرأ عليه عيب معين إلى مدة معلومة بدون أخذ اجرة أو ثمن على ذلك ، والشرط هنا - كما مرّت الإشارة إليه سابقاً - بنحو شرط النتيجة لا الفعل ، ولذلك لو لم يقم البائع بتبديل أو إصلاح السلعة المباعة وفقاً للشرائط المعينة ؛ يعد مديوناً أي تكون ذمته مشغولة بذلك . فليس هو مجرد وجوب تكليفي فحسب ، بل إن الشرط هنا هو أولاً وبالذات هو الحكم الوضعي ، أي كون ذمة البائع مشغولة بالتبديل ، والحكم التكليفي يترتب على ذلك ثانياً ، من وجوب القيام بتفرغ الذمة عند طلب من له الشرط .

هذا النحو من الشرط أيضاً صحيح عندنا ، لشمول الأدلة العامة للوفاء بالعقود والالتزام بالشروط له ، أما الاشكال من ناحية وجود خلل فيه من حيث الغرر والتعليق فقد ظهر جوابه مما ذكرناه في الصور السابقة .
بقي هنا بحث ، وهو أنه في هذه الصورة قد يكون البائع هو الصانع أو

وكيله الذي يلتزم بضمان الصيانة أي تبديل السلعة على تقدير ظهور العيب في السلعة . وهذا لا اشكال فيه . ولكن قد يكون البائع مالكا للسلعة من دون أن يكون هو الصانع ، فقد يلتزم بتبديل السلعة عن طرو العيب من قبل الصانع لا نفسه .

فإنه يشكل في صحة هذا الشرط بأنه شرط غير مقدور للمشروط عليه الذي هو البائع ، فيكون باطلاً لأن القدرة على الشرط من شرائط صحة الشروط ، كما هو واضح .

ولكن الصحيح هو أن هذا الاشكال غير وارد، وذلك أن البائع الذي اشترى من الشركة الأصلية المنتجة لهذه السلعة أو من وكيله قد اشترط عليه في ضمن أخذ الوكالة عن الشركة لعرض منتجاته بشرط ارتكازي غير مصرح به أو بشرط مصرح بأن يبذل الصانع السلع أو يقوم بإصلاحها وفق شروط معينة ، فمع هذا الشرط يكون البائع قادراً على ما اشترطه من تبديل المال أو إصلاحه عند طرو العيب في مدة معينة ولا اشكال من هذه الناحية أيضاً .

فمحصل الكلام في هذا البحث :

١ - إن الصيانة بنحو عقد مستقل من العقود المستحدثة وارجاعه إلى العقود المعهودة يخالف الواقع الخارجي وكيفية انشاءه .

٢ - عقد الصيانة عقد صحيح شرعاً لشمول الأدلة العامة للوفاء بالعقود له مع عدم وجود خلل فيه شرعاً .

٣ - الصيانة إذا كانت شرطاً في ضمن عقد سواء كان بنحو شرط الفعل أو شرط النتيجة شرط سائغ شرعاً تشمله أدلة الوفاء بالشروط ، وليس فيه أي خلل من ناحية الغرر أو التعليق أو تعدد الصفقة .

الامام علي عليه السلام والمعارضة السياسية

(٢)

✽ صلاح عبدالرزاق (هولندا)

مغادرة قاعدة الحكم :

لم تكن الإقامة في المدينة أمراً يحتمل في نفوس طلحة والزبير .
وكان الإمام علي عليه السلام يشك في ولائهما ووفائهما بعد انهيار
طموحاتهما وتبدد أحلامهما ، كان عليه السلام يتوقع أن يثيرا بوجهه القلاقل
والاضطرابات ، وأنهما ربما سيلتحقان بمعاوية في الشام أو يتخذان من
البصرة مقراً لحركتهما ضد السلطة الشرعية . ولما جاءاه وطلبا الإذن
منه بالسفر إلى مكة للعمرة ، فقال لهما : لعلكما تريدان البصرة أو الشام ،
فأقسما أنهما لا يقصدان غير مكة ^(١) .

لم يكن أمير المؤمنين عليه السلام بالذي يعاقب على الظن والشبهة ، ولم

(١) المسعودي ، مروج الذهب ٢ : ٢٧٤ .

يفرض اقامة اجبارية عليهما في المدينة تحت أي ذريعة . ولم يمنعهما من السفر ، إذ لم يدانا قضائياً أو يثبت عليها شيء يؤكد معارضتهما للسلطة أو نواياهما بالخروج المسلح ضد الخليفة ، وقال ﷺ : والله ما أرادا العمرة ، ولكنهما أرادا الغدرة^(١) . ومع ذلك تركهما ﷺ وشأنهما ، فثبتت بذلك قمة في الالتزام الشديد بروح الإسلام وتعاليمه وأحكام الشريعة الاسلامية . ولم يرض ﷺ بظلم أحد حتى في سبيل المصلحة الاسلامية . لم تكن السلطة همه ، والمحافظة عليها غايته ، بل التمسك بالاسلام وما جاء به الرسول ﷺ من قيم ومثل وتعاليم .

لقد برهن ﷺ أن الإسلام عظيم بقدرته على مواجهة الحق للباطل ، وحرصه على عدم حرمان خصوم السلطة الشرعية من حرياتهم الشخصية والسياسية . لقد أراد ﷺ أن يعطي للبشرية دروساً في العفو والسماحة والالتزام بالقانون الإسلامي نصاً وروحاً . فلم يمنع أحداً من التعبير عن رأيه ، بل ومواجهته ، ومخالفته ، واتهامه بشتى الاتهامات . لقد كان قلباً كبيراً ، وصدراً رحباً ، ونفساً سامية ... لقد استطاع أن يمتص نقمة الناقمين ، ويروض انفعالات الرافضين ، ولكن بعض النفوس أبت إلا الخروج على الشرعية ، ومخالفة إمامها وولي أمرها ، وليس بعد الحق إلا الباطل .

اجتماع مكة ، التخطيط للعصيان :

اجتمعت في مكة جماعات من المسلمين ، دوافعهم مختلفة ، وغايتهم واحدة ، هي الخروج على الخليفة الشرعي الإمام علي ﷺ . فكان طلحة والزبير وعائشة ، وآخرون من بني أمية ممن فقدوا امتيازاتهم

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٨٠ .

ومناصبهم في الخلافة الجديدة ، ومنهم مروان بن الحكم ، وعبدالله بن عامر والي البصرة في عهد عثمان ، ويعلى بن منبه وهو عامل عثمان على اليمن . وبدأ الافتراء على الإمام علي عليه السلام بعد خروجهما من المدينة ، فكان (الزبير وطلحة يقولان للناس : ليس لعلي في أعناقنا بيعة . وإنما بايعناه مكرهين . فبلغ علياً عليه السلام قولهما ، فقال : أبعدهما الله وأغرب دارهما ! أما والله لقد علمت أنهما سيقتلان أنفسهما أخبث مقتل ، ويأتیان من وردا عليه بأشأم يوم ، والله ما العمرة يريدان ، ولقد أتاني بوجهي فاجرین ، ورجعا بوجهي غادرین ناكثین ، والله لا يلقيانني بعد اليوم إلا في كتيبة خشناء ، يقتلان فيها أنفسهما ، فبعدا لهما وسحقاً) (١) .

وفي مكة عقدت اجتماعات تداولية لوضع خطة التحرك القادم وشراء ما يحتاجه التحرك المسلح من أسلحة وخيل وإبل ، ومنها الجمل الشهير لأم المؤمنين المسمى (عسكر) . وكان رأيهم التوجه إلى الشام لأنها لم تباع بعد ، وأن فيها معاوية الذي يقف سياسياً مع توجهات هذه المعارضة ولكنه حتما يريد أن يتزعمهم أو يكون له نصيب له في السلطة ، وهذا يعني التفريط بالسلطة وإعطائها لمعاوية ، وهو ضد أصل التحرك والخروج من المدينة ، أي نزع السلطة عن علي عليه السلام واستلامها من قبل طلحة والزبير . وهذا ما أوضحه عبدالله بن عامر ، الوالي السابق للبصرة ، حين قال لهم : إن الشام لا يمكن أن تصبح قاعدة التحرك لأن معاوية (لا يتقاد إليكم ، ولا يطيعكم ، ولكن هذه البصرة لي بها صنائع وعدد) ، فأعطاهم مليون درهم ومائة من الإبل (٢) ليستعدوا بها في حرب أمير المؤمنين عليه السلام .

(١) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ١ : ١٧٦ .

(٢) المسعودي ، مروج الذهب ٢ : ٢٧٤ .

ويؤكد ذلك قول يعلى بن منبه الذي حضر الاجتماع فقال : أيها الشيخان ، قدرا قبل أن ترحلا أن معاوية قد سبقكم إلى الشام وفيها الجماعة ، وأنتم تقدمون عليه غدا في فرقة ، وهو ابن عم عثمان دونكم . رأيتم إن دفعكم عن الشام ، أو قال : اجعلها شورى ، ما أنتم صانعون . أتقاتلونه أم تجعلونها شورى فتخرجوا منها ؟ وأقبح من ذلك أن تأتيا رجلا في يديه أمر قد سبقكما إليه ، وتريدا أن تخرجاه منه ؟ فقال القوم : فإلى أين ؟ قال : إلى البصرة^(١) .

لما وصل الخبر إلى الإمام علي^{عليه السلام} سارع بمصارحة جمهور المسلمين ، فهذه من عادته ، إذ كان علي^{عليه السلام} لا يخفي الأمور العامة عن المسلمين ، ويتخذ قراراته تحت الشمس ، دون التواء أو إخفاء ، بل الوضوح والصراحة ، وتحميل الجميع مسؤولياتهم في مواجهة الأحداث. ألقى^{عليه السلام} خطبة قال :

«أيها الناس ، إن عائشة سارت إلى البصرة ، ومعها طلحة والزبير ، وكل منهما يرى الأمر له دون صاحبه . أما طلحة فأبن عمها ، وأما الزبير فختنها (زوج الابنة) ، والله لو ظفروا بما أرادوا - ولن ينالوا ذلك أبدا - ليضربن أحدهما عنق صاحبه بعد تنازع منهما شديد . والله إن راكبة الجمل الأحمر ما تقطع عقبة ولا تحل عقدة إلا في معصية الله وسخطه ، حتى تورث نفسها ومن معها موارد الهلكة ، أي والله ليقتلن ثلثهم ، وليهربن ثلثهم ، وليتوبن ثلثهم . وإنها التي تنبجها كلاب الحوآب ، وأنهما ليعلمان أنهما مخطئان . ورب عالم قتله جهله . وحسبنا الله ونعم الوكيل . فقد قامت الفتنة فيها الفئة الباغية ، أين المحتسبون ؟ أين المؤمنون ؟ مالي ولقريش ! أما والله لقد قتلتهم كافرين ، ولأقتلنهم مفتونين ! وما لنا إلى عائشة من ذنب إلا أنا أدخلناها في حيزنا . والله لأبقرن

الباطل ، حتى يظهر الحق من خاصرته ، فقل لقريش فلتضج ضجيجها . ثم نزل (١) .

إحتلال البصرة غدرا :

سار القوم يحدوهم الأمل بالسيطرة على البصرة ، مستغلين الأوضاع السياسية والأمنية التي لم تستقر . وبعد مواجهة مع واليها عثمان بن حنيف ، عقدوا هدنة على تأجيل القتل حتى يصل أمير المؤمنين . فلما هدأت الأمور قرروا استغلال الفرصة والسيطرة على المدينة واتخاذها قاعدة لانطلاقهم ، فهاجموا الوالي في إحدى الليالي ، وأخذوه أسيرا ، ثم عرضوه للتعذيب ، وبتفوا لحيته ، ذلا وإهانة . ولولا خوفهم من أخيه سهل بن حنيف في المدينة ، واحتمال أن ينتقم من أهلهم هناك ، لما تركوه حيا . وهجموا على بيت المال يريدون الاستيلاء عليه ، فواجههم الحرس ، فقتلوا سبعين منهم ، خمسون منهم اعدموا قتلاً بالسيف بعد أسرهم (٢) . وبعد أن سيطروا على الأمور ، تنازع طلحة والزبير أيهما يصلي بالناس ، حتى فات وقت الصلاة ، فتدخلت عائشة واقترحت أن لا يصليا بالناس بل يتولى ابناهما ذلك (يصلي محمد بن طلحة يوما وعبد الله بن الزبير يوما) (٣) .

فلم تكن الصلاة تهمهم بل استلام منصب الإمام في الصلاة ، لإرضاء نفوسهم ، وتحقيق جزء من أحلامهم وتطلعاتهم . ولم يكونوا حريصين على الالتزام بأحكام الشريعة الإسلامية ، بل كانوا على عجلة للسيطرة على بيت المال ، فارتكبوا مذبة وحشية بحق سبعين مسلما ، كانوا يؤدون واجبهم في حماية خزينة الدولة . وهكذا تراكمت أخطاؤهم

(١) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ١ : ١٧٦ - ١٧٧ .

(٢) المسعودي ، مروج الذهب ٢ : ٢٧٥ .

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٨١ .

ومخالفاتهم الشرعية . فمن نكثهم البيعة ، إلى الخروج على الخليفة ، إلى انتهاك حرمة الوالي وتعذيبه ، إلى سرقة بيت المال ، إلى الولوغ بدماء المسلمين .

إن خروج طالحة والزبير وعائشة ضد السلطة الشرعية يعد بغياً وفساداً في الأرض . ومن حق السلطة معاقبتهم وتنفيذ الأحكام الإسلامية فيهم . ولم يكن بوسع أمير المؤمنين عليه السلام إلا التحرك عسكرياً لإطفاء هذه الفتنة التي ستشق وحدة المسلمين ، خاصة أن الذي يتزعم الحركة بعض صحابة الرسول ﷺ وزوجته أم المؤمنين عائشة . وبالفعل فقد حدثت الفتنة ، واختلت مقاييس الناس ، وارتبكت عليهم الأمور ، حتى أصابت الحيرة بعض الضعفاء ، مع من يقفون ، مع صحابة الرسول ﷺ وزوجته ، أم مع ابن عمه وزوج ابنته ؟

سار الإمام علي عليه السلام بجيش من المدينة يضم أربعمئة من المهاجرين والأنصار ، بينهم سبعون صحابياً شهدوا معركة بدر الكبرى . وانضم إليه مقاتلون من بعض القبائل ، ومن الكوفة وحدها سبعة آلاف رجل يقودهم مالك الأشتر ، فالتقى الجيشان في كانون الأول ٦٥٦ م في البصرة .

قبل نشوب المعركة حاول الإمام علي عليه السلام تفادي إراقة الدماء ، وعودة قادة المعسكر الآخر عن غيهم ، والاستمرار بخطتهم التي ستؤدي إلى نتائج سلبية ، ليس عليهم فحسب ، بل على كل صفحات التاريخ الإسلامي . وتكون سنة سيئة أن يقتتل المسلمون بينهم . (وبعث إليهم من ينashدهم الله في الدماء ، وقال : علام تقتلونني ؟ فأبوا إلا الحرب . فبعث إليهم رجلاً من أصحابه يقال له مسلم ، معه مصحف يدعوهم إلى

الله ، فرموه بسهم فقتلوه^(١) .

ولم يفقد الإمام علي عليه السلام أمله في إنقاذ الموقف ، وتجنب سفك الدماء ، فطلب مقابلة الزبير بن العوام . فلما التقيا ذكره بحديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم للزبير حين قال له : سستقاتله وأنت له ظالم . فقال الزبير : أستغفر الله ، والله لو ذكرتها ما خرجت ، فقال له : يا زبير ارجع ، فقال : وكيف أرجع الآن وقد التقت حلقتا البطان ؟ هذا والله العار الذي لا يغسل ، فقال : يا زبير ارجع بالعار قبل أن تجمع العار والنار فرجع الزبير^(٢) . وبعد اعتزاله الحرب قتله عمرو بن جرموز وهو يصلي .

وبعد هذه الخطوة الناجحة ، طلب الإمام علي عليه السلام لقاء طلحة ثم قال له : ما الذي أخرجك ؟ قال : الطلب بدم عثمان ، قال علي : قتل الله أولانا بدم عثمان . أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : (اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه) وأنت أول من بايعني ثم نكثت . وقد قال الله عز وجل ﴿ ومن نكث فإنما ينكث على نفسه ﴾ فقال طلحة : أستغفر الله ، ثم رجع . فقال مروان بن الحكم : رجع الزبير ويرجع طلحة ، ما أبالي رميت ههنا أم ههنا ، فرماه في أكحله (وريد في الذراع) فقتله^(٣) .

حزن أمير المؤمنين عليه السلام على مقتل طلحة ، فقد شاهد جثته بعد المعركة فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون . والله لقد كنت كارهاً لهذا . ثم نزل ومسح الغبار عن جبينه ، وهو يتلو قوله تعالى ﴿ وكان أمر الله قدراً مقدوراً ﴾^(٤) .

بعد اتضاح إصرار (حزب الجمل) على موقفهم ، وعنادهم ، وتصميمهم على الحرب ، ومع ذلك لم يجد الإمام علي عليه السلام مبرراً لبدئهم

(١) المسعودي ، مروج الذهب ٢ : ٣٧٨ .

(٢) المسعودي ، مروج الذهب ٢ : ٣٧٨ .

(٣) المسعودي ، مروج الذهب ٢ : ٣٧٢ .

(٤) المسعودي ، مروج الذهب ٢ : ٣٧٨ .

بالقتال ، بل أصدر أوامره بأن (لا يبدأوهم بقتال ، ولا يرموهم بسهم ، ولا يضربوهم بسيف ، ولا يطعنوهم برمح) حتى جاء بعض الجنود بقتيلين من جيش علي ، أصيبا بسهمين ، فقال علي عليه السلام اللهم اشهد ، واعذروا القوم ^(١) . نشبت المعركة ، فتشابكت الرماح والسيوف ، وقتل أكثر من ثلاثين ألف رجل من المسلمين وقيل أقل من ذلك . وقتل سبعون رجلاً دفاعاً عن جمل عائشة .

بعد هزيمة معسكر حزب الجمل أمر الإمام علي عليه السلام بالرفق بالأسرى ، وعدم ملاحقة الهاربين ، وعدم ضرب الفارين من الخلف ، ثم منح الأمان لكل من ألقى سلاحه أو دخل بيته . ورفض قتل الأسرى وفيهم رؤوس الناكثين أمثال مروان بن الحكم وعمرو بن عثمان وموسى بن طلحة وعمرو بن سعيد بن العاص . وأمر بإحضارهم واستتابتهم ، فتابوا وبايعوا ، فعفا عنهم جميعاً ^(٢) . أما عائشة فقد تعرضت لنقد الصحابة ولومهم على خروجها ومعصية الخليفة الشرعي . فقد دخل عليها عبدالله ابن عباس فقالت : أخطأت السنة يا ابن عباس مرتين ، دخلت بيتي بغير إذني ، وجلست على متاعي بغير أمري . قال : نحن علمنا إياك السنة . إن هذا ليس بيتك ، بيتك الذي خلفك رسول الله به ، وأمرك القرآن أن تقرري فيه ^(٣) . وتحادث معها عمار بن ياسر وأخوها محمد بن أبي بكر وآخرون . وكانت تترقب أخبار المعسكرين وتسأل عن بعض الرجال في هذا المعسكر وذاك ، كي تأخذ صورة واضحة عن النتائج الفعلية للمعركة . يقول الطبري (وسألت عائشة يومئذ عن عدة من الناس ، منهم من كان معها ، ومنهم من كان عليها ، وهي في دار عبدالله بن خلف ، فكلما نعي لها

(١) المسعودي ، مروج الذهب ٢ : ٢٧٨ .

(٢) ابن قتيبة الدينوري ، الامامة والسياسة ١ : ٩٧ .

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٨٢ .

منهم واحد قالت : يرحمه الله) (١).

أما الإمام علي عليه السلام فقد أعد لها موكباً من سبعين امرأة يرتدين ثياب الرجال ، لمرافقتها إلى المدينة معززة مكرمة .

وأمر عليه السلام بتقسيم الغنائم التي غنمها جيشه في معسكر عائشة ، فطالب بعضهم بتقسيم نسائهم وأولادهم كعبيد ، فرفض موضحاً الحكم الشرعي في الغنائم والأموال والنساء والذرية . فقالوا له : تحل لنا دماؤهم ولا تحل لنا نسائهم ؟ فقال : كذلك السيرة في أهل القبة ، فخاصموه ، قال : فهاتوا سهامكم وأقرعوا على عائشة فهي رأس الأمر وقائدهم ، فعرفوا فقالوا : نستغفر الله ، فخصمهم علي عليه السلام (٢).

تقييم الإمام علي عليه السلام للموقف :

وفي البصرة التقى علي عليه السلام كعاداته بالناس وناقش معهم ظروف وملابسات المعركة ، موضحاً الحكم الشرعي لكل أمر وقضية ، ثم أعطى تقييمه للموقف ونتائج الأحداث فقال :

«انظروا رحمكم الله ما تؤمرون به فامضوا له ، فإنني حاملكم إن شاء الله إن أطعتموني على سبيل الجنة ، وإن كانت ذا مشقة شديدة ومرارة عتيدة ، وأما عائشة فقد أدركها رأي النساء وشيء كان في نفسها علي يغلي في جوفها كالمرجل ، ولو دعيت لتتال من غير ما أتت به إلي لم تفعل ، ولها بعد ذلك حرمتها الأولى ، والحساب على الله يعفو عمن يشاء ، ويعذب من يشاء» .

فرضي بعد ذلك أصحابه ، وسلموا أموره بعد اختلاط شديد ، فقالوا :
يا أمير المؤمنين حكمت والله فينا بحكم الله غير أنا جهلنا ، ومع جهلنا لم

(١) تاريخ الطبري ٣ : ٥٧ .

(٢) مرتضى العسكري ، أحاديث أم المؤمنين عائشة ١ : ٢٤٤ .

نأت ما يكره أمير المؤمنين . ثم قام إليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين !
أخبرنا علام قتلت طلحة والزبير ؟ قال :

قاتلتهم على نقضهم بيعتي ، وقتلهم شيعتي من المؤمنين حكيم بن جبلة العبدى
من عبد القيس ، والسبابة والأسورة بلاحق استوجبوه منهما ، ولا كان ذلك لهما دون
الإمام . ولو أنهما فعلا ذلك بأبي بكر وعمر لقاتلتهما . ولقد علم من ههنا من أصحاب
النبي ﷺ أن أبا بكر وعمر لم يرضا من امتنع من بيعة أبي بكر حتى بايع وهو كاره ،
ولم يكونوا بايعوه بعد الأنصار فما بالي ! وقد بايعاني طائعين غير مكرهين ، ولكنهما
طمعا مني في ولاية البصرة واليمن ، فلم أولهما ، وجاءهما الذي غلب عليهما من حبهما
للدنيا وحرصهما عليهما ، خفت أن يتخذا عباد الله خوفا ، ومال المسلمين لأنفسهما ، فلما
زويت ذلك عنهما ، وذلك بعد أن جربتتهما واحتججت عليهما» (١) .

معاوية ، الخلافة بأبي ثمن :

كان خط معاوية وأسلوبه السياسي ومنهجه في المواجهة يختلف
عن معارضة أصحاب الجمل ، سواء في التكتيك أم الاستراتيجية . وقد
خدمته ظروفه وبعد قاعدته عن مركز الحكم في العاصمة ، المدينة أولا ،
والكوفة ثانياً ، حيث لا توجد رقابة أو متابعة على ما يفعله . وكانت له
طريقة ميكافيلية في التعامل مع أهل الشام ، سواء في استخدامه أساليب
التطميع والإغراء بالمال أو بالشدة في معاقبة خصومه أو من يخرج عن
أرادته ، أو بالتضليل الاعلامي وتجهيل المسلمين عما يدور من أحداث
في المدينة . وقد ساعدته الظروف حيث تولى إمارة الشام أثناء خلافة
عمر بن الخطاب عام ١٨ هـ / ٦٣٩ م ، بعد وفاة أخيه يزيد بن أبي سفيان .
فقد أمضى سبعة عشر عاماً حتى تولى الإمام علي عليه السلام الخلافة .

(١) العسكري، أحاديث أم المؤمنين عائشة ١: ٢٤٥-٢٤٧ .

وفي عهد عثمان ، قريبه ، كان هناك اتفاق وتنسيق في مواجهة الخصوم . فقد قام عثمان بنفي أبي ذر الغفاري إلى الشام ، بعد مجادلة مع عثمان . ولم يسكت أبو ذر عن مطالبه بالعدالة ونبذ الإسراف من بيت مال المسلمين ، فذاق معاوية به ذرعا ، فأعادته إلى المدينة مرة أخرى ، بعد مكاتبات مباشرة مع الخليفة . لقد كان معاوية يرفض أي سلوك أو كلام لصحابي يزور الشام بما يكشف زيف إدعاءات معاوية . لقد كان معاوية يؤمن بأهمية إبقاء مواطنيه أغبياء سذجا لا يعلمون إلا ما يريد معاوية أن يعلموه ، سواء كان خبرا أو منقبة لأحد أو حكما شرعياً جاءت به الشريعة الإسلامية .

وبقيت الشام خالصة الولاء لمعاوية وبني أمية ولم يكن لعلي عليه السلام رصيد أو قاعدة شعبية في ذلك الاقليم على الإطلاق ... وعاش الإسلام من منظار آل أبي سفيان ، ولم يسمع لعلي عليه السلام ، ولم يتفاعل مع الوجود الإسلامي والعقائدي . ولم يكن الإمام علي عليه السلام يملك شعارا له رصيد أو قاعدة شعبية في هذا المجتمع (١) .

وكان لا يتوانى عن استخدام أي أسلوب أو طريقة توصله إلى هدفه مهما كانت مخالفة للعرف السائد أو القانون الإسلامي . فقد مارس الكذب والإفتراء والغدر ، وتعذيب معارضيه وقتل خصومه بصورة وحشية بلا رحمة أو ذنب يستحقونه . وكان يرفع شعار (لله جنود من عسل) . وهو أسلوب الغدر ودس السم لمعارضيه كي يتفادى - أحيانا - الإتهام بقتلهم ، كما فعل مع الإمام الحسن بن علي عليه السلام .

وكان معاوية يخطط منذ أمد بعيد لاستلام السلطة ، مراقباً تطورات الأوضاع في المدينة ، خاصة بعد مصرع عثمان . وحين أجمع المسلمون

(١) محمد باقر الصدر ، أهل البيت : ١٠٤ .

على بيعة علي عليه السلام ؛ رفض البيعة ، وبقي خارجاً على السلطة المركزية .
وكان يأمل أن يفعل حزب الجمل شيئاً ، ولكن يأس من تغيير الأوضاع
نحو ما يخدم هدفه .

محاولات الإمام علي عليه السلام لرأب الصدع :

حاول أمير المؤمنين عليه السلام تغيير موقف معاوية بشتى السبل السلمية
دون جدوى ، محاولاً تفادي تردي الأوضاع بالاتجاه الذي أدى إلى حرب
الجمل ، وتكرارها مرة أخرى ، وسفك دماء المسلمين دون طائل . ويذكر
المؤرخون مراسلات كثيرة جرت بين الإمام علي عليه السلام ومعاوية ، تضمنت
اتهامات ردها علي عليه السلام وفندها واحدة بعد أخرى ومنها قضية معاقبة
الذين قتلوا عثمان ، وطلب منه أن يلجأ إلى القضاء ويشتكي من يتهمهم
بقتل عثمان .

ولم يكتف أمير المؤمنين بالرسائل بل أرسل بعض الوفود من
الصحابية ، ممن لهم علاقة طيبة مع معاوية أملاً في إنهاء الأزمة وحلها
سلمياً ودون إراقة دماء . فقد أرسل إليه مرة جرير بن عبدالله البجلي .
فلما دخل جرير على معاوية قال له : أما بعد يا معاوية ، فإنه قد اجتمع
لابن عمك أهل الحرمين ، وأهل المصرين (الكوفة والبصرة) ، وأهل
الحجاز ، وأهل اليمن ، وأهل مصر ، وأهل العروض (عمان) وأهل
البحرين واليمامة ، فلم يبق إلا هذه الحصون التي أنت فيها ، لو سال عليها
سيل من أوديته غرقها . وقد أتيتك أدعوك إلى ما يرشدك ويهديك إلى
مبايعة هذا الرجل . ثم ناوله كتاب علي عليه السلام وفيه :

«أما بعد ، فإن بيعتي لزمك وأنت بالشام ، لأنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر
وعمر وعثمان ، على ما بويعوا عليه . فلم يكن للشاهد أن يختار ، ولا للغائب أن يرد ،

وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار ، إذا اجتمعوا على رجل فسموه إماما ، كان ذلك لله رضا ، فإن خرج من أمرهم خارج بطعن أو رغبة ردوه إلى ما خرج منه . فإن أبى قاتلوه على إتباع سبيل المؤمنين ، وولاه ما تولى ، ويصليه جهنم وساءت مصيرا . وأن طلحة والزبير بايعاني ثم نقضا بيعتي ، فكان نقضهما كردتهما ، فجاهدتهما على ذلك ، حتى جاء الحق ، وظهر أمر الله وهم كارهون ، فادخل فيما دخل فيه المسلمون ، فإن أحب الأمور إلي فيك العافية ، إلا أن تتعرض للبلاء ، فإن تعرضت له لقاتلتك ، واستعنت بالله . وقد أكثرت في قتل عثمان ، فادخل فيما دخل فيه الناس ، ثم حاكم القوم إلي أحملك وإياهم على كتاب الله : فأما تلك التي تريدها فخدعة الصبي عن اللبن ، ولعمري لئن نظرت بعقلك دون هোক ، لتجدني أبرأ قريش من دم عثمان . واعلم أنك من الطلقاء الذين لا يحل لهم الخلافة ، ولا تعرض فيهم الشورى . وقد أرسلت إليك وإلى من قبلك جرير بن عبد الله البجلي ، وهو من أهل الإيمان والهجرة ، فبايع ، ولا قوة إلا بالله»^(١) .

لم يجب معاوية على كتاب علي ، وأصابه الغم والحزن ، وطلب مهلة للتفكير فيما سيقوم به ، وبعد أيام استقر رأيه على خطة جديدة يواجه بها الخلافة الشرعية ، وهي الإدعاء بأنه ولي عثمان ، مطالباً بدمه . وصعد المنبر وخطب بأهل الشام : (أيها الناس ، قد علمتم أنني خليفة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وخليفة أمير المؤمنين عثمان بن عفان عليكم ، وأني لم أقم رجلاً منكم على خراية قط ، وأني ولي عثمان ، وقد قتل مظلوماً ، والله تعالى يقول ﴿ ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل إنه كان منصوراً ﴾ ، وأنا أحب أن تعلموني ذات أنفسكم في قتل عثمان .

فقام أهل الشام بأجمعهم ، فأجابوا إلى الطلب بدم عثمان ، وبايعوه على ذلك ، وأوثقوا له على أن يبذلوا بين يديه أموالهم وأنفسهم ، حتى

(١) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ٢ : ٥٦ .

يدركوا بثأره أو تلتحق أرواحهم بالله^(١). وكان عمرو بن العاص أول من بايعه بالخلافة ، بعد الاتفاق المبرم بينهما . قد سبقت مبايعته القيام بمشهد مسرحي يستدر تضامن الناس مع معاوية فأخذ (يبكي كما تبكي المرأة ، ويقول : واعثماناه ، أنعى الحياء والدين) مع أنه كان حانقا على عثمان لأنه عزله من ولاية مصر .

مساومات لكسب الوقت :

وبعد أن اطمئن معاوية إلى سير خطته بأحسن ما يرام ، واستغلاله مصطلحا قرآنيا ، وإقناع الناس بأنه يمثل الجانب المظلوم في الصراع مع السلطة الشرعية ، حتى بايعوه ، قام بارسال رسالة إلى عمرو بن العاص ليكون مستشاره الأول في خطواته اللاحقة ، عارضا عليه حكم مصر . وهكذا شكلا قيادة للمعارضة في المرحلة القادمة .

بدأ معاوية بإقناع الرجال المتنفذين بسياسته وخطته متهماً علياً عليه السلام بقتل عثمان ، وتأليب الناس ضده . فقد بعث على (شرحبيل بن السمط رئيس اليمنية وشيخها والمقدم عليها ، وتدسيس الرجال إليه يغرونه بعلي عليه السلام ويشهدون عنده أنه قتل عثمان ، حتى ملأوا صدره وقلبه حقدا وترة وإحنة على علي عليه السلام وأصحابه)^(٢) . أما الوفد الذي بعثه الإمام علي عليه السلام برئاسة جرير بن عبد الله البجلي فقد أراد معاوية مساومة السلطة الشرعية وقبض ثمن سكوته مقدما دون أن يبائع الخليفة . قام معاوية بزيارة جرير في منزله فقال له : يا جرير ، إنني قد رأيت رأيا ، قال : هاته ، قال : اكتب إلى صاحبك يجعل لي الشام ومصر جباية ، فإذا

(١) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ٢ : ٥٧ .

(٢) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ٢ : ٥٨ .

حضرته الوفاة لم يجعل لأحد بعده في عنقي بيعة ، وأسلم له هذا الأمر ، وأكتب إليه بالخلافة . فقال جرير : اكتب ما أردت أكتب معك . فكتب معاوية بذلك إلى علي رضي الله عنه ، فكتب علي رضي الله عنه إلى جرير :

«أما بعد ، فإنما أراد معاوية ألا يكون لي في عنقه بيعة ، وأن يختار من أمره ما أحب ، وأراد أن يترك ويبطئك حتى يذوق أهل الشام . وإن المغيرة بن شعبة قد كان أشار علي أن أستعمل معاوية على الشام ، وأنا حينئذ بالمدينة ، فأبيت ذلك ، ولم يكن الله ليراني أتخذ المضلين عضداً ، فإن بايعك الرجل ، وإلا فأقبل والسلام»^(١) .

تأخر جرير في الجواب على أمير المؤمنين رضي الله عنه حتى سرت شائعات أنه قد التحق بحزب معاوية ، وكان الإمام علي رضي الله عنه قلقاً من تأخره حتى قال : قد وقت لجرير وقت لا يقيم فيه إلا مخدوعاً أو عاصياً . لقد كان رضي الله عنه يعلم أن معاوية يسعى للحصول على وقت لإستكمال خطته ، وأن الوقت ليس في صالح علي رضي الله عنه . فكتب إلى جرير كتاباً يمنحه فيه صلاحيات إعلان الحرب أو السلم بعد أخذ البيعة . جاء في كتابه : «إذا أتاك كتابي هذا فاحمل معاوية على الفصل ، ثم خيره وخذه بالجواب بين حرب مخزية أو سلم محظية ، فإن اختار الحرب فانبذ إليه ، وإن اختار السلم فخذ بيعته . والسلام»^(٢) .

محدثات الساعات الأخيرة :

بعد أن اطمئن معاوية إلى قوة موقفه سياسياً وعسكرياً ، وأن هناك أملاً في تحقيق خطته ، وأن الأجواء السياسية مهيأة للدخول في صراع مسلح مع الخلافة الشرعية ، فأخذ في تصعيد لهجة المواجهة ، كما رفع من مستوى مطالبه ، حيث بات يطالب بتشكيل شورى لانتخاب خليفة

(١) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ٢ : ٦١ .

(٢) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ٢ : ٦٢ .

جديد غير علي عليه السلام ، وبعد أن يمهد الجو بمعاقبة قاتلي عثمان . فأبلغ جريرا بأنه لن يبايع ، وأن الحرب هي الحل . وأرسل جوابه مع جرير ، الذي عاد إلى العراق بعد أن يؤس من تغيير موقف معاوية ، جاء فيه^(١) :
من معاوية بن صخر إلى علي بن أبي طالب .

أما بعد ، فلعمري لو بايعك القوم الذين بايعوك وأنت برئ من دم عثمان كنت كأبي بكر وعمر وعثمان ، ولكنك أغريت بعثمان المهاجرين ، وخذلت عنه الأنصار ، فأطاعك الجاهل ، وقوي بك الضعيف . قد أبى أهل الشام إلا قتالك ، حتى تدفع إليهم قتلة عثمان ، فإن فعلت كانت شورى بين المسلمين . ولعمري ليس حججك عليّ كحججك علي طلحة والزبير ، لأنهما بايعاك ولم أبايحك . وما حجتك علي أهل الشام كحججتك علي أهل البصرة ، لأن أهل البصرة أطاعوك ولم يطعك أهل الشام . فأما شرفك في الإسلام ، وقرابتك من النبي وموضعك من قریش ، فلست أدفعه . ثم كتب في آخر الكتاب شعر كعب بن جعيل الذي أوله :

أرى الشام تكره أهل العراق وأهل العراق لهم كارهونا

معاوية يعلن نفسه خليفة وسياسة الأمر الواقع :

أعلن معاوية خلافته وأنه أصبح أميرا للمؤمنين فانشقت بذلك الدولة الإسلامية إلى قسمين ، الأول يحكمه الإمام علي عليه السلام ومركزه الكوفة ، ويضم الحجاز والعراق وخراسان وما بعدها ؛ والآخر يحكمه معاوية ومركزه دمشق ، ويضم سوريا وفلسطين والأردن ومصر وإفريقيا . وهكذا باتت الدولة الإسلامية متفككة متجزئة بعد أن كانت قبل سنوات أقوى دولة في العالم ، مستمرة في فتح البلدان وتوسيع رقعتها .

(١) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ٢ : ٦٤ .

أصبح الموقف حرجاً أمام علي عليه السلام، ولم يبق أمامه إلا الحل العسكري، وهذا يعني الخروج بجيش من العراق والتوجه إلى الشام. ولم تكن الأوضاع الاجتماعية والداخلية تساعد على تصعيد الموقف. إذ لم تكن جراح العراقيين قد اندملت بعد حرب الجمل حتى بات من الضروري الدخول في حرب جديدة. لقد فرض الأمر الواقع على علي عليه السلام حتى «يطلب من العراقي أن يخرج من العراق، تاركاً أمنه ووحدته واستقراره ومعيشتة ورخاءه، ليحارب أناساً شاميين لم يلتق معهم بعداوة سابقة، وإنما فقط بفكرة أن هؤلاء انحرفوا، ولا بد من إعادة أرض الشام للمجتمع الإسلامي والدولة الإسلامية. فكان موقف علي عليه السلام يتطلب ويفترض وي طرح قضية الهجوم على أناس لا يملكون - في غالبيتهم - الوعي لخطورة تراخيهم على قمع هذا الانحراف، انطلاقاً من عدم استيعابهم لأبعاده»^(١).

شعر الإمام علي عليه السلام بخطورة الموقف، وأن معاوية يريد استدراجه إلى حلول أحلاها مر. فلم يكن من الممكن إبقاؤه واليا على الشام، لأن ذلك سيفسر تأييداً له، واعترافاً بشرعية مطالبه. كما أن قضية محاكمة قتلة عثمان ليست بالقضية اليسيرة التي لا تثير فتنة أخرى، هذا من جانب، ومن جانب آخر وجد أن الدخول في معركة ضارية مع معاوية وأهل الشام ستزيد من حجم الفجوة بين العراقيين والشاميين، وتساعد الكراهية والحقد بين الفريقين، وترسيخ نزعات الثأر والانتقام. إذ ستسفك في الحرب دماء الفريقين. وكل ذلك ليس في صالح الدولة الإسلامية، بل على العكس سيعزز الانشقاق والتمييز فكرياً وسياسياً وعقائدياً. وهذا ما حدث بالفعل بعد صفين.

(١) محمد باقر الصدر، أهل البيت: ١٠٥.

أراد الإمام علي عليه السلام أن يضع معاوية أمام مسؤوليته بنصحه بالرجوع عما يبتغيه قبل أن تصل الأمور إلى حافة الهاوية . كتب عليه السلام كتاباً رد فيه على مزاعم معاوية بأنه ولي دم عثمان ، وعرض عليه أن يبايعه لأن بيعته تلزم جميع المسلمين في كل أقاليم الدولة الإسلامية ، وأن من حقه تقديم المتهمين بقتل عثمان إلى القضاء الإسلامي ، ولا يشك مسلم في قضاء علي وعدله . فكتب إليه رداً جاء فيه :

من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلى معاوية بن صخر بن حرب .
«أما بعد : فإنه أتاني منك كتاب امرئ ليس له بصر يهديه ، ولا قائد يرشده . دعاه الهوى فأجابه ، وقاده الضلال فاتبعه . زعمت أنك إنما أفسد عليك بيعتي خطيئتي في عثمان . ولعمري ما كنت إلا رجلاً من المهاجرين ، أوردت كما أوردوا ، وأصدرت كما أصدروا . وما كان الله ليجمعهم على الضلال ، ولا ليضربهم بالعمى» .

وبعد ، فما أنت وعثمان ! إنما أنت رجل من بني أمية ، وبنو عثمان أولى بمطالبة دمه . فإن زعمت أنك أقوى على ذلك ، فادخل فيما دخل فيه المسلمون ، ثم حاكم القوم إلي . وأما تمييزك بينك وبين طلحة والزبير ، وبين أهل الشام وأهل البصرة ، فلعمري ما الأمر فيما هناك إلا سواء ؛ لأنها بيعة شاملة لا يستثنى فيها الخيار ، ولا يستأنف فيها النظر . وأما شرفي في الإسلام وقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وآله وموضعي من قريش ، فلعمري لو استطعت دفعه لدفعته» (١) .

الوضع العسكري - السياسي لطرفي الصراع :

عسكرياً ، كان موقف معاوية جيداً ، فهو يحارب في بلده ، وغير مضطر لمغادرته ، وإمداداته اللوجستكية مأمونة السبيل .
هذا الموقف يخدم الحالة النفسية والاجتماعية لدى أهل الشام ، فهم

(١) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ٢ : ٦٥ .

يشعرون أنهم في حالة دفاع عن بلدهم وقناعاتهم وخليفتهم ، فيقاتلون بحماس وهمة . سياسياً ، كانت شعارات معاوية ومطالبته الثأر من قتلة عثمان لها رصيد في المجتمع الشامي . كما أن معاوية « اكتفى في تلك المرحلة بالمحافظة على وجوده في الشام ، ولم يكن يفكر (مادام أمير المؤمنين) أن يهاجم أمير المؤمنين ، وأن يحارب العراق ويضم العراق إلى مملكته ... فمعاوية لم يكن يقول للشامي ، اترك استقرارك ووحدتك ، واذهب إلى العراق محارباً ، لأن هذا الشخص خارج عن طاعتي ، ولكن كان علي عليه السلام يقول هذا للعراقي ، لأن علياً عليه السلام كان يحمل بيده مسؤولية الأمة ، ومسؤولية إعادة وحدة المجتمع الإسلامي ، بينما كان كل مكسب معاوية وهمه أو قصارى أمله ، أن يحافظ على هذا الانشقاق ، ويحافظ على هذه التجزئة التي أوجدها في جسم المجتمع الإسلامي . وشتان بين قضية الهجوم حينما تطرح وقضية الدفاع»^(١) .

ونظرة دقيقة في طبيعة ردود الأفعال لدى المجتمعين الشامي والعراقي توضح مدى المعاناة الداخلية التي كان الإمام علي عليه السلام يواجهها . فحين أرسل الإمام علي عليه السلام رجلاً إلى الشام ، وأوصاه أن يجعل الناس يرونه غريباً ليسألوه ، فيخبرهم بأن علياً عليه السلام قد أعد أهل العراق ليهاجمكم . فعلم معاوية بخبر الرجل ، فجمع الناس في المسجد وأعاد عليهم ما ذكره مبعوث علي عليه السلام ، فسكتوا ، حتى قام ذو الكلاع الحميري فقال : عليك أم رأي وعلينا أم فعال . أي أنت الذي تقرر وتأمّر ، وعلينا الطاعة والتنفيذ^(٢) . ثم خرجوا إلى المعسكر .

أما في المجتمع العراقي فقد اختلط الأمر ، كل واحد يرى رأياً . فقد عاد

(١) محمد باقر الصدر ، أهل البيت : ١٠٥ .

(٢) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ٢ : ٦٩ .

المبعوث إلى الإمام علي عليه السلام فأخبره بما جرى في الشام ، فنادى : الصلاة جامعة ، ثم خطب الناس ، فأخبرهم بتطور الأوضاع ، وأن معاوية قد جند أهل الشام لقتالهم . ثم طلب عليه السلام رأيهم . فاضطرب أهل المسجد ، هذا يقول : الرأي كذا ، وهذا يقول : الرأي كذا ، وكثر اللغط ، فلم يفهم الإمام علي عليه السلام من كلامهم شيئاً ، ولم يدر المصيب من المخطئ ، فنزل عن المنبر ، وهو يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون اذهب بها ابن آكلة الأكباد - يعني معاوية (١) .

صفيين ، حرب لا بد منها :

بعد أن استنفذ كل الوسائل السلمية ، أعلن أمير المؤمنين عليه السلام الجهاد والخروج إلى حرب البغاة الخارجين على السلطة . ورغم وضوح شرعية موقفه ، وشرعية دعوته للجهاد ، إلا أن الوضع الداخلي للمجتمع العراقي لم يكن بالحماس الذي يريده الإمام علي عليه السلام . وجهز جيشه في النخيلة ، خارج الكوفة ، وألقى بالناس خطبة بليغة يحثهم فيها لمواصلة المسير حتى يسود الأمن والعدل في الدولة . وسار الجيش ، فمر بالمدائن ، فالتحق به أهلها . ووصل الأنبار فقدموا له الهدايا والطعام فرفض أخذها إلا بثمن ، رغم إصرارهم . ثم وصل مدينة الرقة ، وأهلها موالون لعثمان ومعاوية ، فأغلقوا أبوابها دونه وتحصنوا ، فلم يدخلها بل عسكر بجانب الفرات . ثم استمر بطريقه فعبر نهر الفرات على جسر منبج حتى وصل صفيين . ولما علم معاوية باقترب جيش علي ودخوله أرض الشام ، خرج إليه في جيش عقد لواءه لعمر بن العاص (٢) .

(١) م . ن .

(٢) ابن الصباغ ، الفصول المهمة : ٨٣ .

وقبل أن يتم تصعيد الموقف إلى خط اللاعودة ، سعى الإمام علي عليه السلام لبذل محاولة أخرى عسى أن يعود معاوية إلى رشده ، فبعث إليه بوفد تألف من بشير بن عمرو بن محصن الأنصاري وسعد بن قيس الهمداني وشبث بن ربعي التميمي ، وقال لهم : إذهبوا إلى هذا الرجل - يعني معاوية - وادعوه إلى الله تعالى وإلى الطاعة والجماعة لعل الله تعالى أن يهديه ويلتئم شمل هذه الأمة . فلما دخلوا على معاوية وأبلغوه الرسالة ، أجابهم : ليس عندي إلا السيف^(١) .

لم يفسر معاوية صبر الإمام عليه السلام وحلمه وعرضه السلم قوة مبدئية ، بل رآه عجزاً وهرباً من المعركة . فهو لم يفهم اصرار الإمام علي حقن دماء المسلمين حفاظاً على أرواحهم ، بل دعاه ذلك إلى التماذي في تصعيد الموقف والتلويح بالسيف عناداً وتكبراً .

نشبت المعركة في تموز ٦٥٧ م ، وتقاتل فيها الجيشان قتالاً شرساً دام اسبوعين ؛ حيث (اختلط الناس ، وبطل النيل ، واستعملت السيوف ، وجنهم الليل ، وتنادوا بالأشعار ، وتقصفت الرماح ، وتكادم القوم ، وكاد يعتنق الفارس الفارس ويقعان جميعاً إلى الأرض عن فرسيهما ... وارتفع الغبار ، وتقطعت الألوية والرايات ، ولم يعرفوا مواقيت الصلاة)^(٢) . وقتل في صفين ستة وثلاثون ألفاً من المسلمين .

وواجه الإمام علي عليه السلام في المعركة مأزقاً عسكرياً ، لكنه وهو في ذروة القتال لم يمنعه من التفكير بالحل السلمي لمواجهة الموقف . فقد وجد جيشه معزولاً عن الفرات حيث كان فيلق من أهل الشام قد استقر على الضفة ومنع جيش علي عليه السلام من الوصول إلى الماء . فأرسل علي عليه السلام إلى

(١) م . ن .

(٢) المسعودي ، مروج الذهب ٢ : ٤٠٨ .

معاوية : إن الذي جئنا له غير الماء ، ولو سبقناك إليه لم نحل بينك وبينه ، فإن شئت خليت عن الماء ، وإن شئت تناجزنا عليه وتركنا ما جئنا له . رفض معاوية السماح لجيش العراق بالتزود بالماء ، مما جعل علياً عليه السلام يفكر باستخدام القوة ، فأرسل الأشعث بن قيس على رأس قوة عسكرية ، فالتحمت مع الفيلق الشامي وهزمته . سيطر الإمام علي عليه السلام على الماء ، لكن نبهه وشهامته وسمو أخلاقه منعه من المقابلة بالمثل وحرمان جيش الشام من الماء . فهو الحريص على دمائهم وأرواحهم ، الرؤوف بكبيرهم وصغيرهم ، فكيف يمنع عنهم الماء ، فهذا ما تأباه القيم الانسانية التي يمثل علي قمتها .

وساطة فاشلة :

وحاول بعض الصحابة إصلاح ذات البين ، فقد ذهب أبو هريرة وأبو الدرداء إلى معاوية وهو في صفين ، قائلين له أن علياً أحق بالأمر منه ، فقال : لست أزعج أني أولى بهذا الأمر من علي ، ولكني أقاتله حتى يدفع إلي قتلة عثمان . فقالا : إذا دفعهم إليك ماذا يكون ؟ قال : أكون رجلاً من المسلمين ، فاتيا علياً ، فإن دفع إليكما قتلة عثمان جعلتها شورى . فذهبا إلى علي عليه السلام وطلبا تسليم قتلة عثمان ، فسألهما : أتعرفانهما ؟ قال : نعم ، قال : فخذاهم . فاتيا محمد بن أبي بكر ، وعمار بن ياسر ، ومالك الأشتر . فقالا : أنتم من قتل عثمان ، وقد أمرنا بأخذكم ، فخرج إليهما أكثر من عشرة آلاف رجل ، فقالوا : نحن قتلنا عثمان . فقالا : نرى أمراً شديداً ، ألبس علينا الرجل ، فعادا إلى منزلهما في مدينة حمص^(١) .

سارت المعركة باتجاه النصر لعلي عليه السلام وجيشه رغم خسارته

(١) ابن قتيبة الدينوري ، الامامة والسياسة : ١٢٨ .

بشهادة بعض أصحابه أمثال عمار بن ياسر وهاشم المرقال وعبد الله ابن الحارث النخعي أخى الأشر، وصفوان وسعد ابني حذيفة بن اليمان وغيرهم .

رفع المصاحف ، الشعار المضلل :

ولما رأى معاوية أن سير المعركة لا يسير لصالحه فطلب من عمرو ابن العاص أن يجد له مهربا ، فقال : والله لأدعونهم إن شئت إلى أمر أفرق به جمعهم ، ويزداد جمعك إليك اجتماعا ، إن أعطوكه اختلفوا ، وإن منعوكة اختلفوا ، قال معاوية : وما ذلك ؟ قال عمرو : تأمر بالمصاحف فترفع ثم تدعوهم إلى ما فيها ، فوالله لئن قبله لتفترقن عنه جماعته ، ولئن رده ليكفرنه أصحابه^(١) .

نجحت خدعة عمرو نجاحا كبيرا ، إذ سرعان ما استجاب غالبية جيش العراق ، فرغب بعضهم بالموادعة والاستراحة من الحرب التي طالمت ، وقال آخرون : نجيب إلى كتاب الله وننيب إليه . وحدث خلاف في معسكر علي بين راغب بوقف الحرب وعلى رأسهم الأشعث بن قيس ، وبين راغب بالمواصلة وعلى رأسهم مالك الأشر ، ولما رأى الإمام علي عليه السلام ما سببه رفع المصاحف خطب بجيشه قائلاً :

«عباد الله ، امضوا على حقكم وصدقكم قتال عدوكم ، فإن معاوية وعمرو بن العاص وابن أبي معيط وحبيب بن سلمة وابن أبي سرح والضحاك بن قيس ، ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن ، أنا أعرف بهم منكم ، قد صحبتهم أطفالا ، وصحبتهم رجالا ، فكانوا شر أطفال وشر رجال . ويحكم ! إنهم ما رفعوها ، ثم لا يرفعونها ولا يعلمون بما فيها ، وما رفعوها لكم إلا خديعة ودهنا ومكيدة . فقالوا : ما يسعنا أن ندعى إلى

(١) ابن قتيبة، الامامة والسياسة ١ : ١٢٥ ، مروج الذهب ٢ : ٤٠٨ ، الفصول المهمة : ٩٠ .

كتاب الله عزوجل فنأبى أن نقبله . فقال لهم : فإنني إنما قاتلتهم ليدينوا بحكم هذا الكتاب ، فإنهم قد عصوا الله عزوجل فيما أمرهم ونسوا وعده ونبذوا كتابه . فقال له مسعر بن فدكي التميمي وزيد بن حصين الطائي ثم السننسي ، في عصابة معهما من القراء الذين صاروا خوارج بعد ذلك : يا علي ، أجب إلى كتاب الله عزوجل إذ دعيت إليه ، وإلا ندفعك برمتك إلى القوم ...^(١)

خدعة التحكيم :

بعد أن كانت المعارضة في المعسكر المقابل ، أصبحت داخل معسكره مما اضطر أمير المؤمنين علي عليه السلام إلى قبول رأي الراغبين بوقف القتال ، فبعث الأشعث بن قيس إلى معاوية يسأله ما يريد ، فقال معاوية : نرجع نحن وأنتم إلى كتاب الله ، وإلى ما أمر به في كتابه : تبعثون منكم رجلاً ترضونه وتختارونه ، ونبعث برجل ، ونأخذ عليهما العهد والميثاق أن يعملأبما في كتاب الله ولا يخرجأ عنه ، وننقاد جميعاً إلى ما اتفقا من حكم الله . وبقي معسكر علي عليه السلام يعيش حالة الفرقة والجدل وعدم الانضباط ، إذ سرعان ما ظهر خلاف حول من يمثل جيش العراق ليكون حكماً . فقد رأى أكثر الجيش أن أباً موسى الأشعري هو المرشح المناسب ، لكن علياً عليه السلام اعترض عليه ، وقال بأنه ليس بثقة . فأصروا على رأيهم ، فرشح لهم عبد الله بن عباس فرفضوا ، ثم مالك الأشتر ، فقالوا : وهل حاج الأمر إلا الأشتر . فقال لهم : فاصنعوا الآن ما أردتم ، وافعلوا ما بدا لكم أن تفعلوه^(٢) .

يصف المسعودي حالة جيش الإمام علي عليه السلام بعد موافقته على التحكيم فيقول (ولما وقع التحكيم تباغض القوم جميعاً وأقبل بعضهم

(١) تاريخ الطبري ١٠١:٢ .

(٢) المسعودي ، مروج الذهب ٤١٠:٢ .

يتبرأ من بعض : يتبرأ الأخ من أخيه ، والإبن من أبيه ، وأمر علي عليه السلام بالرحيل لعلمه باختلاف الكلمة ، وتفاوت الرأي ، وعدم النظام لأموارهم ، وما لحقه من الخلاف منهم ، وكثر التحكيم في جيش أهل العراق ، وتضارب القوم بالمقارع ونعال السيوف ، وتسابوا ، ولأم كل فريق منهم الآخر في رأيه . وسار علي يؤم جنده إلى الكوفة ، ولحق معاوية بدمشق^(١) .

اجتمع الحكمان ، عمرو بن العاص وأبو موسى الأشعري ، وكان الأخير ساذجا فوقع في شرك عمرو بسهولة . فبدل أن يتحادثا حول سبب الحرب ، وكيفية التوصل إلى حل الخلاف ، أقنع عمرو أبا موسى بأن يخلع كل واحد منهما صاحبه ، فاقتنع بها . ولما أعلن موسى خلعهُ للإمام علي عليه السلام ، قام عمرو فأعلن خلعهُ لعلي عليه السلام وتثبيت معاوية^(٢) .

تقييم الإمام علي عليه السلام للتحكيم :

لما علم الإمام علي عليه السلام بما جرى من أمر الحكمين غضب ، لام الذين اصروا على التحكيم ، وأوضح لهم نتائج عنادهم ، وأمرهم بالاستعداد لمواجهة الموقف ، قال عليه السلام : إني كنت تقدمت إليكم في هذه الحكومة ونهيتكم عنها ، فأبيتُم إلا عصياني . فكيف رأيتم عاقبة أمركم إذ أبيتم علي ؟ والله إني لأعرف من حملكم على خلافي والترك لأمري ، ولو أشاء أخذه لفعلت ، ولكن الله من ورائه - يريد بذلك الأشعث بن قيس والله العالم - وكنت فيما أمرت به كما قال أخو بني خثعم : أمرتهم أمري بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد ألا أن هذين الرجلين الخاطئين اللذين اخترتموهما حكمين قد تركا حكم الله ، وحكما بهوى أنفسهما بغير حجة ولا حق معروف ، فأما ما أحيا القرآن ، وأحيا ما أماته ،

(١) المسعودي ، مروج الذهب ٢ : ٤١٣ .

(٢) المسعودي ، مروج الذهب ٢ : ٤١٧ .

واختلف في حكمهما كلامهما ، ولم يرشدهما الله ولم يوفقهما ، فبرئ الله منهما ورسوله وصالح المؤمنين . فتأهبوا للجهاد واستعدوا للمسير ، وأصبحوا في عساكرهم إن شاء الله تعالى (١) .

الخوارج ، التمسك بالضلال :

ظهرت فرقة الخوارج كنتيجة عرضية لقضية التحكيم التي انتهت إليها حرب صفين . فقد تزعموا حركة الصلح مع جيش معاوية وأجبروا الإمام علياً عليه السلام على قبول التحكيم . وكانوا يرفعون شعار (لا حكم إلا لله) . وقد رفضوا الوضع السياسي .

اجتمعوا في قرية حروراء ، قرب الكوفة ، فبايعوا عبد الله بن وهب الراسبي ، وعينوا شيبث بن ربعي قائداً لهم ، وعبد الله بن الكوا إماماً للصلاة . وزعموا أن علياً عليه السلام كان إماماً إلى أن حكم الحكمان . فشك في دينه وحار في أمره ، وأنه الحيران الذي ذكره الله في القرآن بقوله تعالى : ﴿ له أصحاب يدعونه إلى الهدى ﴾ . وكان أمير المؤمنين عليه السلام يستعد للتوجه إلى الشام لمقاتلة معاوية وجنده ، حتى قيل له بأمر الخوارج . ولما سمع علي ابن أبي طالب عليه السلام بموقفهم بعث إليهم عبد الله بن عباس وقال له : لا تعجل في جوابهم وخصومتهم حتى آتيك فإني في أثرك (٢) .

لقد علم الإمام علي عليه السلام أن معاملة هذه الفئة يجب أن تختلف عن غيرهم من المعارضين الذين واجههم . فقد التبس الأمر عليهم ، وأن لديهم شبهات عقائدية تحتاج إلى منطق سليم ، وحجة قوية كي يخرجوا مما هم فيه من ضلالة ، فمن طلب الحق وأخطأه ليس كمن طلب الباطل فأصابه . ولذلك طلب من ابن عباس أن لا يدخل معهم في مناظرة كلامية أو

(١) المسعودي ، مروج الذهب ٢ : ٤٢١ .

(٢) ابن الصباغ ، الفصول المهمة : ٩٦ .

خصومة تشنج الأجواء ، وتشحن النفوس ضد كلمة الحق . ولكنهم استقزوا ابن عباس بشبهاتهم واتهاماتهم لعلي عليه السلام فلم يصبر ، فدخل معهم في جدل وحوار ، حتى وصل الموقف إلى النزاع والخصومة ، فوصل علي عليه السلام إليهم وبدأ يحاججهم^(١) .

تمكن أمير المؤمنين من إقناع ألفين منهم والعودة عما كانوا يقولون به ، وبقي أربعة آلاف مصرين على موقفهم رغم أنه عليه السلام قد فند كل حججهم وشبهاتهم ، لكنهم على ما يبدو استمروا العناد والعصيان .

ولو اكتفوا بالعناد ورفض الطاعة لتركهم علي عليه السلام وشأنهم ، لكنهم أخذوا يعيثون الفساد ، وينشرون الرعب في القرى . فقد بايعوا عبدالله بن ابن وهب الراسبي ، وسيطروا على المدائن ، وقتلوا واليها عبدالله بن خباب ، ذبحوه ذبحا ، وبقروا بطن امرأته وكانت حاملا ، وقتلوا غيرها من النساء^(٢) .

فقرر الإمام علي عليه السلام مواجهة الأمر بحزم وشدة ، فجهز جيشه متوجها إليهم حتى وصل النهروان . حاول عليه السلام كعادته حل النزاع بالتي هي أحسن ، ودون سفك الدماء ، فأرسل لهم الحارث بن مرة العبدي يدعوهم إلى الرجوع فقتلوه ، وبعثوا إلى علي : إن تبت من حكومتك (التحكيم) وشهدت على نفسك بالكفر ، بايعناك ، وإن أبيت فاعتزلنا حتى نختار لأنفسنا إماما ، فإننا منك براء . فبعث إليهم علي عليه السلام : أن ابعثوا إلي بقتلة إخواني فأقتلهم ثم أترككم إلى أن أفرغ من قتال أهل المغرب (الشام) ، ولعل الله يقلب قلوبكم . فبعثوا له ، كلنا قتلة أصحابك ، وكلنا مستحل لدمائهم ، مشتركون في قتلهم^(٣) .

لم يكن هناك بد من مواجهتهم بالقوة ، فلحق بهم أمير المؤمنين عليه السلام ،

(١) م . ن .

(٢) المسعودي ، مروج الذهب ٢ : ٤٢٢ .

(٣) المسعودي ، مروج الذهب ٢ : ٤٢٤ .

وعرض عليهم التوبة والرجوع ، قبل تطور الموقف ، فرفضوا وأجابوه بالسهم ، وهو يكرر نداءه ثلاث مرات ، حتى جيء برجل مضرج بدمه ، عند ذلك أعطى أمره بالقتال . وكانت نتيجة المعركة كما توقعها الإمام علي عليه السلام ، لا يفلت منهم إلا عشرة ، ولا يقتل من جيش علي عليه السلام سوى عشرة . فأبى جيش الخوارج برمته ، وكان قد بلغ عددهم أربعة آلاف رجل^(١) .

الاستنتاجات :

تميزت سياسة أمير المؤمنين علي عليه السلام تجاه معارضيه بمميزات فريدة لم تكن تكتيكا أو مناورة ، بل كان عليه السلام يؤمن بها إيمانا حقيقيا ، وملتزما بها باعتبارها تمثل الإسلام نصا وروحا . وكان يفرض مخالفتها وهو القائل (أتريدونني أن أطلب النصر بالجور .. هيهات أن أبيع ديني بدنياكم) . هذه المميزات هي :

١ - الالتزام الشديد بحقيقة الإسلام وقيمه وتعاليمه . فلم يحد قيد شعرة عن الحكم الإسلامي في جميع الوقائع والأحداث التي مرت به . ولم يحاول التنصل من حكم الشريعة الإسلامية تحت أي تبرير أو حجة . كما لم يضطر لمخالفة الحكم الشرعي حتى بدوعي المصلحة الإسلامية العامة . فضرب بذلك مثالا في قوة الالتزام بالمبادئ الإسلامية .

٢ - الرحمة والحلم والعفو تجاه المعارضين له ، والناقمين على سياسته ، بل وحتى الكارهين لشخصه . فلم يمارس الانتقام الشخصي ، والتأثر للذات ، رغم أن الأجواء كانت تساعد على ذلك ، لكنه عليه السلام تجرد من كل مطامع وأهواء شخصية . فكانت حركاته ، وأقواله ، وأفعاله ، كلها في سبيل الله وفي سبيل رفعة الإسلام . فلم يتعرض لأهل وأزواج وذرية

(١) المسعودي ، مروج الذهب ٢ : ٤٢٥ . تاريخ يعقوبي ٢ : ١٩٣ . الفصول المهمة : ١٠٤ .

معارضيه ممن كان يرفع السلاح بوجهه .

وبلغ عطفه على الآخرين أنه كان يتأسف على مصرع بعض خصومه، لما لقوه من عاقبة سيئة ، بعد أن أمضوا عمرا في الجهاد والحق . وكان يصلي عليهم ويدفنههم بصورة لائقة كمسلمين . وكان يوصي عليه السلام جنوده بالرفق بالجرحى والأسرى ، وعدم ملاحقة الفارين ، وعدم طعن الهاربين من الخلف ، وعدم التعرض للنساء والأطفال بسوء ، وحتى قادة جيش الجمل .

٣- لم يجبر أحداً على بيعته . وكان يقول (إن كرهنى رجل واحد من الناس لم أدخل في الأمر) .

٤- لم يمارس الغدر والدسائس أو السلوكيات اللاأخلاقية ضد خصومه ، وتشويه سمعتهم من أجل فض الناس عنهم . صحيح أنه كان يذم أخلاقهم وانتهاكهم القيم والتعاليم الإسلامية ، لكنه لم يبالغ أو يزيّف الحقائق مطلقاً . ولم تضطره صعوبة المشاكل إلى النفاق أو الازدواجية حتى من أجل تدعيم سلطته الشرعية .

٥- عدم حرمان المعارضين من حقوقهم الأساسية في الأمن والعطاء، وحرية التنقل ، وحرية الاجتماع وتداول الآراء ، وحرية التعبير السياسي ، والإعلان عن عدم رضاهم لتوليه السلطة . كما لم يهاجم مساجدهم أو أماكن نشاطاتهم واجتماعاتهم . الخلاصة أنه لم يمنع أحداً من ممارسة حقوقه السياسية مادام لم يخل بالأمن والنظام . فإذا وصل الأمر إلى العصيان المسلح ، اضطر عليه السلام للتدخل .

٦- لم يقطع الاتصال بالمعارضة في جميع مراحل الصراع ، وحتى في الحروب . فقد كان يأمل في تفادي إراقة دماء المسلمين قدر المستطاع . وكان لا يأنف من مخاطبة المعارضين أو مكاتبتهم مهما كانوا على درجة من سوء الخلق ، أو المستوى الفكري ، أو الماضي السيء . إذ كان

لديه أمل كبير في إصلاحهم وإرشادهم إلى طريق الحق .
٧- لم ينخدع بشعاراتهم السياسية لأنه كان يعلم الدوافع الحقيقية ولم يقابلهم بالمثل برفع شعارات غير صحيحة بل كان همه أن يوضح للناس خلفية خصومهم وأهدافهم الحقيقية .

٨- بقي ﷺ ملتصقاً بال جماهير التي اعتبرها القاعدة الحقيقية للحكم ، فأشركها في تحمل مسؤولياتها في مواجهة الأحداث ، فكان يطرح رأيه عليها ، ويستشير الناس فيما يريد أن يقدم عليه ، ويسمع لرأيهم إن كان صواباً ، ويرشدهم برفق إذا أخطأوا . ولم يكن مصراً على رأيه بل يأخذ برأي الأكثرية ويحملهم نتائج قراراتهم . وكان يوضح للناس ما سيقوم به ، ويشرح لهم مجريات ما حدث من أحداث ، كي يكونوا على علم ووعي بما يجري ، ولا يلتبس الأمر عليهم ، أو تشوش عليهم الشعارات والإشاعات .

٩- كان مستعداً لسماع أي نقد ضده ، أو اتهام أو رأي مخالف . ويناقش آراء خصومه دون انفعال إلا ما اقتضت طبيعة الأحداث ، ونوعية الشخصية المخاطبة ، وموضوع الحديث . ويدفع عن نفسه الاتهامات ، ويوضح ما التبس من الأمور بكل صراحة .

مصادر البحث :

- ابن أبي الحديد المعتزلي ، شرح نهج البلاغة ، عشرون جزءاً في عشرة مجلدات، ج : تعني مجلد مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، الطبعة الأولى المصححة، بيروت : ١٩٩٥ .

- ابن الصباغ المالكي / الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة / دار الأضواء ، الطبعة الثانية ، بيروت : ١٩٨٨ .

- ابن قتيبة الدينوري / الإمامة والسياسة / جزءان ، انتشارات

- الشريف الرضي، الطبعة الأولى، قم: ١٩٩٢.
- المسعودي / مروج الذهب ومعادن الجوهر / أربعة أجزاء، مؤسسة الأعلمي للطبوعات، الطبعة الأولى المحققة، بيروت: ١٩٩١.
- الطبري / تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك) / ستة مجلدات / دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، بيروت: ١٩٨٨.
- اليعقوبي / تاريخ اليعقوبي / جزآن، منشورات الشريف الرضي، الطبعة الأولى، قم: ١٩٩٤.
- محمد باقر الصدر / أهل البيت، تنوع أدوار ووحدة هدف / دار التعارف للطبوعات، بيروت.
- محمد باقر الناصري / دراسات في التاريخ الإسلامي / مؤسسة أهل البيت، الطبعة الثانية، بيروت: ١٩٨١.
- محمد جواد مغنية / الشيعة والحاكمون / دار ومكتبة الهلال ودار الجواد، الطبعة الخامسة، بيروت: ١٩٨١.
- عبد الحسين شرف الدين / النص والإجتihad / منشورات الإمام الحسين، للتبليغ والإرشاد، الطبعة الأولى، قم: ١٩٩٤.
- مرتضى العسكري / أحاديث أم المؤمنين عائشة / جزء واحد / التوحيد للنشر، الطبعة الخامسة، إيران: ١٩٩٤.
- محمد مهدي شمس الدين / ثورة الحسين، ظروفها الاجتماعية وآثارها الانسانية / دار المثقف المسلم، الطبعة الخامسة، قم: ١٩٧٨.
- محمد جواد آل الفقيه / أبو ذر الغفاري / منشورات دار الفنون، الطبعة الأولى، بيروت: ١٩٨٠.
- لجنة التأليف - مؤسسة البلاغ / سيرة رسول الله وأهل بيته / جزآن، المعاونة الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت.

حول بعض مسائل الزواج في الاسلام

السيد عبد الكريم هاشمي نژاد

سؤال :

يرى الاسلام بأن سن الزواج المحددة للفتيات هو تسع سنوات، وللفتيان ست عشر سنة ، مع أن البنت في هذه السن كما أنها لا تتمكن من تحمل المسؤولية الزوجية ووظائفها ، وكذلك هي غير ناضجة جنسياً ، ألا يشكل هذا الحكم نقطة ضعف في التشريع الإسلامي ؟

الجواب :

من الواضح أن بعض الفتيات في سن التاسعة ، وبعض الفتيان في سن السادس عشرة ، وخصوصاً في المناطق الحارة ، يبلغون مرحلة النضوج الجنسي ، ويكونون مستعدين جنسياً للزواج ، ولا شك أن

البعض منهم في مثل هذه السن لا يصل لمرحلة النضج الجنسي ، بل ربما يسبب الزواج لهم الكثير من المشاكل والمتاعب .

فإذا كانت الشريعة الاسلامية ترى (وجوب) الزواج في مثل هذه السن، لكان هذا التشريع هو السبب للمشاكل التي يقتضيها هذا الزواج بالنسبة للفئة الثانية ، ولكن الاسلام يرى الزواج في هذا السن (جائزاً) فحسب ، إذن فالفئة الأولى ، أي أولئك الذين لم يبلغوا مرحلة النضج الجنسي ، في هذه السن ، يتمكنون من الزواج وفق هذا التشريع ، واما الفئة الثانية ، أي أولئك الذين لم يبلغوا في هذه السن لمرحلة الرشد الجنسي ، فيمكن لهم أن لا يتزوجوا ، وكل ذلك من أجل ارضاء الميول الجنسية ، وعدم السقوط في المعاصي والانحرافات نتيجة عدم اشباعها.

الشريعة الاسلامية غير محدودة :

الاسلام دين دائم ، وشامل لكل زمان ومكان ، ومثل هذا الدين يلزم أن يشتمل على التعاليم التي تقبل التطبيق في كل زمان ، وفي كل منطقة ، ولا تعيق تطبيقه الاختلافات الجغرافية والطبيعية ، فالفتاة التي تبلغ نضجها ورشدتها في السنة التاسعة من عمرها ، والفتى الذي يبلغ نضجه في سن السادس عشرة ، فإن أبواب الزواج مفتوحة لهم ، بمقتضى هذا القانون ، وأما الذي لم يبلغ النضج والرشد في هذه السن ، فلا يجبر على الزواج ، وهذا هو معنى (القانون الطبيعي العلمي) الذي يقبل التطبيق في كل مناطق العالم ، دون أن تنشأ منه الآثار السيئة .

القوانين الحديثة وبلوغ الفتيان والفتيات : السن التي عينتها وحدتها القوانين الحديثة ، لبلوغ الفتاة والفتى ، لا يتلاءم مع النظام الطبيعي

والتكويني فإنها تعتبر سن البلوغ للفتاة أي سن الزواج هو الخامس عشرة، وللفتيان هو الثامن عشرة، ومن هنا كانت سبباً للكثير من المشاكل والمتاعب التي يتعرض لها الفتیان والفتيات، الذين يستيقظ فيهم بركان الجنس قبل هذه السن، وخصوصاً في المناطق الحارة، فيتحIRON كيف يوافقون بين القوانين الدولية المخالفة للطبيعة البشرية وبين ميولهم ورغباتهم الطبيعية المشروعة، لذلك يصاب الأولاد في سن (١٦ - ١٧) بأمراض السفلس، وغيره من الأمراض الجنسية والتناسلية، نتيجة العلاقات الجنسية غير المشروعة، بينما لا تعتبرهم القوانين الحديثة قد بلغوا سن الزواج، وهكذا الفتيات في سن (١٣، ١٤)، حيث يصبح الكثير منهن حوامل لتلك العلاقات غير المشروعة، ويجهضن أنفسهن خوفاً من العار، مع أن القوانين المعاصرة لا تعتبرهن بالغات لسن الزواج، هذا هو التناقض بين النظام التكويني الطبيعي والقوانين الحديثة.

سؤال :

ماهي الفوائد الاجتماعية للزواج المؤقت ؟ وهل يأتي اليوم الذي يصبح فيه الزواج المؤقت قانوناً عالمياً يعترف به الجميع ؟.

الجواب :

قانون الزواج المؤقت من أثرى القوانين الإسلامية من حيث احتوائه على الكثير من الفوائد الاجتماعية، ومن أهمها، أنه يقف كسد منيع بوجه الفساد الخلقي، واشاعة الفاحشة في المجتمع، ويحفظه من أنواع الانحرافات.

فإن الغريزة الجنسية من أشد الغرائز البشرية قوة، وطغياناً، هذا من

جانب ، ومن جانب آخر ، فإن مشاكل الزواج الدائم ونفقاته الباهظة ، ومشاكل أخرى ، لا يتمكن لكل أحد أن يتحملها ، وبالأخص الشباب ، خلال فترة الدراسة ، هذه المشاكل تحول بين الفرد والزواج الدائم ، ومن جانب ثالث : اشاعة الفاحشة ، وانتشار الأوبئة والأمراض الجنسية والتناسلية ، والولادات غير الشرعية ، وعشرات أخرى من المفسد الأخرى ، حيث تؤدي إلى سقوط وانهيار الفضيلة والأخلاق والقيم والصحة ، والسلام ، والنظام الاجتماعي وتوازنه .

ومن هنا كان من الضروري وضع قانون لا يشتمل على الزواج الدائم ، وفي نفس الوقت ، يحتفظ بسلامة الحاجات والرغبات الجنسية وطهارتها ، ولا يفسح المجال لطغيان هذه الغريزة الهائجة ، وليس هذا القانون إلا المتعة أي الزواج المؤقت .

ففي الزواج المؤقت تتحدد علاقات الرجل والمرأة بحدود القانون والعقد ، وإذا ولد لهما ولد فانه يكون محتفظاً بعلاقته النسبية كسائر الأولاد من الزواج الدائم ، من حيث الحقوق والواجبات ، ولكن نفقة المرأة لا تكون على عاتق الرجل ، وبما أن مدة الزواج معينة منذ بداية العقد ، لذلك لا تحدث مشاكل الطلاق ، بسبب الفراق بينهما بعد إنتهاء المدة المعنية .

وهنا ملاحظة يجب التنبيه لها وهي أن الإسلام قد جعل للمرأة المعتقد بها ، عدة معينة كالزواج الدائم ، بعد الانفصال عن الزوج ، لأجل المحافظة على طهارة المرأة وسلامتها ، ولأجل المحافظة على نسب الأبناء ، ومراعاة هذه العدة تستوجب أن يحتفظ الولد بنسبته لأمه وأبيه ، وحفظ المرأة من الأمراض المختلفة ، والمفسد الأخرى الناتجة من العلاقات غير المشروعة .

ولأجل توضيح هذا البحث أكثر ، لابد من التعرف على الآثار الاجتماعية للزواج المؤقت بصورة موجزة :

١ - تخليص الرجل والمرأة من الفساد الخلقي ، والانهيال المعنوي .
٢ - انتشار المجتمع من السقوط في المعاصي والذنوب ، وحفظه من الاصابة بالأمراض المختلفة الناشئة من العلاقات الجنسية غير المشروعة .

٣ - انقاذ الأسرة من السقوط والانهيال الاجتماعي .
٤ - تخليص المجتمع من الأطفال غير الشرعيين ، فإن عقدة الحقارة والانسحاق تعمل أثرها المدمر بين الملايين من الأطفال غير الشرعيين ، دون ارادة واختيار منهم لهذا المصير السيء .
٥ - القضاء على اللواط ، وعشرات المفاسد الناتجة منه .

الزواج المؤقت ومفكرو الغرب :

نحن نعتقد بأن تقدم العلم سوف يدرك العلم مدى أهمية هذا القانون ، وسوف يصل اليوم الذي يعتبر فيه من الضرورات الحياتية للإنسان ، والشروط اللازمة للمجتمع السليم ، وقد لاحت بوادر هذا الأمل تظهر واضحة في الغرب ، ونحن إنما نذكر آراء الغربيين ، لإقناع أولئك الذين ينظرون ويحكمون على مختلف المسائل والقضايا بمنظار الغربيين ، ويعتبرون آراءهم هي المعيار لصحة الأشياء . وننقل بعض آرائهم ، لنرى أن بعض المفكرين الغربيين يدعون إلى ما يشبه الزواج المؤقت ، لأجل سلامة المجتمع ، وانقاذ الشباب من المفاسد الجنسية ، والانحطاط الخلقي ، والحد من طغيان الشهوة .

ومن هذه الآراء ما ذكره برتراند راسل ، وننقل رأيه هذا من كتاب

الفلسفة القرآنية للعقاد (فهذا الفيلسوف - أي راسل - يرى أن سن الزواج قد تأخرت بغير اختيار وتدبير ، فإن الطالب كان يستوي في علومه قبل مائة سنة أو مائتين في نحو الثانية عشرة أو العشرين ، فيتأهب للزواج في سن الرجولة الناضجة ، ولا يطول به عهد الانتظار إلا إذا أثر الانقطاع للعلم مدئ الحياة ، وقل من يؤثر ذلك بين المئات والألوف من الشبان) .

(أما في العصر الحاضر فالطلاب يتخصصون لعلومهم وصناعاتهم بعد الثامن عشرة أو العشرين ، ويحتاجون بعد التخرج من الجامعات إلى زمن يستعدون فيه لكسب الرزق من طريق التجارة أو الأعمال الصناعية والاقتصادية ، ولا يتسنى لهم الزواج وتأسيس البيوت قبل الثلاثين ، فهناك فترة طويلة يقضيها الشاب بين سن البلوغ وبين سن الزواج لم يحسب لها حسابها في التربية القديمة وهذه الفترة هي فترة النمو الجنسي والرغبة الجامحة وصعوبة المقاومة للمغريات ، فهل من المستطاع أن نسقط حساب هذه الفترة من نظام المجتمع الانساني ، كما اسقطها الأقدمون وأبناء القرون الوسطى) ؟

(يقول الفيلسوف : ان ذلك غير مستطاع ، واننا إذا أسقطناها من الحساب فنتيجة ذلك شيوع الفساد والعبث بالنسل والصحة بين الشباب والشابات ، وانما الرأي عنده أن تسمح القوانين في هذه السن بضرب من الزواج بين الشبان والشابات لا يؤودهم تكاليف الأسرة ، ولا يتركهم لعبث الشهوات والموبقات وما يعقبه من العلل والمحرجات وهذا ما سماه بالزواج العقيم أو الزواج بغير أطفال وأراد به أن يكون عاصماً من الابتذال ومدرّباً على المعيشة المزدوجة قبل السن التي تسمح بتأسيس البيوت)^(١) .

ولعل هذا الضرب من الزواج المؤقت الذي اقترحه راسل يشبه إلى حد كبير قانون المتعة في الاسلام ، من حيث الشروط التي اعتبرها هذا الفيلسوف لهذا الزواج ، إذ الشروط الرئيسية التي اشترطها الاسلام للزواج المؤقت هي رضا الطرفين ، واجراء صيغة العقد ، وتعيين مدة الزواج ، وتعيين المهر .

وأما الشروط الثقيلة الأخرى المقررة للزواج الدائم ، فلا وجود لها في هذا الزواج ، فلا تلزم النفقة على الرجل ، ولا يلزم عليه توفير المسكن ، ويجوز للزواج العزل ، وغيره مما يمنع من حدوث الحمل ، حتى بدون رضا الزوجة بخلاف الزواج الدائم الذي لا يسمح له ذلك بدون رضاها . وعلى ضوء ذلك ، فيمكن القول بأن الزواج المؤقت الذي اقترحه راسل ينطبق إلى حد كبير مع الزواج المؤقت في الاسلام .

ومنها ما اقترحه (ويلموانلون) الاستاذ في إحدى الجامعات الأميركية ، ومن الأعضاء السابقين للبرلمان ، وله بحوث ودراسات واسعة حول المسائل الجنسية والاجتماعية ، وقد عرض هذه الدراسة على البرلمان الأميركي ، يقول فيها : (قد أثبتت التجارب والدراسات العلمية والقوانين الحياتية أن المرأة والرجل ، بعد مدة قصيرة من زواجهما ، يضعف احساسهما باللذة الجنسية ، وينضب ذلك النشاط الذي كان يدب فيهما في الأيام الأولى من الزواج ، ومن هنا ربما تؤدي هذه الحالة فيهما إلى الانحراف ، وقد أثبتت الاحصائيات بأن (٦٥٪) من الرجال يخونون زوجاتهم ، وهكذا الأمر في النساء ، فالخيانة الزوجية ظاهرة شائعة في عصرنا ، ولأجل مواجهة هذه الانحرافات يلزم على الدولة أن تشترع زواجا مؤقتا ، يخضع للشروط ، والمدة التي يتوافق

عليها الطرفان^(١).

ومن هؤلاء (اليندسي) وقد كان رئيساً للمحكمة التي تشرف على جرائم الشباب في أميركا ، ولسنين طويلة ، ومن الحقوقيين المعروفين هناك ، وقد اقترح نوعاً جديداً للزواج ، وفي البداية أشار لهذه الحقيقة ، بأن المانع من اقدام الشباب على الزواج هو الفقر ، وعدم المال ، وبعد ذلك يقول : بأنه لا بد أن يسمح بنوع آخر من الزواج لهؤلاء الشباب ، بحيث يفترق هذا النوع عن الزواج المتعارف بثلاثة فروق :

١- ان لا يقصد الزوجان انجاب الأولاد من البداية .

٢- أن يتمكن الزوج والزوجة وبكل سهولة من الافتراق ، مادام لم ينجبا ولداً ، والزوجة لم تكن حاملاً .

٣- في صورة الافتراق لا تلزم الزوج النفقة على الزوجة .

وقد أيد راسل هذا الاقتراح تأييداً شديداً ، واعتبره من الحلول الناجعة لمشاكل الشباب^(٢).

سؤال :

أكد القرآن الكريم على ضرورة توفير العدالة في تعدد الزوجات ، فإن لم يتمكن الزوج من توفير هذه العدالة ، فعليه الاكتفاء بواحدة ﴿فانكحوا ما طالب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم أن لا تعدلوا فواحدة﴾ ولكن ذكر في آية أخرى أنه يستحيل تحقيق العدالة بين الزوجات ﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم﴾ إذن فلماذا أمر بالمحال ، فهل هناك منافاة وتناقض بين الآيتين ؟

(١) حقوق المرأة في الإسلام ، باللغة الفارسية : ١٨١ .

(٢) العلاقات الجنسية والأخلاق ، لراسل ، باللغة الفارسية : ١٥٦ .

الجواب :

إن العدالة التي اشترطت في الآية الأولى في مجال تعدد الزوجات هي العدالة في العمل الجنسي ، وفي النفقة واللباس والمسكن ، فلا بد من المساواة بين الزوجات في ذلك ، وهذا أمر مقدور للإنسان ، والمقصود من العدالة في الآية الثانية ، والتي اعتبرها القرآن الكريم غير مقدورة ، هي العدالة من حيث الحب والميل القلبي ، فلا يمكن لأحد أن يساوي بين الجميع في ذلك ، مساواة تامة ، فإن ميله القلبي لإحدهما عادة ما يكون أكثر من الأخرى ، ولذلك لم يكلف بمثل هذه العدالة ، وهذه الفكرة تستفاد من رواية عن الإمام الصادق عليه السلام : «... فقال له أبو عبد الله عليه السلام أما قوله عز وجل ﴿فَانكحُوا مَا طَالَبَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَنْ تَتَعَدَّلُوا فَوَاحِدَةً﴾ يعني في النفقة ، وأما قوله ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ مِيلٍ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ يعني في المودة»^(١).

سؤال :

لماذا تزوج النبي ﷺ زوجات متعددة ، وهل كان الدافع لذلك هو العامل الجنسي ، أو هناك أسباب أخرى ؟

الجواب :

إن بعض المبشرين العملاء ، لأجل أن يشوهوا سمعة النبي ﷺ ومكانته المقدسة ، قد نشروا هذه التهمة الخبيثة ، وإن الدافع الذي حفز النبي ﷺ على التزويج بزوجات متعددة هو الدافع الجنسي ، ولكنها تهمة وافتراء ، كالكثير من افتراءاتهم وأضاليلهم ، فإن النبي ﷺ وإن كان قد

(١) الميزان : ٥٠ و ١٠٧ .

تزوج زوجات متعددة ، ولكن الشواهد المسلمة دلت على أن دافعه لم يكن هو الدافع الجنسي ، بل لأجل الأهداف الإسلامية العليا .

فالنبي ﷺ قد قضى أفضل أدوار حياته ، وربيع عمره ، إلى أن أصبح عمره خمسة وعشرين عاماً ، عاش هذه الفترة في المحيط الفاسد للجزيرة العربية ، بلا زوجة ، بشهادة التاريخ ، لم يرتكب المعصية ، ولم يستسلم للشهوة الجنسية ، بل إنه كان معروفاً بالأمانة والعفة والفضيلة ، فإنه ﷺ لو كان قد اقترف أي انحراف جنسي ، قبل البعثة ، لكان ذلك ورقة رابحة بيد أعداء الإسلام ، حيث يتخذونها وسيلة للتشهير به ، وتدنيس حركته المقدسة ، ولم يظهر من أعداء الإسلام آنذاك أي قول يمس بفضيلته وعفته مع حقدهم الهائل عليه .

إن فهذا الرجل العظيم الذي عاش أكثر فترات العمر التهاباً بلا زوجة ، وكان معروفاً بالعفة والأمانة ، في ذلك المحيط الفاسد الحافل بالمغريات ومحفزات المعصية ، فهل يمكن ، بعد ذلك أن نقول بأن الدافع على زواجه المتعدد هو الدافع الجنسي ؟

الظروف الخاصة لزواجه المتعدد :

الظروف الخاصة لزواج النبي ﷺ بكل واحدة من زوجاته ، بنفسها ، دليل على أن هذا التعدد لم يكن سببه الجنس ، إذ لو كان هدفه الاشباع الجنسي ، لكان يختار الفتيات الجميلات ، ولا يصعب عليه ذلك ، لما كان يمتاز به من الشخصية الجذابة ، والمظهر الحسن ، والفتاة الجميلة هي التي تشبع غريزة الرجل ، لا كثرة الزوجات ، اللاتي كن جميعاً ، كبيرات في السن ، إلا عائشة ، وهذا أفضل دليل ، على أن دافعه على الزواج المتعدد هو الأهداف الإسلامية السامية .

والآن نتعرض بصورة اجمالية إلى الظروف الخاصة لزواجه بكل واحدة من زوجاته :

١- الزواج الأول : زواجه مع (خديجة) ، فكان عمرها حين تزوجها في الأربعين ، وعمره ﷺ في الخامسة والعشرين ، ولم يتزوج معها زوجة حتى توفيت رضوان الله عليها ، وكان النبي ﷺ في الخمسين من عمره الشريف ، ومن هنا يظهر أن دافعه على هذا الزواج ، لم يكن الميل الجنسي بل بسبب وفائها والفضائل التي تمتاز بها ، وقد دل المستقبل على الدافع الحقيقي لهذا الزواج . فإنها كانت أول امرأة أسلمت ، وقد بذلت أموالها في سبيل الإسلام ، وقد ضحت بالغالي والنفيس في هذا السبيل ، ودافعت عن النبي ﷺ ورسالته بأموالها وبنفسها في الكثير من المواقف .

٢- الزواج الثاني : مع (سودة بنت زمعة بن قيس) وقد قتل زوجها (سكران بن عمرو بن عبد شمس) في إحدى الحروب ، وأختارت الاسلام في بدايات البعثة ، وطردت من قومها بسبب اسلامها ، وفرض عليها ، إما أن تترك الاسلام وبذلك يمكنها العودة إلى عشيرتها ، أو انها ستبقى في محنتها والحالة التعيسة التي تعيشها . وتزوجها النبي ﷺ لأجل انقاذها من محنتها ، أولاً ، ولأجل استمالة قبيلتها للإسلام ثانياً .

٣- الزواج الثالث : مع (عائشة) فإنه قد تزوجها في مكة ، وعمرها سبع سنوات ، ولكن لم يدخل بها إلا في المدينة ، وعمرها تسع سنوات ، وعائشة وإن كانت بكرة ، ولكن ملاحظة زواجه ﷺ مع غيرها ، والظروف التي تزوج بها ، تبين أن الدافع على زواجه هذا هو استمالة قبيلتها للإسلام ، وتوثيق العلاقات مع قبيلتها ولأهداف أخرى فإنه لو كان الدافع هو الرغبة الجنسية ، لم يكن النبي ﷺ يكرر أمامها اسم خديجة ، ووفاءها ، وتضحيتها ، كما ينقل التاريخ ذلك .

٤- الزواج الرابع : مع (حفصة بنت عمر)، وزوجها الأول كان (خنيس بن حذاقة) توفي في المدينة، وطلب عمر من عثمان أن يتزوجها، فرفض، فشكاه عمر للنبي ﷺ، ولأجل ذلك تزوجها، وقال ما مضمونه، سيتزوج ابنتك من هو خير من عثمان، فهل يمكن القول بأن مثل هذا الزواج كان دافعه الجنس؟ بل أن الدافع هو توطيد العلاقات مع عمر، واستمالة قبيلته للإسلام.

٥- الزواج الخامس : مع (زينب بنت خزيمة بن الحارث) وكان زوجها الأول (طفيل بن حارث بن عبد المطلب). وقد طلقها، وتزوجها بعد ذلك أخوه (عبدة)، واستشهد عبدة في بدر، وتزوجها النبي ﷺ لإيقاظها من المحنة التي تعيشها بعد أن فقدت زوجين، لينهي بذلك عذابها وآلامها. فهل يمكن القول بأن مثل هذا الزواج كان دافعه اشباع الميول الجنسية؟.

٦- الزواج السادس : مع (أم سلمة)، وكان زوجها الأول (عبدالله بن عبد الأسد المخزومي)، وقد سافرت مع زوجها إلى الحبشة، وبعد رجوعها، هاجر إلى المدينة، وجرح زوجها في أحد، وتوفي متأثراً بجراحه، وقد تألمت كثيراً لوفاة زوجها، ولأجل رافة النبي ﷺ بهذه المرأة التي هاجرت الهجرتين، والتي تعاني الوحدة والعذاب لفقدان زوجها، تزوجها ﷺ بالرغم من أنها كانت كبيرة السن.

٧- الزواج السابع : مع (زينب بنت جحش)، وكان زوجها الأول (زيد بن حارثة)، ولكن اصالة أسرتها، ومكانتها، لم تسمح لها أن تعيش بكل وثام وسعادة مع زيد، الذي كان عبداً للنبي ﷺ وأطلقه، وتبناه ابناً له، ولذلك طلقها زيد بعد اصرار النبي ﷺ على عدم طلاقها. ولكن لم ينفع

أصراره ، وتزوجها النبي ﷺ بعد ذلك بأمر من الله تعالى ، حتى يشجب عملياً ، الرأي الشائع آنذاك ، بأن الرجل لا يتمكن أن يتزوج زوجة ابنه الذي يتبناه ، ويصرح بهذا المعنى القرآن الكريم ، فإنه لم يكن يكفي القول في مواجهة هذه العادة الجاهلية الراسخة ، بل لابد من العمل ، وإذا كان الدافع لزواجه بها هو جمالها ، لكان قد تزوجها قبل زيد ، بالإضافة إلى أن الآية الشريفة تصرح بأن الحافز على زواجه بها ، لم يكن إلا الأمر الإلهي ليطبق النبي ﷺ بنفسه التشريع الإلهي المعارض للعادة الشائعة آنذاك .

٨- الزواج الثامن : مع (جويرية بنت الحارث) وكان زوجها الأول ابن عمها (ذو الشعرين) ، وقتل في معركة مر يسيع ، وتزوجها النبي ﷺ ليزيح غمها وتألّمها على وحدتها وافتقادها لزوجها ، فالدافع على زواجه هذا هو الرأفة بها لا الميل الجنسية .

٩- الزواج التاسع : مع (رملة بنت أبي سفيان) وكان زوجها (عبدالله بن جحش الأسدي) وقد أسلما في بداية البعثة ، وهاجرا للحبشة ، وهناك عاد زوجها للمسيحية ، ومات فيها ، وبقيت رملة وحدها في الحبشة ، ولم يقبلها قومها لأنها مسلمة ، وأرسل النبي ﷺ رسالة للنجاشي ليعبثها ، وتزوجها النبي ﷺ رأفة بها ، إذن فالدافع على زواجه بها هو الرأفة والشفقة .

١٠- الزواج العاشر : مع (صفية بنت حيي بن أخطب) وكانت يهودية ، وأبوها من رؤساء قبيلة بني النضير ، وكان زوجها السابق (سلام بن مشكم) وقد فارقت ، وتزوجت (كنانة بن الربيع) وكان يهودياً ، وقتل في خيبر ، واسرت صفية ، وتزوجها النبي ﷺ بعد أن أطلقها ، وكان يعطف عليها كثيراً ، وكان يهدف من زواجه بها أمرين :

١ - انها كانت بنت زعيم عشيرة ، وعانت ذل الأسر ، وقتل زوجها ، وأسلمت ، ورأفة بها ، وانتشالها من واقعها المؤلم ، تزوجها أعظم رجل .
٢ - انه قد علّم المسلمين بذلك اطلاق الجواني والاماء وتحريرهن .
١١ - الزواج الحادي عشر : مع (ميمونة بنت الحارث) وكان لها قبل البعثة زوجان ، وبعد وفاة زوجها الثاني ، تزوجها النبي ﷺ حتى يزيل احساسها بالوحدة ، بعد أن فقدت زوجين ، فان الزواج مع امرأة ، كان لها زوجان ، وخصوصاً بالنسبة للنبي ﷺ يدل بوضوح على أن الدافع لم يكن إلا الرأفة بها .

حكاية زيد واعتراضات المبشرين :

كان زيد عبداً للنبي ﷺ وقد أطلقه ، وتبناه ابناً له ، وكان ﷺ يحبه كثيراً ، وزوجه بنت عمّه (زينب بنت جحش الأسدي) ، ويذكر علي بن ابراهيم في تفسيره :

إن النبي ﷺ كان يحب زيداً حباً شديداً ، وإذا غاب عنه يوماً ما ، فإنه كان يسأل عنه ، ليستطلع خبره ، وقد ذهب يوماً إلى بيته ، ليسأل عنه ، ولكن لم يجده في بيته ، وحين وقع نظره على زينب قال : «سبحان الله خالق النور ، تبارك الله أحسن الخالقين» ، وخرج ، وحين عاد زيد لبيته ، روت له زينب القصة ، والكلمات التي تفوه بها النبي ﷺ ، وظن زيد أن النبي ﷺ قد تعلق قلبه بها ، فصمم على طلاقها ، حتى يتزوجها النبي ﷺ ، وذهب إلى النبي ﷺ وأصر على طلاقها ، فرفض ﷺ ، ولكنه أصر كثيراً ، فطلقها ، وبعد انتهاء عدتها ، تزوجها النبي ﷺ .

وقد رد المبشرون هذه الحكاية ، كثيراً ، وأن النبي ﷺ قد أحبها ، لذلك

طلقها زيد ، ليتزوجها النبي ﷺ ، مع أن الأمر ليس كذلك .
وللتعرف على حقيقة الأمر ، نقرأ الآية الشريفة التي تدور حول هذه
الحكاية : ﴿ وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله
وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد
منها وطراً زوجناكمها كي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن
وطراً وكان أمراً مفعولاً ﴾ (١) .

وهنا تبرز عدة أسئلة :

١ - لماذا طلق زيد زينب ، هل كان ذلك لأجل تعلق النبي ﷺ بها ؟
من جملة ﴿ فلما قضى زيد منها وطراً ﴾ يتضح أن طلاقه ليس لأجل ذلك ،
بل لأن زيدا قد أحس بأنه لا يرغب في زينب ، ولا يريد الحياة معها ،
ومعنى عدم احتياج الشخص لزوجته أنه لا يتألم لمفارقتها ، وهذا مدلول
الجملة ﴿ فلما قضى زيد منها وطراً ﴾ والشاهد عليه ذيل الآية الشريفة ﴿ إذا
قضوا منهن وطراً ﴾ ، فإنها تدل على طلاق الابن المبتني لزوجته ، لو لم يحتج
لها ، أو لأجل عدم الرغبة فيها ، أو لبعض العوامل الشخصية الأخرى لا
لأجل تعلق الأب بزوجة الابن المبتني ، إذن فالجملة ﴿ إذا قضوا منهن وطراً ﴾
يستنتج منها بكل وضوح ، أن الدافع على طلاق زيد لزينب ، هو عدم
احتياجه لزينب ، وأن الطلاق قد تم برغبته الشخصية ، فحسب ، وليس
الدافع هو اعتقاده بتعلق النبي ﷺ بزينب .

والتاريخ يؤكد هذا الحقيقة ، كما ذكر ذلك بعض الكتاب المسلمين ،
(فإن زينب كانت ترى نفسها بأنها من بني هاشم ، وأن أسرتها من الأسر

الأصيلة في العرب ، بينما كان زيد عبداً للنبي ﷺ ، لذلك كانت تعامله بحدة وخشونة ، وكان يتألم زيد كثيراً من هذه الحياة الشاقة المتعبة ، ولهذا السبب صمم على طلاقها ، وكان اصراره من الشدة بحيث لم يؤثر فيه ردع النبي ﷺ عن هذا الأمر^(١) .

٢- هل أن زواج النبي ﷺ كان لأجل تعلقه بها ؟

يستفاد من الآية الشريفة أن زواجه بها كان للأمر الالهي لقوله تعالى ﴿زوجناكم﴾ هذا أولاً ، وثانياً : أراد أن يبين للناس بأنه يجوز الزواج بزوجة الولد المتبنى ، كما يصرح بذلك القرآن الكريم نفسه : ﴿زوجناكم لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم﴾ والعمل اسلوب أكثر تأثيراً من القول ، وهذه العادة الجاهلية كانت راسخة في ذلك المجتمع ، بحيث لا يجدي القول وحده في ازالتها ، بل لابد من العمل .

ولا شك بأنه لو كان هناك عامل آخر لزواجه ﷺ ؛ لما اعتبر القرآن الكريم هذا الأمر هو الدافع الوحيد على الزواج .

٣- ماهو الأمر الذي أخفاه النبي ﷺ ، وقد ابداه الله تعالى ؟

لم يكن ذلك الأمر هو هواه ، وتعلقه بها ، وإلا لو كان كذلك لذكره الله تعالى وبيّنه ، بناء على وعده في نفس الآية : ﴿ما الله مبدي﴾ ، مع أنه لا توجد في الآية الشريفة أية إشارة إليه ، وهذا دليل على أن هذا الأمر ليس تعلقه بها ، بل هو أمر آخر ، تشير إليه رواية الإمام علي بن الحسين عليه السلام : «ففي المجمع في قوله تعالى ﴿وتخفي في نفسك ما الله مبدي﴾ (٢) : قيل : إن الذي أخفاه في نفسه هو أن الله سبحانه أعلمه أنها ستكون من أزواجه ، وأن زيدا سيطلقها ، فلما جاء زيد ، وقال له : اريد أن اطلق زينب ، قال له :

(١) طريق محمد : ٢٨٢ ، باللغة الفارسية .

(٢) الاحزاب : ٢٧ .

أمسك عليك زوجك فقال سبحانه : لم قلت ، أمسك عليك زوجك وقد أعلمتك أنها ستكون من أزواجك ، وروي ذلك عن علي بن الحسين (عليه السلام) (١) ؟ .

٤ - هل أنب الله تعالى نبيه ﷺ في هذه الآية الشريفة ؟

كلا ، لم يؤنبه ، إذ أن النبي ﷺ إنما أخفى هذا الأمر الإلهي عن زيد ، لأجل حيائه ، فإنه ﷺ مع علمه بأن زينب ستكون زوجته في المستقبل ، ومع ذلك ، ولحيائه ، أصر على زيد أن لا يطلق زوجته ، والقرآن الكريم ، يصرح في آية أخرى ، بما يتحملة النبي ﷺ من أجل حيائه ، وينصح المسلمين أن لا يستغلوا هذه الصفة التي يتصف بها النبي ﷺ ، إذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحي من الحق ، فالنبي ﷺ في حكاية زيد ، كان يخشى من كلام الناس ، وأحاديثهم ، بعد ذلك ، فما لو أطلعهم على جليلة الأمر ، وأن الله قد أخبره بأن زينب ستكون زوجة له ، لذلك ضبط نفسه ، وكنم الأمر ، ولم يخبر زيدا بذلك ، وأصر عليه أن لا يطلق زوجته ، ولكن الله يقول : ﴿ وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ﴾ وهذه الآية كآية ﴿ إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي ﴾ أي لا موجب لمثل هذا الحياء .

وهذا هو التفسير الذي تفيدده هذه الآية الشريفة ، ونقول لهؤلاء المستشرقين والمبشرين : إن زينب كانت في بيت النبي ﷺ منذ صغرها ، وكان يمكن للنبي ﷺ أن يتزوج بها في أي وقت شاء ، وكان يلاحظ جمالها ، وهي تكبر وتشب ، في بيته ، ومع ذلك لم يتزوجها ، ولعلها كان أكثر جمالاً قبل الزواج .

محمد بن عثمان الخلّاني

« السفير الثاني »

✽ حسين الشاكري

تمهيد

الإتجاهات العامة في الغيبة الصغرى :

كان الإتجاه العام لسياسة الإمام المهدي عليه السلام في إتصاله بقواعده الشعبية ، وقيادته لها ، على ما يدلّنا عليه تأريخنا الخاصّ مندرجاً في عدّة نقاط :

أولاً: إقامة الحجّة على وجوده الشريف بشكل حسّي واضح ، لكي يكون مستمسكاً واضحاً وأكيداً لدحض ما قد يثار من الشبهات والأسئلة حول ولادته ووجوده .

وكانت هذه النقطة ممّا سار عليه والده الإمام العسكري عليه السلام ، حيث

رأيتاه ﷺ يعرض ولده المهدي ﷺ على الخاصة من أصحابه ، وينص على إمامته بعده ، وأنه هو الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً .

واستمر الإمام الحجة سائراً على ما سار عليه أبوه في ذلك لاستمرار الأسئلة والإشكال عن قصد أو غير قصد ، خاصة مع اختفاء الإمام وغموض مكانه ، ووجود الانحرافات بين بعض أصحابه ، كما حدث من عمه جعفر ، ومن بعض الغلاة كالشلمغاني وغيره .

وكان للإمام المهدي ﷺ لإثبات وجوده بالطريق الحسي الواضح عدة طرق :

الطريق الأول : تمكين عدد من الخاصة من مشاهدته عياناً ، وإيصاؤهم بتبليغ ما شاهدوه إلى الناس ، وخاصة القواعد الشعبية الموالية للإمام ﷺ ، مع إيصائهم بكتمان المكان وغيره من الخصوصيات التي قد تدل عليه وتيسر للسلطات طريق الوصول إليه .

الطريق الثاني : إقامة المعجزة بطريق غير مباشر لبعض الأشخاص ممن لا يواجهه مباشرة ، بإرسال رسالة شفوية إليه عن طريق خادم أو غيره تتضمن اسم الشخص ، إن كان ممّا ينبغي عادة أن يكون مجهولاً ، ووصفه للمال الذي يحمله والبلد الذي جاء منه ونحو ذلك ممّا لا يمكن أن يصدر إلا عن حجة الله تعالى على خلقه .

الطريق الثالث : الأجوبة على المسائل وحلّ المشكلات وقضاء الحاجات عن طريق وكلائه بطريق منطقي حكيم منسجم مع أسلوب آباءه ﷺ في مثل هذه المواقف ، بنحو يعلم بعدم تمكّن السفير من أن يأتي بمثله أو أن يخطر على باله ، وخاصة إذا اقترن ذلك بأمر يجله السفير أساساً ، ممّا قد أثبتته المهدي ﷺ في توقيعه .

الطريق الرابع : التزام نحو معيّن من رسم الخطّ ، الذي كان يعرفه

الخاصة من مواليه وموالي أبيه عليه السلام ، فإنَّ اختلاف الخطوط باختلاف الأشخاص من أوضح الواضحات ، والخطّ يستخدم في التعرف على صاحبه في مختلف المجالات القانونية والفقهية وغيرها .

فكان لخط الإمام المهدي عليه السلام مميّزاته الخاصة التي يعرفها الخاصة ، والتي لا يمكن تقليدها ، كخط أيّ شخص آخر ، حتّى للسفير نفسه ، على أنّها كانت محفوظة بذاتها ومتشاكلة على أيدي السفراء الأربعة على اختلاف خطوطهم الشخصية وطبائعهم النفسية^(١) .

ثانياً : الاختفاء عن السلطات اختفاءً تاماً ، بحيث يتعذّر وصولهم إليه مهما كلّفهم الأمر ، ويتمّ ذلك بعدّة طرق :

الطريق الأول : عدم تمكين المشاهدة ، إلّا ممّن يحرز فيه عمق الإخلاص وعدم إفشاء السرّ الذي قد يؤدّي إلى الخطر .

الطريق الثاني : إيصال الشخص المشاهد تأكيداً لذلك بعدم الإفشاء والاحتياط من هذه الناحية على إمامه ، بحيث يكون الفرد ذا مهمّة مزدوجة ، فهو يجب عليه الالتزام في إخباره وتبليغه بأن لا ينزلق إلى ما لا يحمد عقباه .

الطريق الثالث : تحريم التصريح بالاسم ، ومنعه منعاً باتاً ، إلى حدّ يمكن أن يقال : إنّّه كان مجهولاً عن الكثير من الخاصة الموالين ، فضلاً عن سائر المسلمين ، وخاصة من يمتّ إلى السلطات بصلة .

ومن هنا كان يعبر عنه الخاصة عند الحاجة بتعبيرات مختلفة تشير إليه إجمالاً ، ولا تعيّنه شخصياً ، كالقائم ، والغريم ، والحجّة ، والناحية ، وصاحب الزمان ونحو ذلك ، ويتجنّبون بالكلّية التعرّض لاسمه الصريح ،

(١) الغيبة للطوسي : ٢١٦ و ٢٢٠ .

فإنّهم إن وقفوا على الاسم أذاعوه ، وإن وقفوا على المكان دلّوا عليه^(١) .
 الطريق الرابع : الاختفاء التامّ عن السلطات ، وعن كلّ من لا يواليه
 اختفاءً مطلقاً ، فلئن كان عليه السلام في غضون الغيبة الصغرى ، قد يجتمع
 ببعض مواليه ، فإنّه لا يجتمع بمن سواهم على الإطلاق ، إلّا ما كان لإقامة
 الحجّة ، وإظهار التحدي للسلطات مع عدم إمكان إلقاء القبض عليه ، كما
 حدث لرشيق صاحب المادرائي حيث أرسلته السلطات للكبس على دار
 المهدي عليه السلام في سامراء .

الطريق الخامس : تحويل مكانه بين آونة وأخرى ، بنحو غير ملفت
 للإنظار ، وهذا هو المستنتج من مجموع الروايات الدالة على مكانه في
 الجملة ، حيث تدلّ بعضها على وجوده في مكان ، وتدلّ بعضها على
 وجوده في مكان ثانٍ أو ثالث وهكذا ، وهذا صحيح باختلاف الأزمان
 وتعدّد الأيام والسنين خلال الغيبة الصغرى .

الطريق السادس : السكوت التامّ ، ومن ثمّ الغموض المطلق ، بل الجهل
 الكامل بطريقة اتّصال الوكيل الخاصّ بالإمام المهدي عليه السلام ، هل هي بطريقة
 المواجهة أو بطريق آخر ، وأين تحدث المواجهة وكيف ؟ ولو لم تحدث
 المواجهة فكيف تصل أجوبة المسائل وحلول المشكلات . كلّ ذلك كان
 مجهولاً تماماً لدى كلّ إنسان مهما كان خاصّاً ومقرّباً ، ما عدا السفير
 نفسه ، الذي يضطلع بهذه المهمة .

ومن الممكن القول بأنّ السفير كان منهيّاً عن التصريح به أساساً لكلّ
 أحد ، ومن ثمّ كان الشخص يقدّم السؤال ثمّ يأتي بعد يومين أو أكثر
 ليأخذ جواب سؤاله ، ولم يرد في الروايات أيّ إشارة لطريقة استحصال
 الجواب من الإمام عليه السلام .

(١) الغيبة للطوسي : ٢٢٢ .

الطريق السابع: إيكال الوكالة الخاصة، أو السفارة، إلى أشخاص يتصفون بدرجة عالية من الإخلاص، بحيث يكون من المستحيل عادة أن يشوا بالإمام المهدي عليه السلام، أو أن يخبروا بما يكون خطراً عليه ولو مزق لحمهم ودقّ عظمهم، ولا يتوخّى بعد ذلك أن يكون السفير هو الأعمق فقهاً، أو الأوسع ثقافة، فإنّ السفارة عن الإمام عليه السلام لا تعني إلاّ التوسط بينه وبين الآخرين، ولا دخل للأفضلية العلمية فيها، ومن هنا قد تسند الوكالة الخاصة إلى المفضل من هذه الجهة، توخياً لتلك الدرجة من الإخلاص.

فقد اعترضوا على أبي سهل النوبختي، فقيل له: كيف صار هذا الأمر - أي السفارة - إلى الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح دونك؟ فقال: هم أعلم وما اختاروه، ولكن أنا رجل ألقى الخصوم وأناظرهم، ولو علمت بمكانه كما علم أبو القاسم، وضغطتني الحجة^(١)، لعلّي كنت أدلّ على مكانه، وأبو القاسم لو كان الحجة^(٢) تحت ذيله وقرض بالمقاريض ما كشف الذيل عنه^(٣).

ثالثاً: قبض المال وتوزيعه بواسطة سفرائه ووكلائه، والمال المقبوض يكون عادة من الحقوق الشرعية التي يعطيها أصحابها من الموالين للإمام عليه السلام، في مختلف البلاد الإسلامية، فكان إذا اجتمع عند قوم أموال من هذه الحقوق؛ أرسلوها بيد أحد أمنائهم إلى الناحية. وقد يكون المال المقبوض هبة شخصية للإمام عليه السلام، من قبل أحد مواليه، عيناً أو ثوباً أو غير ذلك، وقد يكون موصى به من قبل أحد

(١) أي في المناظرة.

(٢) يريد الإمام (ع).

(٣) الغيبة للطوسي: ٢٤٠.

الأشخاص للإيصال إلى الإمام عليه السلام بعد موته ، أو غير ذلك من الوجوه .
وهذه الأموال منها ما يصل إلى الإمام مباشرة ، ومنها ما يبقى في يد
الوكيل ، يوزّعه بحسب نظر الإمام وقواعد الإسلام .
كما أنّ حامل الأموال إلى الإمام عليه السلام قد يوفق إلى دفعها إلى السفير
مباشرة ، وقد لا يستطيع حتّى ذلك ، بل يؤمر بوضع المال في مكان
معين ، وذلك بحسب اختلاف الظروف والأحوال التي يعيشها السفراء
بشكل خاصّ والقواعد الشعبية الموالية بشكل عامّ .

رابعاً: أجوبته عليه السلام عن الأسئلة التي كانت تصل إلى الإمام عليه السلام عن طريق
السفراء ، والتي تعدّ من أهم مهام السفراء ، فقد كانت تجتمع عند السفير
بكترة من مختلف طبقات الموالين ، وهو ملزم بإيصالها إلى الإمام عليه السلام .
وجواب الإمام عليه السلام قد يكون توقيعاً ، أي جملة مختصرة مكوّنة من
بعض كلمات ، وقد يكون مطوّلاً مسهباً ، بحسب ما يراه الإمام عليه السلام من
مصلحة السائل والمجتمع .

وتندرج في ذلك الأسئلة الفقهية والعقائدية التي كانت توجّه إليه
والطلبات الشخصية ، كما يندرج في ذلك مناقشاته للشبهات التي كانت
قد تنجم بين الموالين ، وللدعاوى الكاذبة بالسفارة عنه عليه السلام ، ولعن
المدّعين وكشف اتجاهاتهم المنحرفة .

ويندرج في ذلك ما خرج عنه عليه السلام من الترحّم على السفير الأول وتعزية
ولده السفير الثاني ، وما خرج من البيان عن انقطاع السفارة بعد السمرى
السفير الرابع عليه السلام وغير ذلك من التوقيعات .

خامساً: قضاؤه عليه السلام لحوائج الناس من قواعده الشعبية من الناحية

الشخصية ، يندرج في ذلك المال الذي يأخذه بعضهم من المهدي عليه السلام مباشرة إذا وُفقوا للقائه ، والمال الذي يأخذه الآخرون من السفراء أو غيرهم ممن يمتّ إلى الإمام عليه السلام بصلة ، وهي بمجموعها أموال مهمة لا يستهان بها .

كما يندرج في ذلك نصحه عليه السلام لمستنصحيه ، بالقيام بعمل معين ، كالحجّ أو غيره أو الامتناع عنه ، بحسب ما يرى من المصلحة التي يتّضح بعد ذلك للسائل مطابقتها لمقتضى الحال ، كما يندرج في ذلك الأكفان والحنوط والأثواب التي كان يعطيها لبعض الخاصة مع الطلب أو بدونه ، وذلك قبل موت ذلك الشخص بقليل .

سادساً : عدم التعرّض في كلام المهدي عليه السلام إلى شيء من الحوادث العامة في المجتمع أو في الدولة أو في الخارج ، وما يقوم به الخلفاء أو الوزراء أو الأمراء أو القوّاد أو القضاة أو غيرهم ممن له شأن أو ممن ليس له شأن .

وهذا الإعراض الكامل ، يشكّل احتجاجاً صامتاً وشجباً سلبياً لمجموع الخطّ الذي يسير عليه الناس المنحرفون وذوو المصالح الشخصية الصانعون لتلك الحوادث الممثلة لها على مسرح التأريخ ابتداءً من الدولة وانتهاءً بقواعدها الشعبية ، ذلك الخطّ المنفصل عن خطّه عليه السلام ، والمنهج المغاير لمنهجه .

كما أن التعرّض للحوادث العامة ومن ضمنها الأحداث السياسية ، إذا كان ممّا يمسّ الدولة من قريب أو بعيد ، أو بعض أجهزتها وأعوانها ، فإنّ ذلك يعدّ إعلاناً صريحاً للخلاف على الدولة ، الأمر الذي يعرّض سائر الأفراد الموالين للإمام عليه السلام إلى الخطر والتهديد ، وهو ما لا يريده الإمام المهدي عليه السلام ، كما لم يكن يريده لهم آباؤه عليه السلام .

على أَنَّ الإمام عليه السلام كان مستوعباً للأحداث وإعياً للمشاكل التي تنوء بالمجتمع ولحلولها الإسلامية على المستوى القيادي الرسالي ، وليس هو بعيداً عن الأحداث منصرفاً عن المسؤولية الكبرى الملقاة على عاتقه باعتباره حجة الله تعالى في أرضه ، وفكرة السفارة وما يترتب عليها من المصالح الكبرى في التوجيه العقائدي الرسالي هي دليل على قربيه من الناس وإحساسه بالمسؤولية الرسالية الملقاة على عاتقه .

الإتجاه العام للموالين لأهل البيت عليه السلام :

كان الإتجاه العام للموالين لخط الإمام عليه السلام خلال الغيبة الصغرى مركزاً حول عدّة نقاط مترابطة :

١ - الاعتماد العام والتوثق الكامل من السفراء وحسن الظنّ بهم بأفضل أشكاله ، بما هم أهل لذلك ، لما هو معروف عند الشعب الموالي من نصوص الأئمة الماضين عليه السلام في توثيق وتجليل ومدح السفيرين الأولين ، مضافاً إلى التجربة الفعلية ، والمعاشرة من قريب أو من بعيد ، التي عاشها الناس مع السفراء الأربعة ، قبل سفارتهم وبعدها ، فعرفوا بالإخلاص والإيمان والصدق والتقوى ، بنحو يجعلهم في السنام الأعلى من خاصّة الشعب الموالي . فكانوا لا يشكّون ، بأيّ حالٍ من الأحوال ، بما ينقله أحد السفراء إليهم شفويّاً أو كتبيّاً عن الإمام المهدي عليه السلام مضافاً إلى ما عرفناه من استدلالهم على صدق الرسالة من خطّها ، ومن مضمونها ، ومن أسلوب تبليغها .

٢ - الرجوع في مشكلات الأمور العقائدية والفقهية والشخصية إلى الإمام عليه السلام عن طريق سفرائه ، لكي يذلّ لها لهم برأيه وحكمته ، وبذلك يكون الإمام المهدي عليه السلام وهو في غيبته قد أخذ بزمام الإدارة لقواعده الشعبية

ومواليه ، وتدير أمورهم وإرشادهم فيما ينبغي أن يفعلوا أو أن يتركوا .
 ٣ - الاعتماد على التسالم على أمر من الأمور الموجودة بين أفراد
 الموالين أو الرأي العام الذي يوجد لديه ، تجاه أي مسألة أو مشكلة . وهذا
 التسالم تستقيه القواعد الشعبية من خاصّتها وموجّهيها وعلمائها على
 وجه العموم ، ومن السفراء على وجه الخصوص ، وكان السفراء
 يتسالمون على الأمر نتيجة للقواعد الإسلامية التي يعرفونها ، أو باعتبار
 صدور النصّ فيها من قبل الإمام المهدي عليه السلام على يد أحد سفرائه ، أو
 باعتبار تجربة حسّية عاشوها مع سلوك الفرد الذي تسالموا على وثاقته
 أو الذي تسالموا على انحرافه .

وذلك كالتسالم على وثاقة السفيرين الأولين ^(١) ، وعلى وثاقة السفير
 الثالث الحسين بن روح ^(٢) ، بل على وثاقة السفراء الأربعة جميعاً ،
 وكالتسالم على انحراف ولعن الشلمغاني ابن أبي العزاق ^(٣) ، والتسالم
 بأنّ كلّ من ادّعى السفارة بعد السمرى فهو كافر ضالّ مضلّ ^(٤) .
 فكانت هذه الأمور وأمثالها ، من الأمور الواضحة ، غير القابلة
 للمناقشة ، يتلقّاها الخلف عن السلف ، والجاهل عن العالم ، والعامّة عن
 الخاصّة ، وتعتبر جزءاً من معالم الدين .

الإتجاه العام للسفراء :

اضطلع السفراء الأربعة المنصوبون للسفارة من قبل الإمام عليه السلام بعدّة
 مهام ، منها :

(١) الغيبة للطوسي : ٢١٥ .

(٢) الغيبة للطوسي : ٢٢٧ .

(٣) الغيبة للطوسي : ٢٥٠ .

(٤) الغيبة للطوسي : ٢٥٥ .

١ - قيادة القواعد الشعبية الموالية للإمام عليه السلام من الناحية الفكرية والسلوكية ، طبقاً لأوامره عليه السلام ، وبعبارة أخرى : التوسط في قيادة المهدي عليه السلام للمجتمع وتطبيق تعاليمه فيه ، طبقاً للمصالح التي يراها ويتوخاها .

٢ - الإخلاص في السفارة عن المهدي عليه السلام ، وفي خدمة قواعدهم الشعبية المفتقرة إلى قيادتهم وسفارتهم كل الافتقار ، والتضحية في سبيل ذلك بالغالي والنقيس .

٣ - الكتمان والحذر من أن يكون عملهم ملفتاً للنظر ، والحرص على أن تكون حياتهم وتجاراتهم طبيعية جداً ، غير مثيرة لأيّ تساؤل أمام الدولة وعمالئها وقواعدها الشعبية .

٤ - التزامهم بالتقية مهما أوجههم الأمر إلى ذلك ، ويجعلونها طريقاً لتهدئة الخواطر عليهم ، وإبعاد النظر عنهم ، لكي تنفسح لهم فرصة أوسع ومجال أكبر للعمل ، ممّا إذا كانوا مراقبين ومطاردين بشكل مستمر .

ولابدّ أن يكون السفراء قد استقوا الخطوط العامّة لهذا الاتجاه من الإمام عليه السلام بحسب ما يرى من المصالح في ذلك الحين والظروف التي كانت تعيشها قواعده الشعبية تجاه الدولة والآخرين ، وكان كلّ سفير منهم يطبقه بمقدار ظروفه وشكل تطوّر الحوادث في زمنه ، وقد استطاع السفراء بمسلك التقية قيادة قواعدهم الشعبية وهدايتها والمحافظة عليها^(١) .

السفير الثاني محمد بن عثمان الخلّاني :

هو الشيخ أبو جعفر محمّد بن عثمان بن سعيد العمري الأسدي

(١) الغيبة الصغرى : ٣٦٧ - ٢٨٦ باختصار وتصرف .

المعروف بـ(الخلّاني) وهو السفير الثاني للإمام محمد المهدي بن الحسن العسكري الممنتظر (عج).

استلم السفارة بعد وفاة أبيه ، وتوفي سنة ٣٠٥ جمادى الاولى ، مدّة سفارته خمسة وأربعون عاماً ، ومرقده شاخص في بغداد بالرصافة ، بالشارع المؤدّي إلى باب الكوفة قديماً ، والآن يقع في «محلة الخلّاني» نسبة إليه وإلى مرقده الطاهر ، وهو أحد المراكز الشيعية في بغداد ، واليوم ظهر مرقده على شارع الجمهورية العام ، وله حرم مجلّل إلى جانب جامع عامر بالمصلّين ، أمامه صحن واسع ، وفيه مكتبة عامرة ذات كتب قيّمة ، تعرف بمكتبة الخلّاني تأسست سنة ١٣٦٤ هـ.

قال بعض فضلاء الكرخ والزوراء أنه لقّب بالخلّاني نسبة إلى بيعه الخلّ ، حيث كان يكتسب به تستراً بالكسب عن ضغط بعض المتعصّبين من أتباع السلطة الجائرة آنذاك ، كما كان والده عثمان بن سعيد يبيع السمن حتّى عرف بالسّمّان .

وقيل : إنّ لقبه هذا مشتق من حلمه وورعه وعقليّته الجبّارة ، ووداعته وصفائه ، وكان لا يحمل حقداً على أحد قطّ فهو خِلّ لكلّ إنسان ، وصاحب وصديق ، فاشتهر عند الناس بالخلّاني .

كان أبو جعفر محمّد بن عثمان من أصحاب الإمام الهادي والإمام العسكري ونائب الإمام الحجّة بن الحسن (عليه السلام) بعد أبيه ، وكانت التواقيع تخرج على يده إلى الشيعة الإمامية حدود خمسين سنة ، وقد أخبر الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) بذلك في حياته لمّا حضر عنده جمع من شيعته قائلاً : «اشهدوا عليّ أنّ عثمان بن سعيد العمري وكيلي ، وأنّ ابنه محمّداً وكيل ابني مهديكم» .

وكان أبو جعفر ثقة عدلاً أميناً بإجماع الشيعة الإمامية ، وعند بعض

المخالفين أيضاً، ونصّ على وثاقته وعدالته في حياة الإمام العسكري وبعد وفاته عليه السلام من قبل الإمام المهدي المنتظر عليه السلام، وقد وثّق في حياة والده عثمان وبعد وفاته أيضاً^(١).

وكانت قواعده الشعبية مجتمعة على عدالته وثقته وأمانته، لا يختلف في ذلك أثنان من الإمامية، وكيف لا وفي أبيه قال الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام لبعض أصحابه: «العقري وابنه ثقتان، فما أذيا فعنّي أذيا، وما قالاك فعنّي يقولان، فاسمع لهما وأطعهما، فإنّهما الثقتان المأمونان»^(٢).

وكلمات الإمام المهدي عليه السلام فيه متضافرة ومتواترة، فقد سمعناه يعزّيه بوفاء أبيه، ويثني عليه الثناء العطر، ويشجّعه وهو في أوّل أيام اضطراره بمهمته الكبرى، وقال في حقّه: لم يزل ثقتنا في حياة الأب (رضي الله عنه وأرضاه ونصّر وجهه) يجري عندنا مجراه ويسدّ مسدّه، وعن أمرنا يأمر الابن وبه يعمل^(٣)، وغير ذلك من عظيم الإجلال والإكبار^(٤). وكانت التوقعات تخرج على يده من الإمام المهدي عليه السلام في المهمّات طوال حياته، بالخطّ الذي كانت تخرج في حياة أبيه عثمان، ولا يعرف الشيعة في هذا الأمر غيره، ولا يرجعون إلى أحدٍ سواه، وقد نقلت عنه دلائل كثيرة، وأغلب معجزات الإمام ظهرت على يده، وأمور أخبرهم بها عنه زادتهم في هذا الأمر بصيرة^(٥).

وبقي مضطرباً بمسؤولية السفارة نحواً من خمسين سنة، حتّى لقي ربّه العظيم في جمادى الأولى سنة ٣٠٥ هـ، أو ٣٠٤ هـ^(٦)، ومعنى ذلك أنه

(١) مراقد المعارف، للشيخ محمد حزن ١: ٢٧٨، طبعة قم ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م.

(٢) غيبة الطوسي: ٢١٩.

(٣) غيبة الطوسي: ٢٢٠.

(٤) غيبة الطوسي: ٢٢٠.

(٥) غيبة الطوسي: ٢٢١.

(٦) غيبة الطوسي: ٢٢٣.

توفي بعد وفاة الإمام العسكري عليه السلام بخمس وأربعين سنة ، وحيث إنّ والده عليه السلام قد اضطلع بالسفارة عدّة أعوام فالأولى أن يقال : إنّ سفارته امتدّت حوالي الأربعين عاماً ، لا نحواً من الخمسين ، كما قال الشيخ في الغيبة .

وإذ يكون تاريخ وفاة أبيه مجهولاً ، يكون مبدأ تولّيه السفارة مجهولاً أيضاً ، غير أنّنا نعرف أنّه كان سفيراً قبل عام ٢٦٧ هـ ، لأنّ ابن هلال الكرخي طعن في سفارته ، وكان أحد المنحرفين عن خطّه ، وكانت وفاة ابن هلال عام ٢٦٧ هـ^(١) ، أي بعد وفاة الإمام العسكري عليه السلام بسبع سنين ، وبذلك يمكن القول على وجه التقريب : إنّ الشيخ عثمان بن سعيد تولّى السفارة خمس سنوات ، وتولّاها ابنه أربعين سنة .

وبهذا التحديد لمدة سفارته ، نستطيع أن نعرف أنّه عليه السلام أطول السفراء بقاءً في السفارة ، ومن ثمّ يكون أكثرهم توفيقاً في تلقّي التعاليم من الإمام المهدي عليه السلام ، وأوسعهم تأثيراً في الوسط الذي عاش فيه ، والذي كان مأموراً بقيادته وتدبير شؤونه .

وكان لأبي جعفر العمري ، كتب مصنّفة في الفقه ، ممّا سمعه من أبي محمّد الحسن العسكري عليه السلام ، ومن صاحب المهدي المنتظر عليه السلام ، ومن أبيه عثمان بن سعيد عن أبي محمّد العسكري وعن أبي الحسن علي بن محمّد الهادي عليه السلام ، فيها كتب ترجمتها : كتب الأثرية .

ذكرت الكبيرة أمّ كلثوم بنت أبي جعفر أنّها وصلت إلى أبي القاسم الحسين بن روح عليه السلام عند الوصيّة إليه ، وكانت في يده . قال أبو نصر : وأظنّها قالت : وصلت بعد ذلك إلى أبي الحسن السمرى عليه السلام^(٢) .

(١) غيبة الطوسي : ٢٤٥ .

(٢) غيبة الطوسي : ٢٢١ .

وكان محمد بن عثمان يعلم بزمان موته بإرشاد من الإمام المهدي عليه السلام، إذ حفر لنفسه قبراً وسوّاه بالساج . فسُئِلَ عن ذلك ، فقال : للناس أسباب ، وقد أمرت أن أجمع أمري ، فمات بعد ذلك بشهرين .

وكان قد أعدّ لنفسه ساجة نقش عليها آيات من القرآن الكريم وأسماء الأئمة عليهم السلام على حواشيها . ف قيل له : ماهذه الساجة ؟ فقال : هذه لقبري ، تكون فيه ، أوضع عليها ، أو قال : أسند عليها .

قال : وقد فرغت منه ، وأنا في كلّ يوم أنزل فيه ، فأقرأ جزءاً من القرآن ، فإذا كان يوم كذا وكذا من شهر كذا وكذا من سنة كذا وكذا ، صرت إلى الله عزّ وجلّ ، ودفنت فيه وهذه الساجة معي .

قال الراوي : فلمّا خرجت من عنده أثبت ما ذكره ، ولم أزل مترقباً به ذلك ، فما تأخّر الأمر ، حتّى اعتلّ أبو جعفر ، فمات في اليوم الذي ذكره من الشهر الذي قاله من السنة التي ذكرها^(١) .

وعندما توفي أبو جعفر العمري ؛ دفن عند والدته ، في شارع باب الكوفة في الموضع الذي كانت دوره ومنازله فيه ، قال الراوي : وهو الآن في وسط بغداد بالزوراء .

أقول : وقبره معروف في وقتنا الحاضر في وسط بغداد الرصافة وله مسجد كبير ومكتبة عظيمة معروف بـ (الخلائي) ويقصده الناس للتبرّك والزيارة .

هذا ملخّص من ترجمة النائب الثاني من بطون المصادر المعتمدة ، ولم أعثّر على تاريخ ولادته .

(١) الغيبة للطوسي : ٢٢٢ ، الغيبة الصغرى / محمد الصدر : ٤٠٢ ، المجالس السنّية ٥ : ٦٨٢ ، في رجا ب أئمة أهل البيت (ع) ١٧ : ٥ ، بحار الأنوار ٥١ : ٣٤٧ .

الشعائر الحسينية في بنغلاديش

✽ إعداد : علي اورسبي (بنغلاديش)

تُعتبر بنغلاديش ثاني أكبر دولة اسلامية من حيث عدد نفوس المسلمين فيها .



يعيش المسلمون بمختلف مذاهبهم في هذه البلاد متألفين ، ويولون الأهمية الفائقة لإقامة الشعائر الدينية والمذهبية ، ويُقدسونها تقديساً بالغاً وبالخصوص شعائر محرّم الحرام بمناسبة شهادة المولى أبي عبدالله الحسين عليه السلام .

وقد إعتاد عموم المسلمين هناك على إحياء هذا اليوم العظيم بإقامة الصلوات المستحبة وعقد المجالس التي تُلقى فيها محاضرات الوعظ والارشاد ، ويوزع خلالها الطعام على الفقراء ، وإقامة المسيرات الجماهيرية في الشوارع .

ويُحيي أتباع أهل البيت عليه السلام هذه الذكرى بإقامة مجالس الدعاء ومجالس قراءة المصائب والمراسيم وخروج المواكب والهيئات الحسينية بمسيرات تعزية جماهيرية في الشوارع .

ومن الملفت للنظر في إحياء هذه الشعائر المشاركة الفعّالة للشباب المسلم من أتباع المذاهب الإسلامية المختلفة وتعاونهم مع اخوانهم من أتباع أهل البيت عليه السلام في إقامة وإحياء هذه المراسيم من خلال المشاركات في المجالس والمسيرات .

وتكتب الصحف ووسائل الإعلام البنغلاديشية بشكل واسع عن هذه المراسيم والشعائر بالإضافة إلى كتابة الافتتاحيات والمقالات بهذه المناسبة العظيمة ، وتنقل وقائع المراسيم التي تُقيمها هذه الهيئات والمراكز واللجان والجمعيات في العاصمة دكا والمدن الأخرى كالتّي تقيمها حسينية (دالان دكا ومانيك كنبع) في العاصمة وكشور كنبع وسيلهت وفراش كنبع دكا .

ويُعتبر يوم العاشر من المحرم عطلة رسمية في بنغلاديش . وبهذه المناسبة يُصرّح رئيس الدولة ورئيس الوزراء وقادة الأحزاب السياسية بتصريحات وبيانات لأبناء الشعب تنقلها الصحافة ووسائل الإعلام في افتتاحياتها وتعليقاتها .

ففي عام ١٤١٦ هجري قمري أكد رئيس الجمهورية البنغلاديشية في تصريح له بالمناسبة قائلاً : «إنّ الايثار والتضحية التي قدّمها الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء من أجل إحياء الرسالة المحمدية وإقامة الحق والعدل يدعوننا إلى مقاومة الظلم والباطل» .

وصرّحت رئيسة الوزراء بالمناسبة قائلة : «إنّ اقامة مراسيم عاشوراء فرصة مناسبة لنا من أجل إحياء الثقافة الإسلامية في حياتنا» .

وصرّح قادة الأحزاب ومن جملتها حزب عوامي ليك وحزب الجماعة الإسلامية في هذه المناسبة ببيانات في الصحف دعوا فيها أبناء الشعب إلى أخذ الدروس والعبر من هذه المناسبة العظيمة ، وأقامت أكثر الأحزاب والمؤسسات الثقافية والمذهبية والمؤسسات التعليمية للمساجد والأماكن الخاصة بأصحاب الطريقة الصوفية برامج ونشاطات مختلفة بمناسبة هذه الذكرى ، وكتبت الصحف تقاريرها عن هذه البرامج والنشاطات وفيما يلي نموذج عن البرامج والنشاطات خلال ذكرى عاشوراء لعام ١٤١٦ هـ في مناطق مختلفة من بنغلاديش وكذلك عما كتبت الصحف ووسائل الاعلام من افتتاحيات ومقالات .

فعلى صعيد الشعائر والمراسم الحسينية اقيمت البرامج في كل من :

١ - حسينية (دالان داکا) - وهي الحسينية المركزية في داکا - مجلساً لقراءة المراثي والمصائب لمدة عشرة أيام .

٢ - حسينية إمام باره ميرپور حيث اقيم مجلس لقراءة المراثي والمصائب لمدة عشرة أيام .

٣ - حسينية موک بازار داکا اقيم مجلس لقراءة المراثي والمصائب من اليوم الأول حتى اليوم الثامن من المحرم وفي اليوم التاسع والعاشر خرجوا موکب تعزية في الشوارع .

٤ - حسينية إمام باره ومؤسسة حسيني باراکاترا داکا اقيمت مراسيم بهذه المناسبة .

٥ - وأقامت جماعة الخواجه الإثنى عشرية مجلساً لقراءة المراثي والمصائب من اليوم الأول من محرم الحرام حتى اليوم التاسع وخرجت بموکب تعزية في الشوارع في اليوم العاشر .

٦ - وأقامت مؤسسة أهل السنة في بارکاه وبي بي روضة مجلساً

لقراءة المراثي والتعازي وخرجوا بموكب تعزية في الشوارع في اليوم التاسع والعاشر .

٧ - وشرح شيخ الطريقة الصوفية في ديوان باغ قرب داكا في محاضرة وسط الآلاف من أتباعه ومريديه أهمية واقعة كربلاء .

٨ - وعقدت جمعية خادم الإسلام ومجلة الفلاح الشهرية بشكل مشترك ندوة تحت عنوان «الأمة الإسلامية وشهداء كربلاء» .

٩ - وعقدت جمعية القرآن الكريم في صالة المؤسسة الإسلامية في داكا ندوة حول ثورة الإمام الحسين عليه السلام .

١٠ - وأقامت المؤسسة الإسلامية البنغلاديشية (وهي مؤسسة حكومية) مجلساً للوعظ والارشاد تحت عنوان «أهمية عاشوراء» .

١١ - وعقدت حركة الوحدة الإسلامية ندوة في اليوم العاشر من المحرم أقيمت فيها محاضرة عنوانها «دروس الشهادة من كربلاء» .

١٢ - وعقدت منظمة سيرت ميشن الثقافية البنغلاديشية ندوة في صالة المؤسسة الإسلامية أقيمت فيها محاضرة بمناسبة عاشوراء .

١٣ - وأقامت جمعية ذكرى نذر نيز مجلساً أقيمت فيه محاضرة بمناسبة عاشوراء .

١٤ - وأقامت منظمة الثقافة المذهبية «مارهل داكا» مسيرة جماهيرية في الشوارع باسم مسيرة شهر محرم .

١٥ - وأقامت حركة أهل السنة الشعبية في منطقة الباب الجنوبي لمسجد بيت المكرم مسيرة جماهيرية في الشوارع بهذه المناسبة .

١٦ - وعقد الجناح الإسلامي للطلاب الجامعيين (جাত্রا شيبير) لحزب الجماعة الإسلامية مجلساً أقيمت فيه محاضرة بمناسبة ذكرى عاشوراء .

١٧ - وعقد حزب الجماعة الإسلامية في مكتبه المركزي مجلساً أُلقيت فيه محاضرة بمناسبة ذكرى عاشوراء .

١٨ - وعقدت حركة الخلافة البنغلاديشية في مكتبها المركزي اجتماعاً بمناسبة حلول العام الهجري الجديد ١٤١٦ وشهر محرم .

هذا ما نقلته الصحف ووسائل الاعلام ، وهناك مراسيم وإحياء لهذه الذكرى في مساجد وحسينيات منتشرة في أرجاء البلاد في المدن البعيدة والقرى والأرياف وأماكن نائية فيها :

١ - مانيك كنيك :

فقد اقيمت هناك مجالس الفاتحة وقراءة المراثي والمصائب والتعزية والمحاضرات من اليوم الأول حتى اليوم التاسع من المحرم وفي اليوم العاشر خرجوا بمسيرة تعزية في شوارع المدينة .

٢ - ميمن سينك :

عقدت منظمة التصوف المجددية في باركا لال كوتي شونوبوكنج مجلساً في اليوم التاسع والعاشر أُلقيت فيه محاضرات بمناسبة عاشوراء وكان لها انعكاس واسع في الصحف المحلية .

٣ - جيتا كنك :

فقد أُلقيت مئات المحاضرات في المسجد المركزي لجمعية الفلاح بمناسبة عاشوراء من قبل تجمع المتصوفة (القادرية الطيبية سيه) من اليوم الأول حتى اليوم العاشر بالإضافة إلى موكب التعزية والمسيرات في شوارع المدينة .

٤ - نارايكنك :

وهي إحدى المدن بقرب العاصمة داکا فقد أقيمت فيها مجالس العزاء وقراءة المراثي والمصائب ، وأُلقيت المحاضرات وخرجت المواكب

والهيئات بمسيرات تعزية في شوارع المدينة وأقيم أيضاً مراسيم ليلة الوداع .

وأما على صعيد ما كتبه الصحف من افتتاحيات ومقالات بهذه المناسبة فقد كتبت الصحف في افتتاحياتها المقالات الكثيرة في جوانب متعددة من واقعة عاشوراء وشهادة الحسين عليه السلام في كربلاء كان طابعها اظهار الحب والولاء للإمام الحسين عليه السلام وتأيد ثورته والتعاطف معها والبراءة من يزيد وأتباعه منها :

١ - صحيفة اتفاق : فقد كتبت هذه الصحيفة في افتتاحيتها حول الوقائع التاريخية لحادثة كربلاء وجلّت فيه دور الشهداء وأنحت باللائمة على يزيد ، وحملت المسؤولية في كل ما جرى ، وكتبت : أن القائد الديني لا يمكن أن ينحني أمام القائد الدنيوي .

٢ - صحيفة الثورة : وهي من أكبر الصحف انتشاراً في بنغلاديش كتبت مقالات يومية خلال العشرة الاولى من شهر محرم تحت عنوان «نريد الايثار لا المراثي» جلّت في مقالاتها دور الإمام الحسين في واقعة كربلاء ، وبيّنت فضائل شهر محرم وأيام عاشوراء والوقائع التاريخية المهمة ليوم عاشوراء . وفي افتتاحية اليوم العاشر من المحرم كتبت بعد تعظيمها لدور الإمام الحسين عليه السلام وانتقادها الشديد ليزيد بن معاوية بأن يوم عاشوراء ليس يوم مصيبة وعزاء ، بل هو يوم نستلهم منه معالم الثورة ومبادئها في طريق الجهاد والنضال ، كما أعطت لشهادة الحسين عليه السلام الحيوية والحركة للإسلام ونحن أيضاً نعمل من أجل نصرته الإسلام ، وفي الحقيقة انتصر الإسلام بشهادة الحسين عليه السلام .

ونقلت مقطعاً لأحد الشخصيات الإسلامية المناضلة في شبه القارة الهندية في أوائل القرن العشرين مضمونها : «قتل الحسين عليه السلام في الواقع

موت يزيد ، ويحيا الإسلام بعد كل عاشوراء وكربلاء» . وقد كتبت مقالاً آخر بعنوان «مكانة محرم وعاشوراء في الثقافة البنغلاديشية» .

٣ - صحيفة جانا كانتا : وهي ثالث أكبر صحيفة في بنغلاديش انتشاراً ، فقد كتبت سلسلة افتتاحيات يومية خلال العشرة الأولى من شهر محرم تحت عنوان : «نريد الايثار لا المراثي» . فقد كتبت بشكل ملخص عن الوقائع التاريخية منذ ولادة الإمام الحسين عليه السلام حتى شهادته ، وأشارت إلى دور الإمام عليه السلام العظيم ووصفته بالمجاهد الذي لا يساوم ولا يرضخ في صراع الحق مع الباطل وأدانت يزيد بن معاوية بشدة .

٤ - صحيفة داينيك بنغلا الحكومية : كتبت مقالاً يوم عاشوراء تحت عنوان : «المفهوم التاريخي للعاشر من محرم» ، ونشرت سلسلة مقالات يومية عظمت فيها دور الإمام الحسين عليه السلام ووصفته بالمجاهد الذي يحمل راية الحق ، واعتبرت جهاده بأنه من أجل الإسلام وضد النظام السلطوي ، يستلهم منه أصحاب الحق في جهادهم ضد أهل الباطل الدروس والعبر . ونشرت مقالاً لأحد المتصوفة يذكر فيه بأن مجالس العزاء والمسيرات إنما هي من أجل إظهار المواساة لشهداء كربلاء ، وهذا العمل غير مختص بأتباع أهل البيت عليه السلام ، فالمسلمون في جميع أنحاء العالم يحيون هذه المناسبة العظيمة بمجالس التعزية والرتاء . وأشارت بشكل ملخص إلى الوقائع التاريخية الأخرى في يوم عاشوراء وحلّت أسباب ثورة الإمام الحسين عليه السلام وكتبت في مقال اليوم العاشر من محرم عن تاريخ حسينية «حُسني دالان» وهي الحسينية المركزية في دكا .

٥ - صحيفة سنكرام : وهي الصحيفة الموالية لحزب الجماعة الإسلامية ، كتبت سلسلة مقالات قصيرة خلال العشرة الأولى من محرم تحت عنوان : «نريد الايثار لا المراثي» ذكرت فيها الأسباب التاريخية

لشهادة الإمام الحسين عليه السلام ، وأشارت إلى الوقائع التاريخية لهذا اليوم ، ودعت المسلمين إلى الاستلهم من بطولة الإمام الحسين عليه السلام أسلوب الدفاع عن الحق ضد الباطل . وذكرت بشكل صريح بأن الحسين عليه السلام كان أولى بالخلافة وأحق بها من يزيد بن معاوية ، فيزيد كان غاصباً للخلافة وكتبت في اليوم العاشر من المحرم واليوم الثاني عشر منه مقالاً مطولاً لمؤسس الجماعة الإسلامية تحت عنوان «شهادة الإمام الحسين عليه السلام» فقد ذكر هذا المقال : أنَّ أسباب شهادة الإمام الحسين عليه السلام كانت نتيجة لتغير شكل السلطة من الخلافة إلى نظام سلطوي وراثي ، واتهمت فيه معاوية واستنتجت في نهاية المقال أن الإمام الحسين عليه السلام جاهد وثار واستشهد من أجل إعادة أصول الحكومة الإسلامية .

٦- صحيفة الشعب : كتبت سلسلة مقالات قصيرة تحت عنوان : «نريد الايثار لا المراثي» ، ذكرت تاريخ عاشوراء وأسباب ثورة الإمام الحسين عليه السلام . وفي مقال اليوم الثامن من محرم كتبت مقالاً تحت عنوان : «شهر محرم رمز التضحية» ذكرت فيه تاريخ واقعة كربلاء وأشارت إلى الوقائع التاريخية المهمة الأخرى لهذا اليوم . وفي يوم عاشوراء كتبت افتتاحية وثلاث مقالات فقد ذكرت بشكل مسهب في إحدى هذه المقالات الوقائع التاريخية من حياة الأنبياء السابقين قبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم . وملخصاً عن تاريخ شهادة الإمام الحسين عليه السلام وأسباب ذلك وثمّنت دور الإمام في الثورة . وذكرت يزيد بن معاوية ووصفته بأنه ظالم وزاني ، ودعت المسلمين في العالم إلى أن يستلهموا من ثورة الحسين عليه السلام منهج الصراع مع الظلم والظالمين ، وتطرقت في واحد من هذه المقالات إلى شهادة الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء . وفي مقال آخر كتبت تحت عنوان : «روح عاشوراء» : تُظهر فيه الحب والولاء والتعاطف مع الإمام

الحسين عليه السلام وأئمة أهل البيت عليهم السلام . وذكرت بشكل واضح : بأن معاوية هو الذي قتل الإمام الحسن بالسم ، ونقض العهد مع الإمام الحسين عليه السلام ونصب ابنه يزيداً الفاسق الخمار والياً للعهد .

٧ - صحيفة دينكال الناطقة باسم الحزب القومي الحاكم : كتبت سلسلة مقالات خلال العشرة الأولى من أيام محرم تحت عنوان : «نريد الايثار لا المراثي» ، وفي مقال اليوم السادس منه كتبت تحت عنوان : «شهادة الإمام الحسين عليه السلام والتعزية» . ذكرت فيه ملخصاً عن الأسباب التاريخية ليوم عاشوراء ووقائع كربلاء وأثنت على دور الإمام الحسين عليه السلام وأنصاره ، وانتقدت يزيداً والنظام السلطوي الحاكم بشدة . وفي يوم عاشوراء كتبت مقالاً تحت عنوان «المفهوم المقدس لعاشوراء» ، انتقدت فيه بشدة معاوية واعتبرته مثيراً للفتن والاضطرابات في زمن الإمام علي عليه السلام . وقد عيّن ابنه يزيداً الفاسق الزاني الخمار ولياً للعهد ، ليتولى الخلافة بعده على المسلمين . وذكر بأن آل أمية كانوا ومنذ السابق أعداء للإسلام ، ودعت المسلمين أن يعملوا من أجل النجاة من أتباع يزيد في هذا العصر ، للمحافظة على الإسلام ، وأن يستلهموا سلوك الطريق من شهادة الإمام الحسين عليه السلام .

٨ - صحيفة المجدد : كتبت يوم عاشوراء افتتاحية ومقالاً تحت عنوان : «انعكاسات حوادث كربلاء المحزنة» ذكرت فيه عواقب قتلة الحسين عليه السلام والمصائب التي جرت عليهم وتورة المختار وقتل ٢٤٨ نفرًا من المجرمين على يد المختار ، ثم نقلت آية من القرآن الكريم تشير إلى عواقب الظالمين .

٩ - صحيفة بنغلارباني : نشرت في اليوم التاسع مقالاً لأحد الشخصيات العلمائية البارزة في هذه المناسبة وفي يوم عاشوراء :

كتبت افتتاحية مختصرة ذكرت فيه أنّ عاشوراء هو يوم الجهاد والتضحية والايثار ويوم صراع الحق مع الباطل ودعت إلى استلهاهم معطيات الثورة من هذا اليوم العظيم .

١٠ - صحيفة الخبر : كتبت في يوم عاشوراء افتتاحية ومقالاً ذكرت في الافتتاحية : بأن الإمام الحسين عليه السلام المجاهد الذي لا يُساوم في صراع الحق مع الباطل . ثم أشارت في مقالها إلى أسباب نهضة الإمام الحسين عليه السلام مستفيدة من تحليلات المؤرخين المستشرقين في هذا الجانب ، وانتقدت معاوية لنقضه عهده مع الإمام الحسن عليه السلام ، وأدانت يزيداً واعتبرته فاسقاً ظالماً عابداً لهوا قاسي القلب خمار . وأيدت ثورة الإمام الحسين عليه السلام وجهاده وأكبرت عدالة وشجاعة وإخلاص وتقوى الإمام علي عليه السلام وأن الحسين عليه السلام يحمل صفات أبيه وهو المثل الأعلى والدائم للايثار والتضحية واعتبرت معاوية متآمراً وأنه وابنه يزيداً استهدفا تدمير الإسلام .

وفي مقال آخر تحت عنوان «معركة كربلاء» شرحت فيه حوادث كربلاء وأظهرت الولاء للإمام علي والحسن والحسين عليه السلام .

١١ - صحيفة سانگباد : كتبت يوم عاشوراء افتتاحية ومقالاً أكدت فيه ضرورة تأسيس الحكومة الإسلامية وفق المباني التي أسس الرسول صلى الله عليه وآله فيها دولته ، وانتقدت بشدة تأسيس النظام الأموي لدولته السلطوية ، واعتبرته منحرفاً عن خط النبي صلى الله عليه وآله وقد امتد هذا الانحراف واستمر إلى يومنا هذا وحيث صمود ومقاومة الإمام الحسين عليه السلام الصلبة في مواجهته لهذا الانحراف .

١٢ - صحيفة بنغلا بازار باتريكا : كتبت يوم عاشوراء مقالاً وافتتاحية ، ذكرت في هذه الافتتاحية بأن سبب شهادة الإمام

الحسين عليه السلام كان سياسياً مذهبياً . وقد نهض نتيجة لإبعاد الإمام علي عليه السلام عن الخلافة بعد الرسول ، وعدم العمل بقول الرسول . ولمحت إلى الاغتيالات السياسية ، وأنها مازالت مستمرة ، في حين أن محور تعاليم الأديان ترسيخ العدل والأمن ، وواقعة كربلاء درس للمسلمين في طريق العدل والعدالة . وفي المقال ذكرت تحت عنوان : «محرم وكربلاء» الوقائع التاريخية ليوم عاشوراء ، وأعلنت بشكل صريح بأن يزيداً طاغية مستبد خمار فاسق .

١٣ - صحيفة مورنينك سان الناطقة باللغة الانجليزية : كتبت افتتاحية ومقالاً تحت عنوان : «أهمية عاشوراء» أشارت فيه الى كل الوقائع التاريخية لهذا اليوم وشرحت بشكل مختصر واقعة كربلاء ودعت المسلمين إلى أخذ الدروس والعبر من شهادة الإمام الحسين عليه السلام . وفي اليوم التاسع منه كتبت مقالاً تحت عنوان : «مآثم الإمام الحسين من وجهة نظر الدين» ذكرت في بداية المقال رواية عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام ، يذكر فيها بأن القرآن أشار إلى شهادة الإمام الحسين عليه السلام وذلك عندما أراد ابراهيم عليه السلام أن يذبح ابنه اسماعيل وفداه الله تعالى بذبح عظيم فكان المقصود من الذبح العظيم هو الإمام الحسين عليه السلام .

وأن الروايات المنقولة عن طريق أهل السنة عن النبي صلى الله عليه وآله : قد ذكرت ذلك .

وأيدت في النهاية اقامة مجالس العزاء . وأوردت دليلاً من أهل السنة عن جواز اقامة مراسيم العزاء ، واتهمت الذين يقولون : بأن اقامة مراسيم العزاء غير جائزة وبدعة بأنهم قليلوا الاطلاع والعلم .

١٤ - صحيفة يتونيشن الصادرة باللغة الانجليزية : نشرت في يوم عاشوراء افتتاحية ومقالين ذكرت في الافتتاحية بأن شهادة الإمام

الحسين عليه السلام كانت من أجل العدالة الإسلامية ، وقد علم عليه السلام الإنسانية الشهادة في سبيل احقاق الحق والعدالة إذا اقتضت الضرورة .

والمقال الأول كان تحت عنوان : «شهادة الإمام الحسين عليه السلام والقضاء الالهي» والمقال الثاني تحت عنوان : «العشرة الأولى من المحرم» تعرضت فيه لوقائع نهضة الإمام الحسين عليه السلام حتى شهادته ، وختمت المقال قائلة : انتصر الدم على السيف في كربلاء وانتصر الحسين عليه السلام وانتصر الحق والمبادئ والأخلاق .

١٥ - صحيفة بنغلاديش تايمز : وهي صحيفة شبه رسمية ناطقة باللغة الانجليزية كتبت يوم عاشوراء افتتاحية وأشادت فيها بدور الإمام الحسين عليه السلام وشجاعته في طريق اقامة الحق والعدل . وفي مقال تحت عنوان : «معركة كربلاء» شرحت فيه وقائع معركة كربلاء . وذكرت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مضمونها : «بأن الدموع السائلة على الحسين تدخل الجنة» .

١٦ - صحيفة بنغلاديش أبزور الناطقة باللغة الانجليزية : كتبت يوم عاشوراء افتتاحية ومقالاً ذكرت فيهما : بأن من الضروري أن يستفيد المسلمون من ثورة الإمام الحسين عليه السلام . وفي الافتتاحية أشارت إلى الاختلافات الموجودة بين المسلمين وتأثير ذلك على وحدتهم وأبدت أسفها لذلك .

١٧ - صحيفة ديلي استر الناطقة باللغة الانجليزية كتبت يوم عاشوراء افتتاحية قصيرة وصفت فيها شهادة الإمام الحسين عليه السلام بأنها كانت رمزاً للآثار والتضحية .

١٨ - صحيفة اذكر كاغذ الناطقة باللغة البنغلاديشية : كتبت يوم عاشوراء افتتاحية ومقالاً ذكرت في الافتتاحية بياناً بأن الإمام الحسن عليه السلام قُتل على يد معاوية ، وانحرفت الحكومة الإسلامية عن

اصولها بتعيين معاوية لابنه يزيد خليفة من بعده ، وقد ازداد في زماننا هذا الظلم والجور على المستضعفين . فلا بد في صراع الحق ضد الباطل أن نستلهم من شهادة الإمام الحسين عليه السلام هذا النهج في طريقة الصراع .

١٩ - صحيفة بور كاغذ : كتبت افتتاحية في يوم عاشوراء كرّمت فيها دور الإمام الحسين عليه السلام ونهضته ووصفته بالمجاهد الواقعي التقوي .

٢٠ - صحيفة الأمين : كتبت يوم عاشوراء افتتاحية ومقالين دعت في الافتتاحية إلى الاستلham من شهادة الإمام الحسين عليه السلام تعلم الصبر من صراع الحق ضد الباطل ومحاربة الظلم والفساد ، وأن ندعم العدل .

وفي إحدى المقالتين كتبت تحت عنوان : «المفهوم المقدس لكربلاء» أعدته دائرة العلاقات العامة لوزارة الاعلام - من شجاعة الإمام الحسين عليه السلام في صراع الحق ضد الباطل وايتارده وتضحيته .

وفي المقال الآخر كتبت تحت عنوان : «تاريخ التضحية في كربلاء» ذكرت فيه بأن نبي الإسلام ﷺ أسس حكومة على أسس عدالة الإسلام ، وآل أمية كانت لهم طموحات غير مشروعة في ذلك الوقت وعندما دخلوا الإسلام لم يتركوا أطماعهم التوسعية وطموحاتهم غير المشروعة فقاتل الحسين عليه السلام على أساسها هؤلاء .

٢١ - صحيفة رويالي : كتبت مقالاً تحت عنوان : «شهر محرم وحوادث كربلاء» ذكرت فيه وقائع يوم عاشوراء وفضائل أهل البيت عليه السلام ودعت في ختام المقال الجميع إلى اتباع مذهب أهل البيت عليه السلام .

لقد كان هذا عن محرم وعاشوراء في الصحف المهمة المنتشرة في العاصمة دكا ، وهناك صحف أخرى ونشرات اسبوعية ومجلات شهرية كان لها مقالات بهذه المناسبة البعض منها كان ذات مضامين ودلالات عالية وغنية عن هذه الصحف المحلية :

١ - صحيفة واينيك بارتا الصادرة في راجشا فقد كتبت افتتاحية ومقالاً في يوم عاشوراء تحت عنوان : «دروس عاشورائية» كتبت عن دور الإمام الحسين عليه السلام بعد أن بيّنت واقعة كربلاء وأسبابها وجللت ذلك الدور العظيم . ونقلت أشعاراً بالمناسبة من الشعر البنغلاديشي .

وفي مقال تحت عنوان «مفهوم عاشوراء وتأثيراته على الأدب» ذكرت فيه أسباباً ثلاثة لنهضة الإمام الحسين عليه السلام وهي : وصول يزيد للحكم بطريقة غير مشروعة ومخالفته قوانين الإسلام ونقض معاوية لعهدده مع الإمام الحسن عليه السلام . وعدم وجود الخصوصيات لدى يزيد والتي عيّنها الإسلام في القائد للحكم وأن الثورة كانت أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر .

٢ - صحيفة پوربانجال الصادرة في كلنا : كتبت يوم عاشوراء افتتاحية أشارت فيها إلى جميع الوقائع التاريخية لهذا اليوم ودعت إلى اتباع نهج الحق والتضحية .

وفي المقال تحت عنوان : «أسباب عاشوراء المذهبية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية» انتقدت فيه معاوية بشدة وجلّلت دور الإمام الحسين عليه السلام وذكرت بأن انتصار المسلمين الإيرانيين بقيادة الإمام الخميني كان نتيجة لاتباع نهج الإمام الحسين عليه السلام .

٣ - صحيفة أكبر بان الصادرة في كلنا : كتبت مقالين في يوم عاشوراء ، ففي أحدهما كتبت تحت عنوان : «مفهوم محرم» أشارت فيه إلى الوقائع التاريخية لهذا اليوم . وفي المقال الآخر تحت عنوان «عاشوراء اليوم المقدس والتاريخي» أشارت فيه إلى واقعة يوم عاشوراء وأن طوفان نوح كان في نفس اليوم هذا ودعت إلى الاستلهام من عاشوراء في مواجهة الظلم والفساد .

٤ - صحيفة تاتيا الصادرة في كلنا : نشرت هذه الصحيفة مقالين في

يوم عاشوراء أحد هذين المقالين كان لوزارة الاعلام والآخـر شرحت فيه واقعة عاشوراء وانتقدت معاوية فيه بشدة .

٥ - صحيفة ساديا خبر الصادرة في كلنا : كتبت افتتاحية ومقالين في عددها الصادر يوم عاشوراء جلّلت في الافتتاحية دور الإمام الحسين (عليه السلام) .

٦ - صحيفة جانا بارتا الصادرة في كلنا : كتبت مقالاً بينت فيه دور الإمام الحسين (عليه السلام) ودعت مسلمي العالم إلى الاستلـهام من هذه الثورة في حل مشاكلهم ، وفي مقال آخر تحت عنوان : «الدروس والعبر للأمة الإسلامية في كربلاء» ذكرت فيه الأمور التالية : اختبار الايمان ، ومعرفة أعداء الإسلام ، والمقاومة والتضحية ، والقيادة النموذجية ، وأشارت إلى واقع العالم الاسلامي الحالي ، وانتقدت الاختلافات بين المسلمين ، والابتعاد عن الإسلام .

٧ - صحيفة باتاكار كاغذ الصادرة في كلنا : كتبت افتتاحية صغيرة ومقالين دعت فيها إلى أخذ الدروس والعبر والاستلـهام من ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) وصراع الحق ضد الباطل .
وفي مقال آخر تحت عنوان : «مفهوم عاشوراء المقدسة» أشارت فيه إلى الوقائع التاريخية ليوم عاشوراء .

٨ - وفي جيتاكنك : كتبت صحيفة آزادي مقالاً في يوم عاشوراء وكتبت صحيفة بورباكون مقالاً وافتتاحية وكتبت صحيفة كارنافول افتتاحية وثلاث مقالات بالمناسبة جلّلت فيها دور الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء . وكتبت صحيفة نياينگلا مقالاً قصيراً وآخر مطولاً عن مسلم بن عقيل في يوم عاشوراء .

٩ - صحيفة سونالي سانگيا الصادرة في راجشاهي : كتبت مقالاً تحت عنوان الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء ذكرت في هذا المقال وقائع

كربلاء والعاقبة السيئة لقتلة الإمام الحسين عليه السلام .

وكتبت صحف يومية واسبوعية ومجلات صادرة في هذه المناسبات افتتاحيات ومقالات ونشرت أشعاراً بمناسبة ذكرى شهادة المولى أبي عبد الله الحسين عليه السلام وشهداء كربلاء . ونشرت بعض الصحف في الصفحات الخاصة بالأطفال والشباب والنساء والأدبيات مقالات وأشعاراً بهذه المناسبة .

وكتبت بعض النشريات الاسبوعية والشهرية موضوعات ذات أهمية بالغة في هذه المناسبة منها : مجلة أكرباتيك وكبارياته والفرقان واسبوعية بيكرام وديوان باغ والمدينة وغيرها قالت فيها : بأن يوم عاشوراء في بنغلاديش لا يقل أهمية عن يوم الاستقلال والعيد الوطني وعيد الفطر والأضحى ، ومن هذه الصحف :

١ - صحيفة وفسيح وهي اسبوعية تصدر باللغة الانجليزية في داكا : كتبت في عددها الخامس والعشرين حول ندوة عاشوراء الإمام الحسين عليه السلام فقد ذكرت النقاط المهمة للندوة التي أقامها أتباع الطريقة الصوفية في ديوان باغ . وهي : أن النبي ﷺ وأهل بيته عليه السلام قد ضحوا بحياتهم في سبيل الإسلام . وأن الحسين عليه السلام هو شعلة مشرقة في سماء الإسلام يتمتع بمحبوبة عالية وقدسية وشرف خاص . وهو آخر ملجأ للإسلام ، ضحى بنفسه من أجل الإسلام والحق والعدل وعلى الخط المحمدي الأصيل .

٢ - مجلة الدين - الدنيا البنغلاديشية الصادرة في جيتاكنگ وهي ناطقة باسم شيخ الطريقة الصوفية في منطقة جيتاكنگ : كتبت في عدد شهر محرم ثلاث مقالات بهذه المناسبة ففي المقالة الأولى وتحت عنوان : «الدروس السامية لشهادة كربلاء» جللت فيها دور الإمام الحسين واعتبرته مركز الهام واشعاع في طريق الحق ضد الباطل

وانتقدت يزيداً بشدة واعتبرته كافراً يتقمص الإسلام ، ونقلت أبيات شعرية لأحد الشعراء المتصوفة مضمونها «بأن بعد كل عاشوراء وكربلاء يحيا الإسلام ، لأنه في الحقيقة قتل الحسين هو موت يزيد» .

وأدت شهادة الإمام الحسين عليه السلام إلى محو سلطان بني أمية وأشارت في المقالة إلى ثورة المختار وذكرت بأن المسلمين يذكرون الحسن والحسين عليهما السلام بشكل دائم ، وهو يدل على حب الأمة لهم . ولا تجد ليزيد ابن معاوية ذكراً في العالم . وهذا يدل على موته .

٣ - وفي المقالة الثانية تحت عنوان : «خطاب الإمام الحسين» ذكرت فيها خطب الحسين وزهير والحر الرياحي أمام جيش عبيد الله بن زياد . وفي المقالة الثالثة وتحت عنوان : «الإمام الحسين» ذكرت فيه ولادة الإمام الحسين عليه السلام وشهامته . وفي ختام مقالتها ذكرت ستة أحاديث عن النبي في فضل الإمام الحسين عليه السلام .

٤ - مجلة كاكباراته (في طريق الكعبة) الصادرة في داكا : كتبت هذه المجلة في عددها في شهر ژوئيه مقالة تحت عنوان : «لماذا استشهد الإمام الحسين عليه السلام ؟ تعرضت فيه إلى جهاد الإمام الحسين عليه السلام وشهادته واصفة إياه بأنه الإمام المعصوم عن الخطأ من وجهة نظر مذهب أهل البيت عليهم السلام وأن الحسين هو المصداق الحقيقي للحديث المروي عن النبي صلى الله عليه وآله : «العلماء ورثة الأنبياء» من وجهة نظر أهل السنة وهو القائد الإسلامي الحقيقي ، له حق الخلافة والقيادة ، وحكومة يزيد لم تكن وارثة للنبي صلى الله عليه وآله وهي باطلة وضد الإسلام .

ومثلما لا يبايع النبي صلى الله عليه وآله غير النبي كذلك وارث النبي لا يبايع غير وارث النبي وعندما أراد يزيد اجبار الإمام الحسين عليه السلام على بيعته ؛ حدثت واقعة كربلاء . وختمت مقالتها قائلة بأن هذه المسألة ترتبط بالعقائد وليس بالفروع .

في الهلال

✽ الشيخ محمد صادق الإبراهيمي (كدا)

أحكام الهلال ودور المحاسبات الفلكية في توحيد المناسبات الإسلامية :

عن الإمام الرضا (عليه السلام) «إنما جعل يوم الفطر العيد ليكون للمسلمين مجتمعاً يجتمعون فيه»^(١).



أولاً: التمهيد

١- يحتدم النقاش حول ثبوت الهلال وتحديد بدايات الشهور القمرية بين المسلمين في مناطق عديدة من العالم مع بداية كل من شهر رمضان، ذي الحجة ومحرم لما فيها من مناسبات مهمة، وتتباين الآراء في تحديد تلك الأيام، ويعاني أتباع أهل البيت (عليهم السلام) من الحرج الشديد في تعيين يوم عيد الفطر بالدرجة الأولى؛ لأن هذه المناسبة تجعل المسألة مرددة بين وجوب صوم رمضان إن لم يثبت الهلال وحرمة صوم العيد إن ثبت.

(١) بحار الأنوار ٦: ٧٩ ومن لا يحضره الفقيه ١: ٥٢٢.

تأتي أهمية الموضوع بالدرجة الثانية في عيد الأضحى وأعمال الحج التي ينبغي أن يؤديها الحجاج في أيامها المعينة والتي لا يجوز التقديم ولا التأخير فيها ، فعندما يأتي الحاج من مناطق بعيدة ويصرف أموالاً كثيرة ووقتاً طويلاً ويتحمل عناء السفر ومشقة أداء الأعمال ؛ ينبغي له أن يتأكد من أن أعماله تقع طبق الأصول الشرعية ، وأن الجدول الزمني للحج كان حقيقة تبعاً للأحكام الشرعية الخاصة بالهلال . هذا بالنسبة للحجاج وأما المسلمون خارج مكة المكرمة فأمرهم أهون بالنسبة لصلاة العيد المندوبة في زمن الغيبة .

وتأتي أهمية هذا الموضوع بالدرجة الثالثة في بداية شهر رمضان من أجل تحديد الليالي التي يحتمل أن تكون فيها ليلة القدر وكذا سائر المناسبات الإسلامية في هذا الشهر الكريم .

ويشعر أتباع أهل البيت عليهم السلام بشكل خاص بأهمية الموضوع في تحديد بداية شهر محرم الحرام ويوم عاشوراء بالذات ، وهاتان المناسبتان وإن لم يكن فيهما إلزام شرعي إلا أن المراكز الإسلامية والناس عموماً لا تشعر بالحالة الروحية والتفاعل مع الواقعة إذا كانت المراسم في يوم آخر غير اليوم العاشر من المحرم .

وفي كل مناسبة من المناسبات المذكورة يشعر المسلمون بألم تشتت الآراء وضياع مواعيد الشعائر الإسلامية .

وقد يلتمس البعض الأعذار لتبرير ظاهرة عدم الإلتزام بالأحكام الشرعية للهلال والتي هي سبب الاختلاف في تحديد بدايات الشهور القمرية بشكل عام ومواعيد الحج بشكل خاص متذرعاً بضرورة التنظيم المسبق لشؤون الحج في مكة والمدينة ، فالمشرفون على تنظيم مناسك الحج لأكثر من ميلوني حاج لا يمكنهم تنسيق ذلك قبل عشرة

أيام فقط معتمدين على رؤية الهلال لأن رحلات الطائرات والقوافل ينبغي أن تحدد قبل فترة معتنى بها مما يضطرها بأن لا تلتزم بالملك الشرعي وهو الرؤية ، وتعتمد حسابات علمية معينة سنأتي إلى شرحها إن شاء الله .

٢ - التقويم القمري الذي تقوم على أساسه المناسبات الإسلامية من البحوث التي لها تاريخ طويل وممتد في الأوساط العلمية ، وتقدم علماء كثر ببحوث في هذا الصدد ، وانعقدت مؤتمرات دولية قديماً وحديثاً أخص منها بالذكر مؤتمر مجمع الفقه الإسلامي بجدة ، تناول البحث في مؤتمرات عديدة لكنه لم يتوصل إلى نتائج يجمع عليها العالم الإسلامي . يتناول هذا البحث ملاحظات مهمة ونافعة يقدمها للباحثين عسى أن تنفعهم في البحث ولأئمة المساجد ورؤساء المراكز وسائر المهتمين عسى أن يساهم ذلك في تطبيق أفضل لأحكام الله .

٣ - هناك اعتقاد شائع بأن ثبوت الهلال خارجاً وعدمه شأن من شؤون الحكومة الإسلامية أو المرجعية الإسلامية العليا ويرتبط بموضوع الولاية والتقليد ، ولا يعني المكلف بوجه من الوجود ، وكل مايتوجب عليه هو أن يتبع في معرفة بدايات الأشهر القمرية مقلده في هذه المسألة كبقية الأحكام الشرعية ، بل ولا يجعل دور حتى لأئمة المساجد فليس لهم شيء في ذلك ، وماهم إلا واسطة بين الناس ، والمراجع يمكن الاستغناء عنهم بما توفر من وسائل مختلفة للاتصال إما بمراجع التقليد مباشرة أو بمكاتبتهم . وبناء على هذا لا يمكن معالجة الموضوع من خلال أئمة المساجد لوحدهم والحل الأساسي لهذه القضية بيد الحكومة الإسلامية ومراجع التقليد وما لم تحل المسألة هناك لا يمكن لأحد الفصل فيها وستبقى الأوضاع بهذا الشكل إلا أن - وكما ذكر

في الرسائل العملية - هناك طرقاً متعددة لثبوت الهلال ، وذلك لأن قضية ثبوت الهلال خارجاً - بإجماع الفقهاء - موضوع من الموضوعات ، وليست مسألة فقهية تحتاج إلى استنباط الحكم الشرعي ، ولهذا يكفي في ثبوت الهلال تطبيق أحكامه الشرعية والطرق المذكورة على الواقع الخارجي .

ومعنى هذا ينبغي في ثبوت الهلال تطبيق السبل الشرعية المذكورة في الرسائل العملية التي سيأتي ملخصها في نهاية هذا البحث ، والرجوع إلى علماء الدين المتواجدين في المنطقة للاستعانة بهم على معرفة تلك السبل أو تدقيق الشهادات وإعلام المراجع بالنتائج حتى يصدروا حكمهم على أساسها بل قد لا يجزي مجرد الاتصال بالمراجع في بلدانهم لمعرفة يوم العيد في كندا مثلاً والتعويل عليه ، فلا بد إذن من التحقق في البلد نفسه .

يحتاج حسم الموضوع على أرض الواقع إلى مرحلتين :
الأولى : بلورة الأصول العامة التي تتفق حولها الروايات ويجمع عليها الفقهاء من الناحية النظرية ، ومناقشة الاحتمالات الواردة في البين ، ومعرفة الحكم الشرعي الذي يوافق المباني الشرعية .
الثانية : وضع خطة عملية محكمة لتطبيق تلك الأصول على أرض الواقع وتوفير كافة المستلزمات الضرورية لمعرفة الهلال مما يضمن وحدة الصف الإسلامي .

أسئلة لابد منها :

هناك ثلاثة عوامل أساسية تناقش عادة في تحديد الهلال :

أولاً : الرؤية .

ثانياً : حكم الحاكم .

ثالثاً: التقرير العلمي .

ولكي نتوصل إلى الأصول الشرعية العامة لابد من معرفة آراء الفقهاء حول الأسئلة التالية :

أ - هل هناك ضرورة من الناحية العملية والشرعية لتشكيل لجان تقصّي الهلال في بلدان متعددة ؟

ب - ماهي الطرق الشرعية المتفق عليها في تحديد بداية الشهر القمري؟

ج - ماهي الطرق التي يتفق الفقهاء على رفضها ؟

د - هل يثبت الهلال بحكم الحاكم ؟

هـ - ماهو المقدار الذي يجوز فيه التعويل على التقارير العلمية حول الهلال إذا كانت تبعث على الاطمئنان ؟

و - فيما لو ثبت الهلال في نقطة ما ؛ هل يكون حجة على سائر نقاط العالم ؟

ز - فيما لو لم يثبت الهلال في الشرق وثبت للجنة هل يمكن العمل برأيها ؟

ح - لو لم يثبت الهلال ؛ هل يجوز مخالفة إعلان ثبوت الهلال لمصلحة كالوحدة الإسلامية ؟

أولاً: هل هناك ضرورة من الناحية العملية والشرعية لتشكيل لجان تقصّي الهلال في بلدان متعددة ؟ :

الملموس من الأقليات الإسلامية أنه كما اقتضت الحاجة لمعرفة العيد بدأت اتصالاتها مقتصرة على الحوزات الدينية لمعرفة ذلك ، مع أن هناك طرقاً أخرى مشروعة لثبوته ، مع ملاحظة اختلاف الآفاق . ففي بعض الدول لا يجزي ثبوت الهلال أو عدم ثبوته هناك ، ولا بد من تقصّي الهلال

في تلك البلدان إما مباشرة أو من خلال لجنة يشكلونها لأنفسهم تختص بهذا الموضوع . والجدوى من هذا العمل واضحة فهي معرفة الواقع استناداً إلى أفق ذلك البلد ، وبه تتوحد المناسبات الإسلامية فيه والخروج من الفوضى المرة التي يتكرر حصولها دائماً بسبب قلة المستهلين .

ومراجع التقليد يشجعون ذلك باعتبار أن الاستهلال من المستحبات الأكيدة في الإسلام وفيها روايات عديدة ، بل يأمرهم به من خلال إجماعهم على أن ثبوت الهلال وعدمه كما تقدم ليس مما يرتبط بجانب استنباط الحكم الشرعي وإنما هو موضوع من الموضوعات الخارجية التي يتعين على المكلف التحقق منها إما بنفسه أو بوسائل مشروعة أخرى ، وليس هناك مانع شرعي يذكر من تشكيل لجنة بتفحص الهلال . بل يبدو من دراسة آراء الفقهاء للتكليف بالاستهلال وتلقي البيانات الشرعية ودراستها ، وقد تستنتج ضرورة تشكيل لجنة خاصة لتقصي الهلال في كندا مثلاً لأنها في أقصى الغرب ، والهلال إن لم يكن قابلاً للرؤية في الشرق فقد يكون قابلاً للرؤية في الغرب ، وليس ثمة مانع من أن لا يثبت في الشرق ويثبت في كندا .

وأما مدى تعاون العلماء المقيمين فيمكن تضمينه من خلال مجلس العلماء ، والإلتزام بقراراته وإقامة اجتماع خاص ليلة الشك لاستقبال البيانات والخروج بنتيجة واحدة للناس ، وما من شك في أن جميع علماء الدين حريصون على ضمان تطبيق الحكم الشرعي وتوحيد المناسبات الإسلامية .

وأما تعاون الناس معها فهذا يتوقف على مدى وعيهم للمسائل العامة ومعرفتهم بالأحكام المتعلقة بالهلال من خلال الرسائل العملية ، ومحاضرات العلماء ، ومطالعة الكتب والمقالات حول الموضوع . فالناس

تنظر إلى علماء الدين ثم تتبعهم . وقد كان لمجمع أهل البيت عليه السلام في كندا تجربة ناجحة جداً في عيد الأضحى حينما اتفق العلماء على يوم واحد للعيد حضرت آلاف الناس للصلاة في ذلك اليوم مما يدل بصورة عملية حية على أنه عندما يتفق العلماء ؛ فيما بينهم تجتمع الناس .

إذا ثبت الهلال عند جماعة من المؤمنين في بلد ولم يثبت لدى جماعة آخرين في البلد ذاته أو في بلد آخر ، يؤخذ بالثبوت . وعدم ثبوت الهلال لا يحتاج إلى دليل ، لكن ثبوت الهلال يجب أن يكون بأحد الطرق المشروعة التالية وألا يكون مستنداً إلى أحد السبل المرفوضة الآتية(*) .

ثانياً : ماهي الطرق الشرعية المتفق عليها في تحديد بداية الشهر القمري ؟
١ - العلم الحاصل برؤية الهلال مباشرة^(١) .

(*) يلزم على علماء الدين أو اللجان المختصة في مختلف البلدان اتباع الطرق الشرعية بدقة في هذا المجال . تحت نظر وتوجيه المراجع وإمضائهم لثبوت الهلال ، لأنهم أكثر دقة ومعرفة واحتياطاً من غيرهم في هذا المجال . «التحرير»

(١) أحكام المغتربين وفقاً لفتاوى عشرة من مراجع التقليد ص ١٣٧ م ٢٥٣ .

يفهم من الروايات أن للشرع ملاكاً واحداً في تحديد بداية الشهر القمري وهو رؤية الهلال بالعين المجردة مباشرة . وفي ذلك روايات كثيرة منها ما روي (عن أبي عبدالله ع) أنه سئل عن الأهلة فقال : هي أهلة الشهور ، فإذا رأيت الهلال فصم وإذا رأيت فافطر) فجعل الإمام الصادق (ع) الملاك في صوم شهر رمضان والإفطار للعيد هو الرؤية . ومن خلال التدقيق نجد أن مرد جميع الطرق المذكورة أعلاه إلى الرؤية ، وإذا لم تتحقق الرؤية لا مباشرة ولا من خلال الآخرين ؛ فإكمال ثلاثين يوماً من بداية الشهر الماضي ، وهذا في الحقيقة ليس بملاك جديد غير الرؤية وإنما هو ملاك يعود إلى الرؤية قبل ثلاثين يوماً أيضاً .

الأسئلة حول هذا الأصل هي :

هل أن هذه الرؤية بالعين المجردة لم يمكن الاستعانة بوسائل أخرى ؟

وفي رواية أخرى عن أبي جعفر (ع) : إذا رأيتم الهلال فصوموا وإذا رأيتموه فافطروا ، وليس بالرأي ولا بالتظني ولكن بالرؤية) ماهو المقصود بالرأي والتظني ؟ وهل أن الإمام (ع) جعل الرؤية هي الملاك الوحيد لثبوت الهلال من باب عدم وجود سبيل آخر لمعرفة حلول الشهر ؟ يعني لو كانت في ذلك العهد وسائل أخرى لمعرفة ولادة الشهر هل سيأمره برؤية الهلال أيضاً أم أنه سيقول له انظر إلى التقرير العلمي ؟

- ٢- شهادة عدلين يشهدان بأنهما رأيا الهلال^(١).
- ٣- العلم الحاصل من تواتر خبر الرؤية بين الناس .
- ٤- الاطمئنان الحاصل من شيعاء خبر الرؤية^(٢).
- ٥ - مضي ثلاثين يوماً على رؤية هلال شعبان في إثبات أول شهر رمضان مثلاً أو مضي ثلاثين يوماً من شهر رمضان لإثبات عيد الفطر وهكذا . وعليه فإذا لم يثبت الهلال بالطرق الشرعية المذكورة أعلاه ؛ يبقى البناء على الشهر الماضي ولا يحتاج عدم ثبوته إلى دليل .

ثالثاً: ماهي الطرق التي يتفق الفقهاء على رفضها ؟

- ١ - شهادة العادل الواحد ولو مع اليمين .
- ٢ - شهادة المرأة .
- ٣ - قول المنجمين .
- ٤ - غيبوبة الهلال بعد الشفق .
- ٥ - حجم الهلال أو ارتفاعه أو مدة بقائه في السماء في الليلة الثانية .
- ٦ - شهادة العدلين اللذين لم يشهدا بالرؤية وإنما شهدا بشيء آخر بالسمع مثلاً .

رابعاً: هل يثبت الهلال بحكم الحاكم الذي لا يعلم خطؤه ولا خطأ مستنده ؟ المقصود من الحاكم الشرعي من يطبق مذهب أهل البيت عليهم السلام على

(١) ويشترط في ذلك عدم العلم بخطئهما وعدم وجود معارض لشهادتهما .
 وروي عن الإمام الصادق (ع) : فإن شهد عندك شاهدان مرضيان بأنهما رأياه فاقضه .
 وروي عن الإمام علي (ع) : لا أجزى في رؤية الهلال إلا شهادة رجلين عدلين .
 (٢) ويشترط في الشيعاء شروط :
 منها : أن يفيد العلم، فلو كثر العدد ولم يحصل العلم لأسباب معينة فلا حجة له، فلو رأى رجل من بين أربعين يستهلون الهلال فلا عبرة فيه إذا كان الجميع يتمتعون بما يتمتع به من حدة البصر وغير ذلك، ولهذا لو رأى مئة شاهد من بين آلاف الناس فلا عبرة بذلك .

أرض الواقع ، ويحكم المسلمين بالفعل ، ومن أبرز مصاديقه الولي الفقيه وكان يعني الفقهاء سابقاً مراجع التقليد فقط .

أ - نعم يثبت الهلال بحكم الحاكم عند كل من : الإمام الخميني والسيد الخامنئي والسيد الكلبيكاني والشيخ ميرزا جواد التبريزي والشيخ ناصر مكارم الشيرازي والشيخ فاضل اللنكراني والشيخ الصافي والسيد السيستاني مع إضافة شرط خاص بالأخير وهو إفادة الاطمئنان بالرؤية في البلد أو فيما هو بحكمه (طبقاً لمبناه في تعدد الأفق) بل لا تختص حجية حكم الحاكم بمقلديه بل حجة حتى على حاكم آخر لو لم يثبت خطؤه أو خطأ مستنده .

ب - لا يثبت : عند السيد الخوئي .

وبناء عليه يكون رأي السيد القائد ومراجع التقليد حجة مستقلة في ثبوت الهلال ماعدا مقلدي السيد الخوئي .

خامساً : ماهو المقدار الذي يجوز فيه التعويل على التقارير العلمية حول الهلال إذا كانت تبعث على الاطمئنان ؟

كما تقدم أن قول المنجمين غير معتبر شرعاً بإجماع المسلمين على ذلك ، أما من هم المنجمون ؟ وهل يمكن تعميم ذلك لعلماء الفلك ؟ فهذا بحث آخر . لكن لو افترضنا أن علماء الفلك غير المنجمين فقد كان بين المسلمين علماء فلك يعرفون مواقيت الهلال من خلال ما يعبر عنه بـ (الأزياج) ويعتمدون عليها منذ قرون في تحديد الهلال وهي وإن كانت صحيحة ودقيقة لم يثبت خطؤها ، لكنهم مع ذلك لم يعتبروا لها حجية شرعية ، والعلم الحديث مع ما يمتلك من الأجهزة الدقيقة ورغم قدرته على أن يتوصل إلى ماهو أدق تعيين زمان ولادة الهلال في عامنا هذا بحيث يمكنه أن يعطي زمن ولادة الهلال وخروجه من المحاق سنة

٣٠٠٠ باليوم والساعة والدقيقة والثانية بل وأعشار الثانية أيضاً ، وما من شك في أن بإمكان العلم أن يقدم معطيات أخرى كمقدار بُعد القمر الزاوي من الشمس ومقدار ارتفاعه فوق الأفق ورصد بعده الأقصى من الأرض وبُعد الأذن من الأرض ، وقد رأينا قبل فترة قريبة كيف أن المعطيات العلمية كانت تحدد أماكن خسوف الشمس وأفضل الأماكن للرؤية وفترة كل واحد منها و... ولم يذكر أنه حصل خطأ في تحديد ذلك . كل هذا صحيح ، لكن مادام الملاك الشرعي هو الرؤية بالعين المجردة وليست ولادة الهلال من الناحية العلمية ؛ تبقى هذه المعطيات بعيدة عن حل المشكلة . لأن التقرير العلمي لا يستطيع أن يحدد زمن الرؤية على وجه الدقة باعتبار أن الرؤية ترتبط بأمر كثيرة : منها ما يتعلق بالمبصر ، ومنها ما يتعلق بالبيئة وبانعكاسات الضوء و ... ولهذا تجد تضارباً شديداً بين علماء الفلك حول تحديد الحد الأدنى للرؤية ، فبعضهم يقول يكفي تسع ساعات وبعضهم يقول عشرون ساعة غير كافية للرؤية في بعض الحالات .

نعم يمكن أن يخدمنا التقرير العلمي في تحديد الإمكان العلمي للرؤية ، لكنه لا يكون حجة في تحديد بدايات الشهور القمرية إلا إذا اقترن بالرؤية الفعلية ، نعم هو حجة في قبول أو رفض الشهادات لأنه يحدد المناطق التي تستحيل فيها الرؤية في أوقاتها المحددة لها عند الغروب ، وبناء عليه يتم رفض الشهادات التي تأتي من تلك المناطق ، وهذا أمر مقبول ينص عليه الفقهاء في كتب الاستفتاءات .

يقول السيد الخوئي : لا يكفي الاطمئنان الشخصي بصحة الحسابات الفلكية لا في مجال ولادة الهلال ولا في مجال إمكان رؤيته ، بل لابد من الرؤية خارجاً وثبوتها للمكلف^(١) على نحو اليقين ، واليقين من أي شيء

(١) أحكام المغتربين وفقاً لفتاوى عشرة من مراجع التقليد ص ١٢٧ م ٣٥٤ .

كان فهو حجة .

إذا كانت التقارير العلمية تقول بإمكان الرؤية ، لكن تغيرات البيئة أو عدم كون السماء نقية صافية كما كانت عليه خلال القرون الماضية بسبب تلوث الفضاء المحيط بالأرض بأنواع الدخان والغازات والأبخرة المتصاعدة من فوق الأرض من وسائل النقل للسيارات والبواخر والطائرات والمعامل والمصانع و ... فهل يبقى الملاك في تحديد الهلال للرؤية أيضاً أم يتحول إلى شيء آخر ؟ المذكور في الرسائل إكمال ثلاثين يوماً من الشهر .

سادساً : فيما لو ثبت الهلال في نقطة ما ، هل يكون حجة على سائر نقاط العالم ؟

كل ما تقدم يتعلق بثبوت الهلال في نفس البلد الذي يقيم فيه المكلف ، أما إذا ثبت الهلال في بلد آخر هل أن ذلك حجة على كل أهل الأرض ؟ أم أنه يكون حجة على المناطق الغربية منها دون الشرقية ؟ أم على كل ما اشترك معها في قسم من الليل ؟ أم تكون المجاورة وحدها كافية ؟ لكل من هذه الأمور آراء ومبان تشترك في أن المعيار في كل ذلك الملازمة بين البلدين بحيث إذا رُئي في الأول رُئي في الثاني ويتحقق ذلك في المناطق الغربية بالنسبة للمناطق الشرقية والبعيدة عن خط الاستواء بالنسبة للمناطق القريبة إليه ، والظاهر أن تقارب البلدين وتباعدهما ليس ملاكاً مستقلاً إذا تحققت الملازمة المذكورة .

وآراء الفقهاء الواردة في ذلك كالآتي :

١- إذا ثبت في الشرق يثبت في الغرب دون العكس . وبعبارة أخرى إذا ثبت الهلال في بلد كان ثبوته فيها حجة على البلدان الواقعة غرباً فقط ، فلا يكون حجة على المدن الشرقية لأن الهلال يكبر كلما اتجه نحو الغرب ،

فأينما يرى يكون حجة لما بعد ذلك ، فلو ثبت الهلال في إيران لم يكن حجة على المسلمين في اليابان ، بينما يكون حجة على المسلمين في كندا. وهو رأي السيد الخامنئي^(١) والسيد السيستاني^(٢) والشيخ مكارم الشيرازي^(٣) والشيخ فاضل اللكراني^(٤) وكثير من العلماء اليوم وهو رأي قوي يمكن الاستدلال عليه .

٢- إذا ثبت الهلال في بلد ؛ ثبت في غيره مما يشترك معه في جزء من الليل . أي إذا ثبت الهلال في بلد كفى في الثبوت في غيره بشرط اشتراكهما في الأفق بحيث إذا رؤي في أحدهما رؤي في الآخر (أي اتفاقهما في أوقات الشروق والغروب) ، بل يكفي الاشتراك معه في الليل وإن كان أول الليل في أحدهما وآخره في الآخر . وهو رأي السيد الخوئي^(٥) والشيخ التبريزي . وهذا يعني أنه إذا ثبت في إيران على سبيل المثال ثبت في كندا وفي اليابان على حد سواء لأنهما يشتركان مع إيران في جزء من الليل .

٣- إذا ثبت الهلال في بلد ثبت في جميع بلدان العالم ، سواء اتحدت في الأفق أم لا ، ولعل هذا الرأي باعتبار إطلاق روايات الرؤية والبيئة ، ووحدة يوم العيد المشار إليه في دعاء صلاة العيد ، ووحدة ليلة القدر ، ودعاء السمات ، وغيره .

ولا يصمد هذا الرأي أمام النقاش والبحث العلمي وترد عليه ملاحظات شتى : أولها : أنه لو ثبت الهلال في فانكوفر كأقصى نقطة من نقاط كندا غروب السبت ليثبت أن العيد يوم الأحد لكل بقاع الأرض وهو

(١) أحكام المغتربين وفقاً لفتاوى عشرة من مراجع التقليد ص ١٣٨ م ٣٥٨ .

(٢) الفقه للمغتربين ص ١٢٠ م ١١٣ .

(٣) أحكام المغتربين وفقاً لفتاوى عشرة من مراجع التقليد ص ١٣٤ حاشية رقم ٣ .

(٤) أحكام المغتربين وفقاً لفتاوى عشرة من مراجع التقليد ص ١٤١ م ٣٦٦ .

(٥) المسائل الفقهية ١ : ١١٦ .

اليوم الذي يكون قد انتهى في شرق الكرة الأرضية كاليابان وقد صام المسلمون في اليابان ذلك اليوم وهم الآن يستعدون للإفطار. وثانياً: أن الفاصل بين السبت والأحد على سطح الأرض فاصل وهمي أتفق علماء الجغرافيا على اعتباره وليس له حقيقة موضوعية. وثالثاً: أن مراد الآيات والروايات ... المتقدمة من اليوم بحسب البلد لا بحسب كل الكرة الأرضية، إذ ليس هناك قرينة على تلازم ذلك لكل أهل الأرض.

ملاحظات :

- ١ - أما كون العيد في يومين مختلفين ليس وارداً هنا، لأن تحديد بدايات الأيام صار بافتراض خط اعتباري وهمي بين أميركا وآسيا.
- ٢ - أما المناطق الواقعة إلى الشمال أو الجنوب فتكون حجة كلما اقتربنا من خط الاستواء دون العكس، لأن الاختلاف الفاحش في خطوط العرض يؤثر على الملازمة بين أفق البلدين. (راجع الاستفتاءات الخاصة).
- ٣ - وما يعيننا من كل ذلك إذا ثبت في الشرق هل يثبت في كندا؟
الجواب: نعم، يثبت بإجماع الفقهاء كما تقدم توضيحه.

سابعاً: فيما لو لم يثبت الهلال في الشرق وثبت للجنة في كندا هل يمكن العمل برأيها؟
بما أن كندا تقع في غرب الكرة الأرضية، وهي متأخرة من ناحية الأفق، فمن المحتمل قوياً أن يثبت الهلال فيها من دون أن يثبت لغيرها في شرق الكرة الأرضية ويكون حجة على سكانها دون غيرهم. وحكم هذه المسألة واضح فقد اتفق المراجع جميعاً على أن من ثبت له الهلال، وجب عليه العمل وفقاً لذلك.

ثامناً : لو لم يثبت الهلال، هل يجوز مخالفة ذلك وإعلان ثبوت الهلال
لمصلحة ما ، كالوحدة الإسلامية ؟

بعد كل هذا يمكن أن يحتج البعض بالمصلحة العامة للمسلمين وحفظ
وحدة صفهم خصوصاً في عيد الأضحى حيث اعتاد المسلمون
اللبنانيون من السنة والشيعة دون سائر أتباع أهل البيت عليه السلام على إتباع
الحجاج في يوم العيد ولا يتبعون الهلال بشكل من الأشكال ، وقد سئل
مكتب السيد الخامنئي (دام ظله) عن شرعية الصلاة في غير يومها
متابعةً للحجاج قال : لا شرعية لها . وسئل مرة أخرى كيف إذا كانت هناك
مصلحة في ذلك قال : لو اقتضت المصلحة متابعة السعودية فلا بأس .
والكلام هل هناك مصلحة في ذلك ؟

الجواب : لا للأسباب التالية :

أ - لأنه خلاف الواقع وخلاف الموازين الشرعية .

ب - بدأ المسلمون من أهل السنة في كندا خلال السنوات الأخيرة
يقتدون بالمسلمين الشيعة في عدم متابعة السعودية في جدولها المعد
للحجاج إذا كان خلاف الواقع ، أي أنهم بدأوا في السنوات الأخيرة
يتبعون الموازين الشرعية في تحديد الهلال ، وعليه يحددون يوم العيد
أنهم بالتالي اتبعوا الصواب . وهذا هو الصحيح وهو منهج أئمتنا عليهم السلام في
أن ندفع الآخرين إلى الصواب ، لا أن نتراجع نحن عن صوابنا إرضاءً
للباطل .

ج - إعلانه مع السعودية في غير يومه سبب الفتنة والفرقة بين
المسلمين ، وإتباعهم يجر بالفتنة والفرقة إلى أتباع أهل البيت عليهم السلام
أنفسهم، فهو وإن كان قد يرضي عدداً من المسلمين اللبنانيين بسبب ما

اعتادوا عليه ، لكن سائر المسلمين الشيعة ستعيد في يوم آخر ، ولهذا فالأفضل الالتزام بالموازن الشرعية من دون مراعاة لغير شرع الله .

الخلاصة :

١- عدم ثبوت الهلال في البلدان الشرقية لا يعني عدم ثبوته في البلدان الغربية ، ولهذا لا بد من تقصّي الهلال بصورة مستقلة .

٢- عدم ثبوت الهلال لا يحتاج إلى دليل ، لكن ثبوته يجب أن يستند إلى أحد الطرق المشروعة المتقدمة من دون الاستناد إلى أحد السبل المرفوضة المذكورة آنفا .

٣- إذا ثبت الهلال لدى الحاكم الشرعي ؛ يثبت في كل البلدان الواقعة إلى الغرب منه مع استثناء مقلدي السيد الخوئي .

٤- يمكننا أن نستفيد من التقرير العلمي الصحيح في رفض الشهادات من المناطق التي تستحيل فيها الرؤية في ذلك الوقت وتحمل على أساس الخطأ أو الوهم .

٥- إذا ثبت الهلال في الشرق وكانت رؤيته في مجال الإمكان من الناحية العلمية يثبت في الغرب وإن لم تتمكن اللجنة من إثباته .

٦- يثبت الهلال في كندا بالبيئة الشرعية وإن لم يثبت في الشرق لأنها متأخرة عن الشرق في الأفق .

٧- إذا ثبت الهلال في غرب كندا أو في المناطق الشمالية الواقعة على نفس خطوط الطول فهو مورد خلاف الفقهاء تطبق فيه الأحكام كل حسب تقليده .

٨- ليس من الصالح مخالفة الأصول الشرعية إرضاء لمن لا يلتزم بها.

قصيدة : الأقربون

❁ الكميت بن زيد الأسدي

هو أبو المستقل الكميت بن زيد الأسدي المضرّي العدناني .
ولد عام ٦٠ هـ في الكوفة .
كان خطيباً لسنّا ، وفقيهاً عالماً ، وحافظاً للقرآن ، وكاتباً مجيداً ، وعالماً بالأنساب ،
ومتأظراً بارعاً ، وكان بعد ذلك فارساً شجاعاً ، ومعطاءً سخياً .
يعدّ من رجال الشيعة ووجوهها ، وقد عاصر الإمام السجّاد والإمام الباقر والإمام
الصادق (عليهم السلام) .
قال عنه أبو عكرمة الضبيّ : لولا شعر الكميت ؛ لم يكن للغة ترجمان ولا للبيان لسان .
أمتاز شعره بانتقاء المفردة وتوظيفها بجدارة وقوة في صور لم يألّفها عصره الأبي .
بلغ شعره حوالي ستة آلاف بيت ، غير الذي فقد وضاع .
استشهد عام ١٢٦ هـ على أيدي جنود (خالد القسري) .
قصيدة الأقربون : قالها في أهل البيت (عليهم السلام) وهي تزيد على المائة بيت ومنها :

من لقلبٍ متيمٍّ (١) مستهامٍ (٢) غير ما صبوةٍ (٣) ولا أحلامٍ
طارقاتٍ (٤) ولا أدكارٍ (٥) غوانٍ (٦) واضحاتٍ الخدودِ كالأرامِ (٧)

- (١) تيمّه الحب : أي جعله عبداً .
(٢) مستهام : ذهب الحب بقلبه وعقله .
(٣) الصبوة : الحنين .
(٤) الطارقات : الدواهي والمصائب .
(٥) ادكار : تذكر .
(٦) غواني : جمع غانية ، وهي الغاتنة من النساء .

بل هوأي الذي أجنُّ (٨) وأبدي
 للقريبين من ندى (١١) والبعيد
 والحماة الكفاة (١٤) في الحرب إن لفَّ
 والغيوث (١٦) الذين إن أمحلَّ (١٧) النَّا
 راجحي (١٩) الوزنِ كاملي العدل في السيِّ
 وإذا الحربُ أومضتْ (٢٢) بسنا (٢٣) الحر
 فهم الأشدُّ في الوغى (٢٥) لا اللواتي
 أشدُّ حربٍ غيوثُ جذبٍ (٢٩) بهاليه

لبني هاشمٍ فروع (٩) الأنام (١٠)
 من من الجور (١٢) في عرى الإحكام (١٣)
 ضرام (١٥) وقوده بضرام
 سُ فمأوى حواضي (١٨) الأيتام
 رة طبين (٢٠) بالأُمور العظام (٢١)
 ب وسارَ الهمام (٢٤) نحو الهمام
 بين خيس (٢٦) العرين (٢٧) والآجام (٢٨)
 ل (٣٠) مقاويل (٣١) غير ما أفدام (٣٢)

(٧) الأرام : جمع (ريم) وهي الغزالة .

(٨) أجن : أخفي .

(٩) فروع : جمع فرع وهو شريف القوم .

(١٠) الأنام : الناس .

(١١) الندى : الكرم .

(١٢) الجور : الظلم .

(١٣) عرى الإحكام : الأمور التي تبرم .

(١٤) الكفاة : الذين يكفون الناس القتال لشجاعتهم وإقدامهم .

(١٥) الضرام : التهاب الناس .

(١٦) الغيوث : جمع غيث وهو المطر .

(١٧) المحل : الجذب .

(١٨) أراد تقصدهم الأرامل ويتاماهن للتزود .

(١٩) الراجح : الأثقل وزناً .

(٢٠) طبين : جمع طب، وهو الحاذق بمعالجة الأمور بتأنٍ ولطف .

(٢١) العظام : جمع عظيم .

(٢٢) أومضت : برقت .

(٢٣) السنا : الشعاع والنور .

(٢٤) الهمام : السيد الشجاع .

(٢٥) الوغى : الحرب .

(٢٦) الخيس : الشجر الذي يتخذ منه الأسد عريناً .

(٢٧) العرين : مأوى الأسد .

(٢٨) آجام : جمع أجم، الشجر الكثيف الملتف ويكون مأوى للأسود .

(٢٩) الجذب : أرض مجدبة خالية من الزرع .

فهم الأقربونَ من كلِّ خيرٍ
 بسطوا أيدي التَّسْوَالِ (٣٤) وكفُّوا
 أسرَّةَ الصادقِ الحديثِ أبي القاسمِ
 أبطحي (٤٠) بمكة استنقَبَ (٤١) اللُّهُ
 وإلى يثرب (٤٢) التَّحَوُّلُ عنها
 والوصيُّ الذي أَمَالَ (٤٤) التَّجَوُّيُّ (٤٥)
 كان أهل العفافِ والمجدِ والخيرِ
 والوصيُّ الولي والفارسُ المُعَدُّ

وهم الأبعدون من كلِّ ذامٍ (٣٣)
 أيدي البَغْيِ (٣٥) عنهم والعُرامِ (٣٦)
 سمِ (٣٧) فرع القُدَّامِ (٣٨) القُدَّامِ (٣٩)
 ضياءُ العَمَى به والظُّلَامُ
 لمقامٍ من غير دارٍ مقامٍ (٤٣)
 به عرشُ أُمِّيةٍ لانهدامِ
 رٍ ونقضُ الأُمُورِ (٤٦) والابرامِ (٤٧)
 لِمِ (٤٨) تحتَ العَجَاجِ (٤٩) غيرَ الكَهَامِ (٥٠)

- (٣٠) بهاليل : جمع بهلول وهو الملك الشجاع .
 (٣١) مقاويل : أهل خطابة وفصاحة وقول .
 (٣٢) أفدام : العي في الكلام والحقق .
 (٣٣) ذام : غيب .
 (٣٤) النوال : العطاء والكرم .
 (٣٥) البغي : الاعتداء .
 (٣٦) العرام : الشراسة والأذى .
 (٣٧) الصادق الحديث أبو القاسم : هو الرسول (ص) إذ لُقِّبَ في الجاهلية الصادق الأمين وكنيته أبو القاسم .
 (٣٨) القدامس : الشديد القوي .
 (٣٩) القُدَّام : من يتقدم الناس بالشرف .
 (٤٠) أبطحي : نسبة إلى بطحاء مكة ويدعى أبو طالب (ع) : شيخ البطحاء .
 (٤١) استنقَبَ : أضاء .
 (٤٢) يثرب : المدينة المنورة .
 (٤٣) دار المقام : الدار التي يمكث بها طويلاً .
 (٤٤) أَمَالَ : أوشك أن يُسْقَطَ .
 (٤٥) التَّجَوُّيُّ : يعني به عبدالرحمن بن ملجم قاتل أمير المؤمنين علي (ع) .
 (٤٦) نقض الأمور : حلّها .
 (٤٧) الابرام : الإحكام .
 (٤٨) المعلم : المعروف ، الذي له علامة يعرف بها في الحرب .
 (٤٩) العجاج : غبار المعركة .
 (٥٠) الكهَام : البطيَّة ، الذليل ، الخائف .

كم له ثمَّ كم له من قتيلٍ وخميسٍ^(٢) يلفُّه بخميسٍ وعميدٍ^(٥) متوجِّحٍ حلٍّ عنه قتلوا يوم ذاك إذ قتلوه راعياً^(٩) كان مسجحاً^(١٠) فققدنا نالنا فقده ونال سوانا وأشتت^(١٥) بنا مصادر^(١٦) شتَّى جرَّد^(١٩) السيف تارتين^(٢٠) من الدهـ

وصريع تحت السنابك^(١) دامي؟ وفئام^(٣) حواه^(٤) بعد فئامٍ عقد التاج^(٦) بالصنيع^(٧) الحسامِ حكماً لا كغابر^(٨) الحُكَّامِ هُ وفقدُ المسيم^(١١) هلك السَّوام^(١٢) باجتداع^(١٣) من الأنوفِ اصطلام^(١٤) بعد نهج السبيل^(١٧) ذي الآرام^(١٨) رٍ على حين درَّة^(٢١) من صُرام^(٢٢)

(١) السنابك : حوافر الخيول .

(٢) الخميس : الجيش .

(٣) الفئام : جمع من الناس .

(٤) حواه : حزن وامتلك .

(٥) العميد : رئيس القوم وكبيرهم .

(٦) حل عنه عقد التاج: كناية عن الضرب بالسيف على الرأس .

(٧) الصنيع : السيف الذي يعتنى بصنعه .

(٨) الغابر : السابق ، السالف .

(٩) راعياً: إماماً، حاكماً يرعى الناس .

(١٠) المسجح : الكثير العفو عن المذنبين .

(١١) المسيم : صاحب القطيع .

(١٢) السوام : الماشية والإبل الراعية .

(١٣) الاجتداع : قطع اطراف الأنف .

(١٤) اصطلام : قطع الاذن والأنف من الأصل .

(١٥) اشتت : باعدت وفرقت .

(١٦) المصادر : هي الطرق التي يصدر الناس فيها أي يروحون فيها .

(١٧) نهج السبيل : الطريق الواضح المستقيم الذي يسار فيه .

(١٨) الآرام : جمع ريم وهو الجبل الصغير يقع على جانب من الطريق فيحتمي المارة .

(١٩) جرَّد : سلب السيد من غمده .

(٢٠) تارتين : مرتين .

(٢١) الدرَّة : سيلان الدم وتدفقه .

(٢٢) الصُرام : الحرب الشديدة .

في مريدين مسخطين هدى الله
 ووحي الوصي^(٣) ذي الخطة الفصل
 وقاتل بالطف^(٦) غودر منه^(٧)
 قتل الأعداء^(١٠) إذ قتلوه
 في^(١) ومستقسمين بالآلام^(٢)
 ل^(٤) ومردى^(٥) الخصوم يوم الخصام
 بين غوغاء^(٨) أمية وطغام^(٩)
 أكرم الشاريين صوب الغمام^(١١)

قال رسول الله ﷺ :

إلزموا مودتنا أهل البيت ...
 فو الذي نفس محمد بيده
 لا ينفع عبداً عمله إلا بمعرفتنا.

الأمالى للطوسي : ٨٢

-
- (١) أراد بهم الذين نقضوابيعة الامام علي (ع) فحاربهم .
 (٢) أراد بهم الكفار الذين يستقسمون بالآلام كما ورد في القرآن الكريم .
 (٣) وصي الوصي : الامام الحسن بن علي (ع) الذي أوصى له الامام علي (ع) بالخلافة .
 (٤) الخطة الفصل : الأمور المحكمة في سياسة الرعية .
 (٥) مردى : مهلك .
 (٦) اشارة إلى الامام الشهيد الحسين (ع) الذي قتل في طف كربلاء .
 (٧) غودر منه : رحل الناس عنه وترك .
 (٨) غوغاء : جهال .
 (٩) الطغام : أوغاد الناس .
 (١٠) الأعداء : الذين يدعون ما ليس لهم، وإراد بهم بني أمية الذين ادعوا الخلافة .
 (١١) صوب الغمام : المطر .

أدب
في رهاب الثقيلين

مولاي عيدك^(١)

✽ السيد محمد جمال الهاشمي

مولاي يومك من حدودي أكبر
ماذا أقول به، وكلُّ مقالة
يكفي بأنك مُذْ طلعت تضاربُ
مَدَّت لتختبر المحيطَ قياسها
سبحان ذاتك ما رآها ناظرُ
كلُّ يخال بأنه لك يستمي
ولأنتَ أنتَ الشمس عمَّ شعاعها
فإذا كبا شعري، ففكري يُعذرُ
مهما استطالت، فهي عنك ستقصرُ
فيك العقولُ فمفرطٌ ومُقصرُ
فإذا به في موجه يستكسرُ
إلا وقال إلى حياتي تنظرُ
في السير فهو على صراطك يعبرُ
فبكل أفق منك لمح يزهرُ



(١) هذه القصيدة نُظمت بمناسبة ميلاد أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (ع).

مولاي أوقفني ببابك موسم
ميلادُ فجرِكَ لا يخطُ جلاله
من مشرق الحق انبثقت رسالة
ونشأت في دنيا النبوة صاعداً
حتى إذا بُعث النبي غدوت في
تستعرض الأسرار من آياته
تخطو كما يخطو، وتبني مقصداً
أدركت ما لم يدركوه، فأمرهم
وإليك قد قال النبي مترجماً
غيري وغير الله لم يعرفك في
جلت حقيقتك التي تخفى بما

فيه ينابيع الولا تستفجر
قلم، ولا يسمو إليه مصدر
فيها الخلود منور ومعطر
بمدارج فيها الملائك تعثر
يمناه سيفاً لا يفل ويقهر
وترى حقائقها التي لا تبصر
يسبغيه، لا تعلو ولا تتدهور
يبدو لباحته، وأمرُك مضمّر
معناك يشرح لغزه ويُفسّر
ما أنت فيه مقوم ومقدّر
تبدو، ففي جلواتها تسترّ

* * *

مولاي فجر في بياني طاقة
فأنا وتيار التطور جارئ
أبغني بأن ألقاه، لا متلاحماً
لكن أمد له يدي لأقيه من

علويةً فيها العقيدة تُصهر
بالجيل يهدر سيله ويُزمر
معه، فلي معه عهد تُذكر
عثرات آراء عليه تُسيطر

* * *

سيروا فإن الدين يطلب منكم
سيروا على اسم الله إن طريقكم

سيراً به تأريخكم يتكرر
سهل، ومسلِك غيركم مستوعر

سَدَّ الطَّرِيقَ عَلَيْكُمْ مُسْتَعْمِرٌ وَلِيٌّ، فَإِنْ لَمْ تُسْرِعُوا لَنْ تُعْذَرُوا
وَتَمَسَّكُوا بِالْدِّينِ إِنَّ نِظَامَهُ فِيهِ لَنَا مَدِينَةٌ وَتَحْضُرُ
وَدَعُوا سِوَاهُ فَإِنَّهُ شَرُّكَ عَلَى أَوْطَانِنَا بِاسْمِ التَّحَرُّرِ يَنْشُرُ



وَلَدِي الْمُتَقَفِّ، سَلِ ضَمِيرَكَ إِنَّهُ أَزْكَى مِنَ الْقَوْلِ الْمَشُوبِ وَأَطْهَرُ
هَلْ جَاءَ هَذَا الدِّينُ مِنْ مُسْتَعْمِرٍ أَسْرَ الشُّعُوبِ نِظَامُهُ الْمُتَحَرِّرُ؟
أَوَلَمْ تَكُنْ لِلشَّرْقِ فِيهِ حَضَارَةٌ فِيهَا تَقْدَمُ رُكْبَةُ الْمُتَأَخَّرُ؟
أَوْ أَنَّهُ قَدْ ضَاقَ فِي تَشْرِيْعِهِ عَمَّا يَطَالِبُ جَيْلُنَا الْمُتَنَوِّرُ؟



مَوْلَايَ عَيْدُكَ هَزَّنِي فَسَكَبْتُهَا كَأَسَأَ بِهَا تَصْحُو الْعُقُولُ وَتَسْكُرُ
أَنَا مِنْ وَلَائِكَ قَدْ عَصَمْتُ حَقِيقَتِي عَمَّا بِهِ تَرُدُّ الظُّرُوفُ وَتَصْدُرُ
مَنْكَ اقْتَبَسْتُ شَجَاعَةً تَسْدِاحُ فِي وَقَفَاتِهَا مَوْجُ الْخُطُوبِ وَيَدْحَرُ
وَلَكِ الْمَوَاقِفُ لِأَذَى أَمْجَادِهَا بَدْرٌ وَحَلَقٌ فِي عِلَالِهَا خَيْرُ
(لَا سِيفَ إِلَّا ذُو الْفَقَارِ وَلَا فَتَى) إِلَّاكَ وَحْيِي فِي جِلَالِكَ يَوْثُرُ
يَا شَعْرَ صَهْ إِنَّ الْمَقَامَ مُقَدَّسٌ فَاصْمَتْ فَصْمَتِكَ مِنْ مَقَالِكَ أَشْعُرُ



الخشوع

❁ الشيخ وهب الزمران (العراق)

قال تعالى: ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون﴾ (١).



مقدمة :

الخطابات الإلهية تتناسب شدة وضعفاً تناسباً طردياً مع أهميتها ، فكلما كان الخطاب جدياً يحتاج إلى جهد ومشقة كلما كانت دائرة إختصاصه بالمؤمنين تزداد ، مثال ذلك أن غض البصر ودفع الزكاة والخمس وما إلى ذلك من التكاليف التي تحتاج إلى قدر كبير من الإيمان وضبط النفس ومجاهدتها بالإضافة إلى الإسلام خوطب بها المؤمنون

(١) الحديد : ١٦ .

خاصة كقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ (١) ولم يقل قل للمسلمين .

وإذا كان الأمر كذلك تتضح حينئذ مدى أهمية سمة الخشوع المطلوب في الآية الشريفة المشار إليها في أول الكلام ، فهي لم تخاطب المؤمنين في أول إيمانهم بل خاطبتهم بعد أن مضى عليهم شطر لا بأس به من الوقت في ممارساتهم الإيمان على مستوى التطبيق بقرينة قوله تعالى : ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي ألم يأت الأوان للمؤمنين بعد إيمانهم ، ولذا نقل عن ابن عباس قوله في سبب نزول هذه الآية الشريفة : «كان الصحابة بمكة مجذبين فلما هاجروا أصابوا الريف والنعمة فتغيروا عما كانوا عليه فقصت قلوبهم» (٢) والواجب أن يزدادوا إيماناً .

وقيل أيضاً في سبب نزولها : «إن الله تعالى إستبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة بعد نزول القرآن» (٣) .

ومن هنا تتضح الأهمية القصوى لسمة الخشوع المطلوب توفرها كميزة هامة من ميزات المؤمن ، ولذا جاءت أحاديث وأدعية أئمة أهل البيت (عليهم السلام) مشحونة بعبارات التذلل للمولى سبحانه في أن يوفقهم تعالى لهذه السمة الشريفة فقد جاء في دعاء الصباح لأمر المؤمنين (عليهم السلام) «واغرس اللهم لعظمتك في شرب جناني ينابيع الخشوع وأجر اللهم لهيبك من أماقي زفرات الدموع» (٤) وكما جاء في مناجاة المحبين للإمام السجاد (عليه السلام) «اللهم اجعلنا ممن دأبهم الارتياح إليك والحنين ، ودهرهم الزفرة والأنين ، جباههم ساجدة لعظمتك وعيونهم ساهرة في خدمتك ودموعهم سائلة من خشيتك وقلوبهم متعلقة

(١) النور : ٢٠ .

(٢) مجمع البيان ٩ : ٣٥٧ .

(٣) م . ن .

(٤) مفاتيح الجنان : ٩٧ .

بمحبتك» (١).

تعريف الخشوع :

ولذا ينبغي الإشارة - ولو على سبيل الإجمال - إلى تعريف الخشوع والأسباب الداعية إلى التأكيد عليه ثم تلمس بعض الطرق الموصلة إليه . ومما قيل في تعريفه كثير أشير منها إلى :

١ - سكون الجوارح والخوف .

٢ - غض البصر وخفض الجناح .

٣ - لين القلب للحق سبحانه والانقياد له .

ولكن التعريف الجامع لهذه التعريفات هو ما ذكره العلامة الطباطبائي في الميزان :

(الخشوع تأثر خاص من المقهور قبال القاهر بحيث ينقطع عن غيره بالتوجه إليه) (٢).

أ - عن الإمام الباقر عليه السلام قال : « كان قيام علي بن الحسين عليه السلام في صلاته قيام العبد الذليل بين يدي الملك الجليل ، وكانت أعضاؤه ترتعد من خشية الله عز وجل وكان يصلي صلاة مودع يرى أنه لا يصلي بعدها أبداً » .

وقيل لعلي بن الحسين عليه السلام - هو زين العابدين - « أين عبادتك من عبادة جدك ؟ قال : عبادتي عند عبادة جدي كعبادة جدي عند عبادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم » .

ب - في العيون عن الرضا عليه السلام : « أنه سئل لم سمي الحواريون الحواريين ؟ قال : أما عند الناس فإنهم سموا حواريين لأنهم كانوا قصارين يخلصون الثياب من الوسخ بالغسل ، وأما عندنا فسمي الحواريون الحواريين لأنهم

(١) الصحيفة السجادية : ٣٧٩ .

(٢) الميزان ، العلامة الطباطبائي ١٥ : ٦ .

كانوا مخلصين في أنفسهم ومخلصين غيرهم من أوساخ الذنوب بالوعظ والتذكير).
وقال تعالى في سورة الفتح: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على
الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في
وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل﴾.

فقوله تعالى: ﴿والذين معه...﴾ مسوق لتوصيف حال صحابة الرسول
بما فيهم رسولنا الكريم ﷺ مما يدل على مدى امتثالهم وإخلاصهم في
تطبيق أوامر الشريعة.

ج- قال في مجمع البيان ج ٥ في تفسير قوله تعالى: ﴿إنهم كانوا
يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين﴾ إن مخافة الله
ثابتة في قلوبهم وذلك لأن «الخوف جليل العارفين» كما يقول
أمير المؤمنين عليه السلام (١).

د- قال عليه السلام: «الخشوع هو التواضع في الصلاة، وأن يقبل العبد بقلبه كله على
ربه عز وجل» (٢).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «من خشع قلبه خشعت جوارحه».
وعنه عليه السلام: «ليخشع لله سبحانه قلبك، فمن خشع قلبه خشعت جميع جوارحه» (٣).

روي: «تفكر ساعة خير من عبادة سنة»، سألت العبد الصالح موسى بن
جعفر عليه السلام عن ذلك فقال: «تمر بالخربة وبالديار القفار فتقول: أين بانوك؟ أين
سكانك؟» (٤).

وكما ورد: «ليست العبادة كثرة الصلاة والصيام وإنما العبادة ذكر الموت،

(١) غرر الحكم: ٦٦٤.

(٢) مستدرک الوسائل ١٠: ٩٨.

(٣) غرر الحكم.

(٤) مستدرک الوسائل ١: ٨٨.

وأفضل التفكير ذكر الموت»^(١).

هـ - وقد ورد من كلامهم : «من كرمته عليه نفسه ؛ هان عليه دينه» و «ينابيع الحكم من الجوع وكسر عاوية النفس بالمجاهدة» .

وقال يوسف بن اسياط : «لا يمحو الشبهوات من القلب إلا خوف مزعج أو شوق مغلق» .

وقال المتنبي :

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام
وأخيراً قيل : من لم يركب الأخطار لم ينل الأوطار .

ومن هنا يتضح أن الخشوع من الصفات القلبية ولكن ينسب إلى الجوارح بنحو من العناية ولذا فهو من أفعال المبادلة أي من الأفعال التي تحتاج إلى (خاشع ، مخشوع له) بمعنى أنه لابد أن يتأثر الخاشع في قبال المخشوع له ، وذلك التأثر لابد أن يظهر حتماً على جوارحه . وقد روي عن رسول الله ﷺ : «أنه رأى رجلاً يصلي ويعبت بلحيته فقال : أما إنه لو خشع قلبه لخشعت جوارحه»^(٢) ، ولذا فإن الخاشع هو من أفرغ قلبه للحق سبحانه وأعرض عمّن سواه إعراضاً تاماً وإلا لا يسمى خاشعاً ، وخير مصداق لهذا المعنى ما نقله غير واحد من الصحابة أنه لا ترفع بقايا السهام والسيوف عن جسد أمير المؤمنين عليه السلام بعد كل غزوة إلا حينما يرى ساجداً في إشارة تامة إلى توجه كل إحساساته لرب العالمين جلّ وعلا .

الأسباب الداعية إليه :

وبعد معرفة معنى الخشوع لابد من الإشارة إلى الأسباب الداعية إلى

(١) المستدرک ح ١٧ .

(٢) ميزان الحكمة ٢ : ٧٤٥ .

ضرورة الاتصاف به سواء من ظاهر العديد من الآيات الشريفة أو صريح الروايات الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام فنقول :

١- إن الخشوع هو موضع خطاب النبي ﷺ : بمعنى أن النبي إنما يكون خطابه بصورة خاصة في التكليف لمن كان خاشعاً بقرينة قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا تَنْذَرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ﴾ ^(١) فقبل أن يتصف المؤمن بكونه مقيماً للصلاة ومواظباً عليها لابد أن ترتقي روحه إلى سمة التأثر والانقياد له ﷺ ، ولذا نجد أن إنذار النبي ﷺ ومن قبله الرسل عليهم السلام لم ينفع بالكثير من الناس لعدم تأثرهم بدعوته إلا بمن كان متسماً بسمة الخشوع ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ ﴾ ^(٢).

٢- الخشوع مفتاح العبادة الحقيقية : فبناء على التعريف المشار إليه من أن الخشوع تأثر خاص من المقهور في قبال القاهر فإن العبادة الحقيقية التي يريدها المولى سبحانه بقوله : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ ^(٣) . لا تتحقق إلا يكون العبد يتسم بهذه الصفة أمام المولى سبحانه كي يتحقق منه الانقياد الكامل له سبحانه وبالتالي تتحقق العبودية الحقّة بأجلّ معانيها .

٣- كي يكون أهل الأرض موضع أمان الله تعالى ، ولذا روي عن راهب بني هاشم الإمام الكاظم عليه السلام قوله : « مهلاً مهلاً عباد الله عن معاصي الله فلو لا بهائم رتع وصبية رضع وشيوخ رقع لصب عليكم العذاب صبّاً » ^(٤) وذلك لأن

(١) فاطر : ١٨ .

(٢) آل عمران : ١٩٩ .

(٣) الذاريات : ٥٦ .

(٤) ميزان الحكمة ٢ : ٧٤٥ .

النماذج المشار إليها في الحديث الشريف آنف الذكر إنما هي المصداق الحقيقي للعبودية الحقّة للمولى سبحانه ، ولذا فإن أمان أهل الأرض بسببها على فرض - لا سامح الله - خلق الأرض من قلوب خاشعة له سبحانه ، ولذا استعان مولانا السجاد عليه السلام بالله تعالى من خلق قلبه الشريف بل كل قلب من سمة الخشوع : «وأعوذ بك من نفس لا تقنع ومن بطن لا تشبع ومن قلب لا يخشع»^(١) .

صفات الخاشعين :

يمكن استخلاص مجمل صفات الخاشعين بعد التمعن في جملة من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة :

١ - أنه لا بد من توفر سمة الإسلام أولاً ثم الإيمان المقرون بالعمل الصالح ثانياً ، وعندها يمكن أن ترتقي نفس العبد إلى سمة الخشوع وهذا ما أشار إليه صادق أهل البيت عليهم السلام : «لا إيمان إلا بعمل ولا عمل إلا بيقين ولا يقين إلا بخشوع»^(٢) .

٢ - مراقبة الله في السر والعلن .

٣ - ركوب الجميل .

٤ - التفكير ليوم القيامة .

٥ - كثرة المناجاة لله تعالى . ويجمع هذه الصفات قول المصطفى صلى الله عليه وآله :

«أما علامة الخاشع فأربعة : مراقبة الله في السر والعلانية وركوب الجميل والتفكير ليوم القيامة والمناجاة لله سبحانه»^(٣) .

(١) مفاتيح الجنان : ٤٠ .

(٢) بحار الأنوار ٧٨ : ٢٨٢ .

(٣) تحف العقول : ٢٠ .

الوسائل التي توصل إلى الخشوع :

في الحقيقة ان ما سأشير إليه ليست وسائل موصلة للخشوع وإنما هي وسائل توصل إذ لعلها توصل إلى الخشوع ، لأن الخشوع هبة ربانية تحتاج إلى وعاء نقي طاهر وذلك من توفيق الله وتسديده ، ولكن هذه الوسائل تعين العبد وتجعله في مقام يستحق بلطف الله تعالى فيضاً إلهياً :

١- معرفة الحق سبحانه : بمعنى دراسة المفاهيم الإسلامية (عقيدة ونظماً) دراسة عميقة توصل إلى حياة العقل ، ولذا جاء في المأثور : «العقل الحي هو العقل الخاشع» ومعلوم أن حياة العقل إنما تكون بالعلم والعلم وحده بقرينة قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (١) حيث حصر تعالى الخشية منه سبحانه بالعلماء فقط لأنهم (وحدهم الذين يتأثرون حقاً بآيات الله يورثهم الإيمان به سبحانه والخشية منه بتمام معنى الكلمة .. والمراد طبعاً بالعلماء المشار إليهم في الآية الشريفة الذين يعرفون الله تعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله معرفة تامة تطمئن بها قلوبهم وتظهر آثارها في أعمالهم فيصدق فعلهم قولهم) (٢).

٢- إماتة النفس : وذلك بمجاهدتها ورياضة البدن وممارسة العلوم الإلهية وإن إحتاج الأمر إلى نظر دقيق وجهد شاق ووقت طويل ؛ فإنه يستسهل الصعب في طلب المعالي ، وأما من كانت نفسه بأصل فطرتها ميالة إلى كل ماهو روحاني - وما أقلهم في أيامنا هذه - فمثل هذا هو في نعمة عظيمة لا يحتاج في قطف ثمارها إلا مرافقة أهل العرفان والتقوى .

(١) فاطر : ٢٨ .

(٢) الميزان ١٧ : ٤٣ .

٣- استدرار الدموع عند الدعاء والصلاة: وذلك لأن خروج الدمعة من العين آية الخشوع وإن كان تباكياً استناداً لما روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «إن لم يجبك البكاء فتباك، فإن خرج منك مثل رأس الذباب فببخ بخ»^(١). وكما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «البكاء من خشية الله ينير القلب ويعصم من معاودة الذنب»^(٢).

٤- الاستغاثة بالخلوة مع الله تعالى: وذلك لأن الخلوة إنما كانت سمة من سمات الأبرار كما جاء في قول أمير المؤمنين عليه السلام وهو يمدح الأبرار: «قد أخلتهم التقية»^(٣) لأن في الخلوة صفاء للنفس وارتقاء بها إلى درجات كمالية تستأنس عندها بالرقيب الحبيب فتتكشف أمامها الحجب التي صنعتها صخب الحياة الدنيا بكل مادياتها.

٥- الحزن: وهو من أوصاف أهل السلوك إلى الله تعالى وذلك بأن يتذكر دوماً ما كسبت يده من المآثم والتقصيرات في جنب الله تعالى، ولذا ورد في بعض كتب النبوات القديمة (إذا أحب الله عبداً نصب في قلبه نائحة، وإذا أبغض عبداً جعل في قلبه مزماراً)^(٤). ولذا روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه كان متواصل الأحزان دائم الفكر. وفي الخبر النبوي: «إن الله يحب كل قلب حزين» وقال بعض السلف (أكثر ما يجده المؤمن في صحيفة أعماله الحزن والهم).

٦- الإكثار من قيام الليل والصوم والإعتكاف: وذلك لما ورد في مثل هذه الأعمال من الآثار الجمّة التي تتركها في النفس قبل البدن

(١) بحار الأنوار ٢٣: ١٤.

(٢) غرر الحكم: ٢٠٥١.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١١: ١٩٣.

(٤) م. ن.

حيث ترتقي النفس في أجوائها إلى سماء رحبة واسعة تتحرر فيها من أسر القيود والمادة وبها تتحقق الآمال في الانعتاق من براثن الحياة الدنيا .

قال عليه السلام : «المعتكف يعكف الذنوب ويجري له من الأجر كأجر عامل الحسنات كلها»^(١) .

قال أمير المؤمنين عليه السلام : «قيام الليل مصحة للبدن ومرضاة للرب عز وجل وتعرض للرحمة وتمسك بأخلاق النبيين»^(٢) .

وعن الإمام الباقر عليه السلام : «الصيام والحج تسكين للقلوب»^(٣) .

وعن الإمام الصادق عليه السلام : «الصوم جنة من النار»^(٤) .

وقد ذكر أرباب العرفان مقامات تقرب من أربعين منزلاً لكل منزل منها آداب خاصة ينبغي لسالكها التحلي بها ، وقد ذكروا أن أولها بل مفتاحها هو (التوبة) ذلك لأنها مفتاح الفلاح بقريضة قوله تعالى : ﴿وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾^(٥) ثم منزل مجاهدة النفس والعزلة والخلوة ، ثم منزل التقوى والورع والزهد ، ثم الصمت والخوف والرجاء والجوع وترك الشهوات ، ثم الخشوع والتواضع ومخالفة النفس والقناعة والتوكل والشكر واليقين والصبر والمراقبة والرضا والعبودية والارادة والاخلاص والحياء والذكر والفراسة وحسن الخلق والكرامات والجلود والسخاء والغيرة والولاية والدعاء والمناجاة والتأسي والمحبة والشوق .

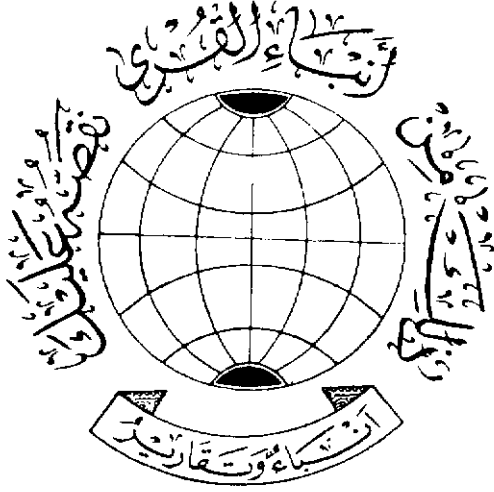
(١) كنز العمال ٨ : ح ١٢ .

(٢) بحار الأنوار ٧٨ .

(٣) أمالي الطوسي .

(٤) الكافي : ٤ .

(٥) النور : ٣٧ .



نافذة نطلّ منها على أحوال المسلمين وأتباع أهل البيت (عليه السلام) في أنحاء العالم من خلال ما يصلنا من أخبار وتقارير .

□ الجمهورية الإسلامية في إيران

والانتفاضة مستمرة...

فلسطين في فكر القيادة

الإسلامية الإيرانية .

«مقارنة أمدّها أربعة عقود»

«الجمهورية الإسلامية

الإيرانية تواصل بكل فخر

واعتراز دعمها وتأييدها لهذه

الحركة المقدسة» .

لم تكد الانتفاضة الفلسطينية

تستعر، حتى بادرت طهران إلى

تقديم دعمها على طبقٍ من

الإخلاص وعلى لسان أعلى

المستويات في البلاد قائد الثورة

الإسلامية آية الله العظمى السيد

علي الخامنئي (دام ظله) الذي



أصدر بياناً بالمناسبة شدّ فيه على أيدي المجاهدين الفلسطينيين بقوة وبشّرههم بنصر من الله، وناشد الدول الإسلامية جميعاً إلى النهوض بالمسؤوليات الملقاة على عاتقها في نصرة الشعب الفلسطيني وهو يهب لنجدة القدس ولرفض الاحتلال الصهيوني . العبارة أعلاه هي جزء من البيان الذي أصدره سماحته بالمناسبة في السادس من رجب ١٤٢١ هـ . ق .

ولم يكن هذا البيان ، رغم تخصيصه الوحيد من مفردات الخطاب الصادر عن القيادة الإسلامية في ايران طيلة الفترة التي سبقت أو التي تلت بداية الانتفاضة ، ذلك أن كلمة فلسطين ربما لم تسقط من أفواه القيادة في الجمهورية الإسلامية على اختلاف مستوياتها منذ انتصار الثورة بل وقبلها بسنوات طويلة حينما كان الفلسطينيون ينظمون صفوفهم على شكل حرب فدائية

لتحرير الأرض السلبية ، حيث لم تبخل قيادة الثورة آنذاك ، ويومها لم تكن معروفة بهذه الصورة بتقديم العون وإصدار الفتاوى لصالح الشعب الفلسطيني المسلم وهو ما سنعود إليه لاحقاً .

وعبر البيان المذكور تحدث سماحة القائد في أكثر من مناسبة في الإشادة بالانتفاضة الفلسطينية وبحركتها التي باركها ، بل استخدم مفاهيم راسخة في العقل الثوري في ايران تسترجع إلى الذهن عوامل الانتصار التي حققها الشعب طوال العقدين الماضيين أو أكثر لا سيما أثناء الحرب المفروضة التي استمرت ثمانية أعوام ، ذلك هو مفهوم التعبئة الشعبية التي أبلى أفرادها في الحرب بلاءً حسناً ، وحققوا أكثر من انتصار في ساحات الوغى ، وحينما يستخدم قائد الثورة الإسلامية هذا المفهوم مع الانتفاضة الفلسطينية فهو إنما يريد أن

يقول: إن حركة الأمة التعبوية هي التي يمكن أن تخط الطريق وترسم النهج المطلوب نحو تحقيق النصر الإلهي المؤزر ، يقول سماحته في إجتماع حاشد قرب طهران مع أفراد التعبئة ضم أكثر من مائة ألف شخص : «في فلسطين أيضاً تعبئة ، التعبويون الفلسطينيون استقطبوا اهتمام العالم . فحينما كان مصير القضية الفلسطينية موكولاً إلى عدة سياسيين دون أن يكون للشعب دور فيها ولا للشباب كلمة فيها ، لاحظتم النتيجة : ذلٌ بعد ذل وتنازلٌ بعد آخر ، وترك الميدان للعدو وصول فيه ويجول ، وإخلاء المواقع الواحد بعد الآخر لصالح العدو المتغطرس الوقح ... حينما أبعد الشعب عن ساحة المواجهة تراجعت القضية الفلسطينية إلى الوراء عشرات السنين» .

وإلى جانب الحالة التعبوية التي يركّز عليها قائد الثورة الإسلامية في حركة الشارع

الفلسطيني ، فهو يشير إلى مرتكز آخر لا يقل أهمية ، ألا وهو الانطلاق من بعد ديني إسلامي في المطالبة بالحق ، وهذا بلا شك مسار في الاتجاه الصحيح من أجل تحرير الأرض وطرده الغزاة ، لأن العمق الديني أكثر فاعلية في بلورة أي عمل ، والعامل الايماني أكثر قوة وأشد زخماً في تعبئة الأمة نحو هدف مقدس ، ولهذا فليس من العجيب أن يستهل الشاب الفلسطيني اليوم لغة الشهادة ويفخر بها كما تفخر بها الامهات ويفخر بها الآباء ، ولا يبالي هذا الشعب وهو يقدم يومياً المزيد من الشهداء في أعمار الزهور كأنما يعلم علم اليقين بأن شهداءه يزفون إلى الجنة وأن الشهادة وسام فخر على جبين الفرد المسلم ، خاصة إذا كان ينال الشهادة على يد أسوأ الخلق الصهاينة المحتلين ، وليس من الغريب أن يتقدم الشاب بحجارته ويصمد بوجهه الأسلحة الثقيلة

دون أن يخشى الموت لأنها شهادة في سبيل الله يتذوقها حتى قبل أن يصرج بدمه . وهذه الحالة الجديدة التي بدأت في انتفاضة الحجر الأولي لا يمكن أن تُقارن بأي وجه من الوجوه مع النضال الفلسطيني الذي اعتمد البعد الوطني القومي منهاجاً لنضاله رغم الاخلاص للقضية من قبل الكثير من أبناء الشعب الفلسطيني الذين عايشوا تلك البرهة الزمنية .

يقول آية الله العظمى السيد علي الخامنئي (دام ظله) في كلمته إلى جمع من التعبويين في طهران: «منذ اثني عشر عاماً أو ثلاثة عشر انطلق الفلسطيني المسلم في حركته من المفهوم الإسلامي ، وعلى الفور أدرك العدو الصهيوني ومن ورائه أميركا الخطر الداهم ، وفكرا بضرورة القضاء على هذه الحركة لأنها اعتمدت الإسلام كأسلوب للعلاج» .

وهنا يؤكد سماحته بأن محاولات تصفية القضية وضرب الانتفاضة لم تعد مجدية بعد الآن ، لأن لواءها يحمله جيل جديد واع لا يمكن خنق صوته المتفجر : «ليس من البساطة التصور أنه يمكن إزالة شعب كامل من الوجود واحلال الشتات محله ، فالشعب الفلسطيني شعب عريق له ثقافته وتاريخه وحضارته وقدمه» .

وكما في ايران أيام الثورة وابان الحرب المفروضة حينما كان الشهداء يمثلون شموعاً وقادة تضییء للآخرين الدرب ، وتضخهم بالعزم اللازم في مواصلة الطريق إلى نهايته ، فإن شهداء الانتفاضة - وكما لاحظنا - أصبحوا المحفز للشعب الفلسطيني في حركته ، وخروج التشييع للشهداء لم يكن تعبيراً للحزن فحسب وإنما تفجير للغضب الجماهيري ضد المحتل الغاصب والعدو الشرس ، وأصبح «دم الشهيد يسقي شجرة

الثورة الفلسطينية» كما يقول سماحة القائد، وهو بحث «الاخوة والأخوات في فلسطين على مواصلة الجهاد والصمود، لأن أيّ شعب لا يستطيع أن يستعيد شرفه وهويته واستقلاله إلا بالجهاد الدؤوب، والشعب الضعيف لا يستطيع أن يستعيد أيّاً من حقوقه بالتوسل والطلب». وبطبيعة الحال فإن هذه المواقف ليست وليدة يومها وإنما تعود إلى تاريخ الثورة، بل إلى تاريخ كبار شخصياتها التي لم تترك مناسبة إلا وانسبرت للدفاع عن القضية الفلسطينية من خلال الموقف والكلمة والمال والرجال، بل كان هناك نوع من وحدة الهدف ابان الجهاد الذي خاضه الشعب الإيراني المسلم قبل انتصار الثورة الإسلامية ضد نظام الشاه، فيوم خطب الإمام الخميني (رحمه الله) في المدرسة الفيزية أواسط عام ١٩٦٣م حذّر من الخطر الاسرائيلي على العالم

الإسلامي ككل وليس على المنطقة وحسب، واستمرت هذه المواقف لأحداث فلسطين لدى الإمام الراحل جنباً إلى جنب اهتمامه بقضية شعبه في ايران، وتوزع جهاده على القضيتين معاً، بل أكد على وجود نوع من العلاقة المصيرية بين نظام الشاه وبين الكيان الصهيوني في نفس كلمته التي ألقاها في الفيزية. وفي مناسبات أخرى دعا سماحته الدول الإسلامية إلى الوحدة من أجل فلسطين، وحرّم كل أنواع العلاقة السياسية والاقتصادية والعسكرية وغيرها مع اسرائيل، ففي نداء وجهه بتاريخ ٧ حزيران ١٩٦٧م حث البلدان الإسلامية أولاً لتوحيد صفوفها، ووصف اسرائيل بأنها «عنصر الفساد في قلب العالم الإسلامي»، وأضاف: «بهمة جميع البلدان والشعوب الإسلامية يجب العمل على اقتلاع اسرائيل.. ودعم اسرائيل بأية صورة كبيع الأسلحة والنفط

محرم .. والعلاقة معها تجارية كانت أم سياسية محرمة وهي خلاف الإسلام ، وعلى المسلمين الامتناع عن استخدام البضاعة الاسرائيلية ...» .

وقد جاءت هذه الفتوى بشكل مبكر، وكأن الإمام الراحل كان يعلم بأن بعض الدول الإسلامية والعربية ستقيم هذه الانماط من العلاقة مع الكيان الصهيوني ، فأراد أن يخلق هذا الباب ويجعل الحكام الذين يفكرون بهذه الروابط في تقاطع مع الإسلام ومع الشعوب التي تسدين بالإسلام، وبالفعل فقد حصل هذا الأمر في انتفاضة الأقصى الحالية حينما رأت بعض الدول العربية ، التي أقامت في وقت سابق نوعاً من العلاقات السياسية والتجارية مع تل أبيب ؛ أنها في وادٍ وشعوبها في وادٍ آخر، ورأت أنها مضطرة تحت ضغط الشارع إلى وضع حد لهذه العلاقات .

ولم يقتصر الدعم الذي أطلقه

الإمام الخميني قبل الثورة عند حد الفتوى المعنوية ، إنما تعداه إلى الدعم المادي حينما أوجب دفع جزء من الزكوات والحقوق الشرعية إلى المجاهدين الفلسطينيين : «من المناسب جداً بل من الواجب تخصيص ما يكفي من الحقوق الشرعية كالزكوات وسائر الصدقات إلى المجاهدين في سبيل الله .. المجاهدين الذين يقاتلون في معارك التضحية للقضاء على الصهيونية الكافرة ، ويسعون لإحياء وإعادة المجد والشرف الإسلامي المفقود . ويجب على كل مسلم يؤمن بالله ويوم الجزاء أن يستخدم ما بوسعه من أجل تحقيق هذا الأمر حتى ينال احدئ الحسنيين الشهادة أو النصر» .

وفي نفس المقابلة التي أجريت معه في سنة ١٩٦٨م حث أفراد الأمة على التوجه إلى خط النار للثأر وإزالة وصمة العار» وقتال العدو الصهيوني حتى النصر

الذي بشر به الله تعالى: ﴿نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين﴾ .

وبين الزمنين: أوائل الستينات حيث بواكير النهضة الإسلامية في ايران بقيادة الإمام الخمينيؒ وارهاسات الثورة التي قادها الإمام إلى ساحل النصر عام ١٩٧٩م ، وأوائل قرن جديد بعد مضي أكثر من عقدين على انتصار الثورة وما رافقها من تغييرات في المنطقة ظل الخطاب الذي أطلقه قيادة الثورة الإسلامية واحداً ، ليس على صعيد الإمام الراحل وسماحة القائد الخامنئي وحسب وإنما على مستوى كافة قيادات الثورة والدولة قبل الانتصار وبعده ، وقد حصرنا الكلام في مرحلتين تاريخيتين لنتبين الامتداد الطبيعي للموقف الثابت بين البداية حتى هذه اللحظة وإلى المستقبل ، ولا شك في أن الخوض في تفاصيل الموقف عبر هذه العقود الأربعة تقريباً يتطلب

عشرات المجلدات من الكلام لكي يستوعب كل ما قيل حول فلسطين والقضية الفلسطينية في شتى تفرعاتها وعلى مدى تاريخها .

* * *

□ فلسطين :

انتفاضة الأقصى : أخطاء الزعامات

حينما انطلقت شرارة الانتفاضة في الأقصى المبارك وانتشرت إلى كل الأرض الفلسطينية المحتلة حتى تلك التي احتلت عام ١٩٤٨م تصور الساسة بأنه يمكن اسدال الستار على هذا الفصل من حركة الشعب الفلسطيني بشيء من القوة مع شيء من المفاوضات والاجتماعات والقمم الثنائية والثلاثية ، والرباعية .

ولما ارتفع صوت المواطن الفلسطيني بالاحتجاج على تدنيس مقدساته ربما فكر

العاملون في دهايز السياسة وأقبية المخابرات والممتطون ظهور الدبابات بأن المسألة لا تحتاج إلى كثير جهد لإسكات هذا الصوت بعلاجه بواحدة من تلك الخيارات : إما عبر حوار المفاوضات على موائد شرم الشيخ أو كامب ديفيد أو واشنطن أو أية بقعة أخرى يمكن أن تستضيف أمثال هذه الاجتماعات، أو عبر القذيفة والرصاص والصاروخ.

وحالما أطلقت هتافات التكبير والتهليل المنبعثة من أفواه المصلين الخارجين من القدس الشريف ومن كل المساجد في الأرض المحتلة في الجمعة التي تلت خميس الزيارة الشؤم التي دنس بها اريل شارون المسجد الأقصى ؛ اعتقد المحتل أنه كسب الجولة وأصبحت بيده الورقة الراححة وأنه أصبح قاب قوسين أو أدنى من إنهاء القضية الفلسطينية وإلى الأبد

بالاستحواذ على المدينة المقدسة واعطاء نوع من الحكم الهزيل للفلسطينيين على قطاع غزة والضفة الغربية مع اشراف اسرائيلي كامل، دون أن تكون هناك دولة بالمعنى الحقيقي، وأن الفصل الأخير قد اتقن بأحكام لتحقيق هذا الهدف بعد أن فشلت قمة كامب ديفيد في تحقيق المطلوب اسرائيلياً وأميركياً.

لقد أخطأ الاسرائيليون أكثر من مرة في هذا الاخراج الذي أريد له أن يضع حداً لكل القضية وبكل تفاصيلها من لاجئين ومشردين وقدس ومياه ودولة مستقلة ، وأول الخطأ أنهم ساووا بين المفاوضات الفلسطينية وبين المواطن الفلسطيني، بل ربما اعتبروا الثاني أضعف من الأول لعدم امتلاكه لغة الحوار التي يمتلكها أو لغة القوة التي تتطلب السلاح ، وقد أخرجوا عن حساباتهم لغة الإرادة ولغة الحجارة التي هي أقوى بكثير من

أحدث أنواع الدبابات التي كانت تقصف كل يوم رام الله وبيت ساحور وغزة وغيرها من المناطق الفلسطينية ولكن دون أن تفت في ارادة هذا الشعب .

وثاني الأخطاء أنهم أسقطوا من حساباتهم غيرة المسلم على دينه حينما ارسلوا شارونهم إلى الأقصى متصورين أنها زيارة عادية ستمر دون حساب من الشارع الفلسطيني الذي أثبت عكس ذلك، وأنه غير مستعد للتنازل عن مقدساته ولو بهذه الطريقة، زيارة يقوم بها شارون، وعليه فإن تل أبيب لابد وأن تحسب ألف حساب بعد الآن إذا أرادت الاستمرار في احتلال هذه المدينة المقدسة وضمها إلى الدولة العبرية عملياً .

وثالث الأخطاء أنهم راهنوا على استمرارية الانتفاضة وامكان انهاؤها في أسرع ما يمكن باستخدام أكثر من أسلوب بين التفاوض والعنف - كما أسلفنا -

دون أن يعتبروا من انتفاضة الحجر الأولى التي كلفتهم أخيراً الجلوس مع بعض القادة الفلسطينيين الذين اختاروا منهج التساوم رغم أنهم أخذوا أكثر بكثير مما أعطوا .

ورابع الأخطاء أنهم أمعنوا في استخدام العنف والقسوة دون أن يدركوا أن ذلك من شأنه أن يساعد على صلابة الفرد الفلسطيني المؤمن الذي لم يعد لديه ما يخسره ولكن لديه الكثير مما يكسبه هو أو امتداداته عبر الأجيال اللاحقة ، ورغم الفارق بين الحالتين لكننا لازلنا نتذكر انتصار الثورة الإسلامية في ايران وفي تفاصيلها أن القتل والعنف الذي استخدمه النظام الملكي ولّد قدرة المقاومة والتحدي لدى الشعب ، وانهارت امبراطورية الشاه رغم آلتها العسكرية القوية أمام ارادة الشعب. وفي التاريخ الحديث جداً تجربة لبنان الذي قاوم رغم

ضعفه في الآلة العسكرية قياساً إلى إسرائيل وحقق ما لم تستطع أن تحققه الدول العربية مجتمعة أو متفرقة في أكثر من حرب خاضتها مع العدو الصهيوني .

وخامس الأخطاء أنها لم تحسب للشعوب العربية والإسلامية حساباً ، وأخرجت الأنظمة الرسمية، حيث بدا التقاطع واضحاً بين مطالب الجماهير العريضة وبين مراكز القرار في بعض العواصم ، فبينما كانت الشعوب تطالب بالحد الأدنى ألا وهو العودة إلى القطيعة مع تل أبيب رأت الأنظمة نفسها محرجة بين أن تلبي هذه المطالب وتوازن في الدبلوماسية الخارجية مع واشنطن ومع تل أبيب، خاصة إذا علمنا أن علاقات بعض هذه الدول كالأردن مثلاً تعود إلى أوائل تأسيس الدولة العبرية - وبالطبع - دون أن تكون هناك معاهدة سلام أو ما شابه .

وقد ظهر هذا التجاذب الشعبي

الرسمي على أشده في القمة العربية الطارئة التي عقدت في القاهرة والتي لم ترض حتى بعض الرسميين العرب ولم ترق إلى الحد الأدنى من ارادة الجمهور العربي والإسلامي العريض ، بل لم تؤدّ حتى الهدف الذي عقدت من أجله .

حالة الحرج هذه كادت أن تجعل بعض الأنظمة العربية في مرتبة واحدة مع العدو ، حينما أقدمت هذه الأنظمة على قمع حركة الشارع العفوية ، حينما رأت أن فيها تهديداً لها، لأنها أصبحت سداً بوجه الشلال البشري الهادر المتطلع إلى المشاركة في التحرير والانضمام إلى رماة الحجارة الفلسطينيين ، ليس في الوجدان فحسب وإنما في الفعل الحقيقي أيضاً . ولهذا تحول الصراع إلى مواجهة أنظمة وهو صراع خطير قد يقلب موازين القوى لو تطور إلى حركة مطلوبة بتغيير هذه الأنظمة

القائمة.

الطرف الآخر الذي لم يكف عن ارتكاب الأخطاء بعد الأخطاء هي القيادات العربية المعنية بما يجري في فلسطين بشكل مباشر التي لم تستطع أن تواكب الأمة في حركتها نحو استعادة العز، حيث أخطأت أولاً حينما أبقت الباب مفتوحاً أمام قادة العدو واستقبلتهم على الأرض العربية، حينما كان جيش العدو لا يرحم صغيراً ولا كبيراً، وحينما كان محمد الدرة يترنح شهيداً في أحضان أبيه وحينما كان الطفل الفلسطيني يضرع برصاص الاحتلال، وإذا زعمت بعض هذه القيادات بأنها استقبلت من أجل الإصلاح وإنهاء الوضع الاستثنائي فهي أخطأت ثانية حينما نصّبت نفسها طرفاً محايداً، يحاول إعادة المياه إلى مجاريها، لأن من العيب أن تتخذ جانب الحياد في مثل هذا الصراع المصيري الذي يرسم مستقبل أمة

مظلومة . وأخطأت ثالثة حينما عقدت قمتها لكنها كانت مخيبة للآمال تماماً حتى قراراتها جاءت دون المستوى المطلوب، ولم تفعل شيئاً للشعب الفلسطيني الذي ينهض لوحده بمسؤولية المقاومة والتحرير والاستقلال، وحتى الزعامات التي أطلقت شعارات ثورية ولم تعجبها قرارات القمة لم تفعل شيئاً على المستوى العملي سوى التمسك ببعض الأمور الشكلية، وحاولت أن تقطف نصيبها من ثمار الانتفاضة.

واخطأت مرة رابعة حينما أطلقت لرجال أمنها العنان في مواجهة المسيرات الشعبية المؤيدة للفلسطينيين وقمعها، وحاولت كبح جماح فورة الجمهور وتطلعه إلى مساندة اخوانه في الأرض المحتلة، فيما كان باستطاعتها أن تواكب حركة الشارع وتكسب المزيد من الشرعية، لأن القضية الفلسطينية

من الوسعة والأهمية بحيث
تستطيع أن تمنح الشرعية حتى
للحاكم المعزول إذا استثمر
الأزمة لصالحه كما فعل بعضهم ،
أما أن يمنع حتى الصوت من إبداء
الرأي في الدعم فهو ليس مجرد
خطأ وإنما جريمة لا تغتفر ستدفع
ثمناها القيادات عاجلاً أم آجلاً ،
وسيسجلها التاريخ في سود
صفحاته . وأخطأت خامسة
حينما أبقت على الوجود
الاسرائيلي السياسي والتجاري،
رغم أن البعض تدرك
الأمر.

إن الطرف الإسلامي
(الزعامات) هو المعني الأساسي
الآخر في انتفاضة الأقصى إلا أن
حركته هو الآخر تراوحت بين
التخاذل والبطء وبين الانضمام
إلى الصف المعادي كما في حال
تركيا وغيرها ، رغم أن كلمة
الشعوب هي غير مواقف
القيادات.

فما ارتكبه بعض سياسة

البلدان الإسلامية يخرج كذلك عن
كونه مجرد خطأ، إنما يصب في
خانة الخيانة من خلال اصطفاها
إلى جانب العدو وعدم مبالاته بما
يجري على الساحة الفلسطينية .

وربما كان الموقف الدولي
أسوأ المواقف على الإطلاق حينما
لم يحرك ساكناً، وهو يرى
بالصوت والصورة مدى العنف
الذي يستخدمه الاحتلال في قمع
شعب أعزل ، ولم تنبس
مؤسساته ومنظماته ببنت شفة
دفاعاً عن المظلوم ، ولم تحرك
وجدانها صور مئات الضحايا
وآلاف المصابين برصاص العدو
الاسرائيلي ، ذلك أن الوضع
الدولي قائم أساساً على الخطأ ،
وهو يتحرك في إطار منطق القوة
المفروض عليه وليس منطق
العدالة المفترض ، وإلا فما بال
أمين عام الأمم المتحدة يسارع
لزيارة المنطقة ثم ينبري للدفاع
عن ثلاثة جنود اسرائيليين وقعوا
في أسر حزب الله في لبنان

بغرض مبادلتهم بالعشرات في سجون الاحتلال منذ سنوات ، فيما لم يكلف نفسه عناء الحديث ولو بكلمة واحدة لصالح الشعب الفلسطيني ؟ وهكذا الأمر بالنسبة للموقف الغربي الذي يتشكل منه الموقف الدولي عادةً ، فهو قد ساوى بين الجزار والضحية في قاعدة واضحة يعتمد عليها الغرب في التعامل مع مجمل قضايانا الإسلامية مما لا يحتاج إلى المزيد من التفصيل .

وبين هذا الكم الهائل من الأخطاء هناك موقف واحد يتقاطع مع كل هذه الأساليب : إنها حركة الأمة التي تطلب من ورائها استعادة مجدها وعزها وأرضها السليبة ، حركة صائبة تماماً يقف في طليعتها الشعب الفلسطيني الرابض في عرينه والذي يسجل تاريخه بالحجارة المقدسة بعد أن عزّ عليه السلاح . الموقف الصائب هو ما يفعله الفتى الفلسطيني وهو يلاحق جنود

الاحتلال بمقلعه .. الموقف الصائب للأمة الفلسطينية التي تقدم أفلان كبداء فداءً للدين والوطن، ثم تخرج بنفسها إلى الجهاد ضد أبغض الخلق إلى الله . الموقف الصائب لتلك الحناجر التي لا تملك سوى أن تهتف الله أكبر وهي تواري شهداءها الثرى .. الموقف الصائب لأولئك الصابرين على خط النار الذين لن يهمهم نزف الجروح طالما لم يندمل الجرح الإسلامي في فلسطين . والموقف الصائب هو للأمة في حركتها المقدسة الأخيرة النابعة من فطرتها السليمة .

* * *

□ كشمير :

كشمير .. بين المقاومة والانتظار

المل ..

آخر التطورات التي وصلت إليها القضية الكشميرية التي

تربض على بركان قابل للانفجار .
فقد رفض مجلس الوزراء
الهندي مؤخراً الطلب المقدم من
المجلس التشريعي الكشميري
الذي يطالب بمنح إقليم كشمير
حكماً ذاتياً طبقاً للمادة ٣٧٠ من
الدستور الهندي ، والمتابع للشأن
الكشميري يعتبر أن هذا الحدث لم
يكن مهماً إلا أنه يظهر مدى
المأزق الذي وصلت إليه القضية
الكشميرية والتي بلغت من العمر
٥٣ عاماً دون أي حل لها وطي
صفحات تلك القضية بكل
معاناتها .

فأقليم جامو وكشمير
الخاضع للهند يشهد انتفاضة
شعبية ومقاومة مسلحة منذ عام
١٩٩٠م من قبل فصائل المقاومة
المسلحة الكشميرية والتي تطالب
بتطبيق قرارات الأمم المتحدة
والقاضية بمنح الأقليم حقه في
تقرير مصيره بإجراء استفتاء
شعبي يقرر بموجبه الشعب
الكشميري مصيره وحقه في

البقاء ضمن الدولة الهندية، أو
الانضمام إلى الباكستان . حيث
أن قرار الأمم المتحدة القاضي
بتقسيم شبه القارة الهندية عام
١٩٤٧م كان يقضي بانضمام
المناطق ذات الغالبية السكانية
المسلمة إلى الكيان الإسلامي
الجديد، ولكن كشمير منعت من
هذا الحق . وشهدت نزاعات
مسلحة تسببت في وقوع حربين
بين الهند وباكستان راح ضحيتها
آلاف القتلى والجرحى من
الجانبين، مما أدى إلى سيطرة
الباكستان على ثلث الاقليم وبقاء
ثلثي الاقليم تحت السيطرة
الهندية التي سعت إلى قمع
المقاومة الشعبية المسلحة في
كشمير واخماد وهج الانتفاضة،
مما أدى إلى سقوط مزيد من
القتلى والجرحى من الجانبين،
حيث تكبدت الهند خسائر جسيمة
استنزفت مواردها وسببت لها
جرحاً دامياً . ونتيجة لهذا العمل
الذي قامت به المقاومة الإسلامية

الكشميرية حيث استولت على مناطق استراتيجية مهمة في مرتفعات كارجيل الواقعة ضمن مناطق كشمير الخاضعة للسيطرة الهندية كادت الأمور تؤدي إلى حرب شاملة بين الهند والباكستان في صيف عام ١٩٩٩م واتهمت الهند الباكستان بأنها وراء العمليات المسلحة التي قامت بها المقاومة الكشميرية والتي سقط خلالها ٢٠٠٠ جندي من القوات الهندية خلال شهرين فقط، مما أدى بالهند إلى التهديد باجتياح مناطق باكستانية وإعلان حرب لا يضمن بها استخدام الأسلحة النووية .

والمستتب لأهم الأحداث والتواريخ المهمة في تاريخ المقاومة الكشميرية يرى عملية الانفراج مرة والمطالبة بالحرية والحكم الذاتي مرة أخرى، ويشاهد أيضاً الوعود التي لا تجلب شيئاً للشعب الكشميري .

ففي عام ١٩٥٢م تم التوصل

إلى اتفاق بين رئيس الوزراء الهندي السابق (نهر) وبين شيخ عبدالله رئيس وزراء كشمير بأن قضية كشمير وانضمامها إلى الهند من شأن المجلس الدستوري الكشميري، بينما يتم اعتماد الدستور الهندي في أمور أخرى، مثل: حقوق المواطنة والحقوق السياسية وسلطة الحكم العليا وتقسيم السلطة المحلية للكشميريين بين الحكومة الهندية المركزية وحكومة الاقليم .

وفي عام ١٩٥٣م تم تنحية شيخ عبدالله من رئاسة الوزراء وسجنه وتنصيب حكومات كشميرية فتحت من خلالها الأبواب على مصراعيها للتعاون بينها وبين الحكومة المركزية، حيث امتدت إلى عام ١٩٦٣م في حكومة غلام محمد بخش الذي تم خلالها ادخال الأنظمة الادارية وانظمة الشرطة والخدمات فقد ادخل المادة (٣٥٦ و ٣٥٧) من

الدستور الهندي والتي تتضمن اعلان حالة الطوارئ في حالة فشل الحكومة الكشميرية في تسيير الامور، حيث أصبحت الامور التي كانت تتمتع بها كشمير تتآكل رويداً رويداً . فقد تمت مصادرة تسمية رئيس الوزراء إلى كبير الوزراء وكذلك تم اصدار مرسوم دستوري وسعت من خلاله السيطرة الهندية على إقليم كشمير .

وفي عام ١٩٨٦م طبقت المادة (٢٤٩) من الدستور الهندي على كشمير حيث تمنح هذه المادة البرلمان الهندي حرية التدخل في أي قضية من قضايا الاقليم، وبذلك فقدت حكومة كشمير شرعيتها أمام الشعب الكشميري الذي أصبح يراها أداة بيد حكومة نيودلهي المركزية .

ومن كل هذا أريد للمقاومة المسلحة أن تتخلى عن مواقفها وحقوقها المشروعة، وأصبحت القضية الكشميرية قضية معقدة

ومتداخلة الأطراف ابتداءً بالشعب الكشميري نفسه وفصائل المقاومة ومروراً بباكستان وانتهاءً بالهند، فقد كان موقف الجميع رافضاً لمطالب الحكم الذاتي باستثناء الحكومة الكشميرية وبرلمانها الذي يسيطر عليه حزب المؤتمر القومي الحاكم الموالي للهند .

فعلنى صعيد الشعب الكشميري وفصائله المعارضة يرى أن الحكم الذاتي لا يلبي طموحاته ، فهو لم يخض الحرب المسلحة وقدم عشرات الآلاف من الضحايا والجرحى من أجل حكم ذاتي محدود يظل رهيناً للهيمنة الهندية وتابعاً لها ؟ وإنما يطالب بتقرير مصيره ذلك الحق الذي أقرته له الأمم المتحدة قبل نصف قرن بإجراء استفتاء شعبي عام يحدد رغبة الكشميريين في البقاء تحت سيطرة الهند، أو الانضمام إلى الباكستان . والقيادة الكشميرية أوضحت

موقفها من الحكم الذاتي على لسان قادتها ومنهم السيد يوسف رئيس تحالف جميع الأحزاب الكشميرية للتحرر ، الذي وصف مشروع الحكم الذاتي بأنه خدعة ترمي إلى ضرب حركة التحرر . وأضاف آخر وهو عبد الغني بت : أن موضوع الحكم الذاتي من شأنه تثبيت الاحتلال والسيطرة الهندية على كشمير واعطاء نوع من الشرعية له ، وهذا ما يرفضه الشعب الكشميري .

وفي المقابل كان موقف باكستان التي ترى ان من حق كشمير أن تكون ضمن الجمهورية الباكستانية وفق قرار تقسيم شبه القارة الهندية . وتذكر باكستان أن قبول الحكم الذاتي سيمنح انضمام كشمير إلى الهند شرعية دولية على حساب قرارات الامم المتحدة ... أما الهند فقد رفضت المطلب بإجماع كبير وتخوف من أن يمهد الحكم الذاتي لكشمير

فرصة لبقية الولايات بالمطالبة بالمثل .

وفي ظل الظروف الراهنة يبقى الخيار في يد المقاومة المسلحة وهو الخيار الأجدر للكشميريين في مساعيهم لاستنزاف قوة الهند ، وكسر طوق غطرتها من جهة ، وجلب المزيد من الاهتمام الدولي واحراج الهند أمام العالم من جهة أخرى ، ويبقى الموقف متأرجحاً بين المقاومة ومطالبها في تقرير المصير من خلال العمليات العسكرية التي أصبحت الهند تعاني منه تحت وطئة النجاحات التي حققتها المقاومة ، وبين موقف الباكستان الساند والداعم للمقاومة ، وموقف الهند التي تواصل قمعها للثوار الكشميريين وبين هذا وذاك تبقى كشمير المسلمة في انتظار الحل سواء كان عبر المجتمع الدولي أو الإسلامي ، حيث أن أكثر من ١٢ مليون كشميري يرفعون أصواتهم ليل نهار للمطالبة

بحقهم المشروع في تقرير
المصير الذي نصت عليه الامم
المتحدة .

* * *

□ نيجيريا

التراجع عن تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية

تحتل قضية النص على
الشريعة الإسلامية في القانون
النيجيري صدارة الأحداث منذ
عام ١٩٧٨م من خلال الجمعية
التأسيسية للدستور عام ١٩٧٩م،
حيث كانت قضية الشريعة مثار
أزمة بسبب النص في مشروع
الدستور النيجيري على إنشاء
محاكم استئناف شرعية فيدرالية
مقابل أحكام المحاكم الشرعية
في الولايات الشمالية . ولم تكن
في الماضي حاجة إلى انشائها
حيث كان الاقليم الشمالي وحدة
واحدة ...

وبعد تقسيم الاقليم الشمالي
الى عشر ولايات عام ١٩٧٩م

ولكل ولاية محكمتها الشرعية في
الاقليم ، أصبحت الحاجة ملحة
على إنشاء محاكم شرعية
فيدرالية، وهذا ما نص عليه
الدستور لعام ١٩٧٩م الأمر الذي
اعترض عليه الأعضاء
المسيحيون في الجمعية
التأسيسية، وكما طالبت الرابطة
المسيحية النيجيرية باعتراف
الدول بنظام قانوني مسيحي،
وحدثت أزمة في خصوص هذا
الموضوع ، وللخروج من هذه
الازمة ثم تشكيل لجنة داخل
الجمعية التأسيسية للتوصل إلى
حل وسط حيث أوصت بتعيين
ثلاثة قضاة من المتخصصين
بالشريعة الإسلامية سواء من
المسلمين أو من غير المسلمين،
وهذا دلالة على الاستخفاف
العلني بأحكام الشريعة
الإسلامية ، مما أدّى إلى انسحاب
٩٠ عضواً من الأعضاء المسلمين
في الجمعية التأسيسية احتجاجاً
على ذلك، ولم يعودوا إلا بعد أن

تدخل الرئيس النيجيري في ذلك الوقت .

وفي عام ١٩٨٨م وخلال أعمال الجمعية التأسيسية لدستور عام ١٩٩٠م عاد الحديث والجدل مرة أخرى حول مكانة الشريعة في النظام القانوني النيجيري بين الأعضاء المسلمين والمسيحيين . حيث يرى المسلمون أن الشريعة يجب أن تطبق حيث يوجد عدد كبير من المسلمين، بينما احتج المسيحيون على ذلك، وقالوا بأن تطبيق الشريعة يتعارض مع علمانية الدولة ومع المادة العاشرة من دستور عام ١٩٧٩م والتي تمنع الدولة أو أيأ من الولايات من أن تتبنى أحد الأديان، ولم يتوقف هذا الجدل حول هذه المسألة إلا بعد أن تدخل الرئيس ابراهيم بابا جيداً .

ومن خلال بروز هذه المسألة وفي ظل الأوضاع السياسية غير المستقرة والأوضاع الأمنية

والاقتصادية المتردية ؛ احتل الدين وبشكل غير مسبوق ، مكاناً بارزاً على مسرح الأحداث وانتشرت بعض الحركات والتنظيمات الدينية على الجانبين الإسلامي والمسيحي، وحاولت كل منها تعزيز نفوذها وتلبية مصالح أتباعها ... حيث أسهمت في زيادة التوتر والصراع الديني في البلد ، مما أدّى الى الدخول في الصراعات بين المسلمين والمسيحيين ، وما يجري بين مسلمي ولاية كادونا ونصرانييها امتد إلى مناطق الإيبو في منطقة أبا بولاية أبيا في جنوب نيجيريا ، حيث كانت لهذه الصراعات جذور قديمة وتحديداً في الستينات - الأمر نفسه تكرر في عام ١٩٨٧م عندما قام نصارى ولاية كادونا بالاعتداء على المسلمين وحرق بيوتهم ومزارعهم ومساجدهم، وكذلك وقع الحادث وتكرر عام ١٩٩٣م في كادونا أيضاً إذ قام النصارى

باعتداءات وحشية على المسلمين حيث أدّى الأمر إلى قتل وتشريد الآلاف من المواطنين المسلمين .

وفي عام ١٩٩٩م كانت آخر الصدامات في منطقة كادونا أيضاً ، وفي كل مرة كان النصارى هم المسبيين لأحداث الصدامات مع المسلمين مما يدفع المسلمين كردة فعل للدفاع عن الانفس والممتلكات ، مثلما فعلوا بهم حيث دمروا مساجدهم ومزارعهم وقتلوا أطفالهم واعتدوا عليهم الأمر الذي دعا الرئيس النيجيري أو باسانجو إلى مناشدة القيادة الإسلامية والمسيحيين بالهدوء والتعاون من أجل نيجيريا وتطورها .

وهنا ثمة أمر يتعلق بالرئيس النيجيري حيث أنه يعلم أن الحزب الشعبي الديمقراطي هو الذي أوصله إلى سدة الحكم والذي يسيطر عليه مسلمو الشمال . فقد وقع بين أمرين كلاهما مرّ ، فهو من ناحية يحاول

إرضاء المسلمين لذا يصرح بأننا في دولة ديمقراطية وأن حق الحرية والاعتقاد مكفول لكل الناس في نيجيريا ، ولا يشير إلى ما يمانع تطبيق الشريعة ، ومن ناحية أخرى يدلي بتصريحات لإرضاء النصارى ، فيصرح بأن الدستور النيجيري ليس فيه قطع اليد ورجم الزاني ، وهذا يعني مخالفة قوانين الشريعة الإسلامية .

حيث طرح الرئيس النيجيري موضوع الشريعة للنقاش أمام البرلمان ، إلا أن أعضاء البرلمان انصرفوا احتجاجاً على هذا الأمر . وفي نفس الوقت فإن مصلحة أو باسانجو وحكومته أن لا يثير المسلمين لأنهم هم الذين أتوا به إلى السلطة ، وكما أن المطالبين بالشريعة هم حكام الولايات ، أي أنهم نواب الرئيس ، إلا أنه في النهاية لم يملك إلا أن يستجيب لإلغاء تطبيق الشريعة الإسلامية أمام تزايد الضغوط الداخلية

والخارجية من النصاري، وخاصةً بعد زيادة حجم المعونات من قبل الولايات المتحدة الأمريكية، وهذا ما صرح به السفير الأميركي، بأن المنحة الأميركية ستكون ١١٠ ملايين دولار، وفي تلك الظروف والأحداث الدامية أعلن مؤخراً في نيجيريا إرجاء تطبيق الشريعة الإسلامية في بعض ولايات الشمال التي كانت قد أعلنت على فترات متفاوتة استبدالها بالقوانين الوضعية في مناطقها، الأمر الذي أدى إلى إجتماع الرئيس النيجيري بولاية نيجيريا الستة والثلاثين بحضور نائبه محمد أبو بكر عتيق والرئيس السابق إبراهيم بابانجيда لينتهي الأمر بإعلان أبو بكر سحب قوانين الشريعة الإسلامية والعودة إلى القوانين المعمول بها في تلك الولايات، وهنا أسباب أخرى أسهمت في ذلك، من أبرزها..

١ - شدة الضغوط من جانب النصاري إذ أنهم يتحكمون في الآلة الإعلامية وسيطرون عليها سيطرة شبه تامة، الأمر الذي سهل لهم شن الحملات الإعلامية الشرسة على الشريعة الإسلامية وقوانينها.

٢ - التخطيط الماكر والأساليب الخبيثة والمدعومة لإشعال فتيل الأوضاع بالعنف والقتل والحرق، الأمر الذي جعل الدولة في مأزق وتحتاج إلى حركة سريعة لإطفاء النار التي سوف تحرق الأخضر واليابس.

٣ - عدم التهيؤ والاعداد الجيد لتطبيق أحكام الشريعة التي دعت الولاة لتطبيقها دون التفكير فيما يترتب على ذلك من ضغوط داخلية وخارجية.

ومن الملاحظ أن هذه الأسباب وغيرها وظروف نيجيريا والضغوط الكبيرة من النصاري والمجتمع الدولي، الذي لا يرغب بأن يكون للإسلام والمسلمين

والإعلامي حتى ظهر للعيان مصطلح آخر وعبر عنه بـ «الخطر الإسلامي أو خطر الأصولية الإسلامية»، حيث أصبح إشارة واضحة للحالة الإسلامية وما تحتويه من تنامي متصاعد وخاصة في العقود الثلاثة الأخيرة. حيث أخذت الأوساط الإعلامية والسياسية في مناسبة أو غير مناسبة تحذر فيها من استفحال هذا الخطر حتى بات الأمر غريباً ومثيراً للعجب والاستفهام.

ورب سؤال يطرح: ماهي حقيقة هذا الأمر الذي يدعون إليه ولماذا يلجأون إلى هذه الأساليب من العداء للإسلام والمسلمين؟

في الفترة التي فرضت الحالة الإسلامية نفسها على المسرح السياسي والفكري ظهرت دراسات وأبحاث ورصد وتحليل للحالة الإسلامية وما يناسبها في كل جوانبها بدءاً من الإحتواء

ظل يكون تحت الشمس أينما كانوا، أدت إلى تراجع نيجيريا عن تطبيق قوانين الشريعة الإسلامية. ويبقى سؤال يتكرر دائماً وهو: ماذا سيكون الحال بعد سحب قوانين الشريعة الإسلامية؟ وماذا ستكون عليه الأوضاع في الفترة المقبلة؟ وهل يتراجع الرئيس النيجيري عن الديمقراطية ويتنصل عن الذين أتوا به إلى السلطة؟ وإذا حدث هذا ماذا ستكون ردة فعل المسلمين؟

كل هذه أسئلة تُترك للأيام القادمة والأوضاع المستجدة في نيجيريا.

* * *

□ آسيا الوسطى

هبة العداء للإسلام

ما إن اختفى مصطلح «الخطر الأحمر» من قاموس الاستخدام اليومي والخطاب السياسي

والاستئصال، حيث واجهت الحالة الإسلامية تعاضداً دولياً واقليمياً مثيراً للغاية والوقوف بوجه الانبعاث الإسلامي بلا رحمة وتحت شتى الذرائع فتارةً يكون تحت لافتة مواجهة التطرف واخرى الاصولية وثالثة الإرهاب و... و...

وقد تعددت اللافتات والتسميات والمستهدف واحد هو الإسلام الأصيل وحملته الذين يجاهدون من أجل أن يكون بديلاً عن الأنظمة الوضعية التي لم ير فيها الإنسان المعاصر سوى الظلم والمرارة والاستعباد، ولو تتبعنا أساليب التشويه المدروسة للحالة الإسلامية لوجدنا خيوطها الأولى قد حيكت في أروقة المخابرات المركزية وخلف كواليس اللعبة الدولية وحتى المصطلحات والتسميات التي تطلق هي الأخرى بشكل مدروس وانتشارها أيضاً كذلك وتسويقها كتسويق أي بضاعة

تجارية...

والغريب في ذلك أننا نجد كل مصطلح تذييعه الأوساط الإعلامية أو الدوائر السياسية في الغرب يأخذ طريقه للانتشار بكل سهولة في أوساطنا، ويردده الزعماء والكتاب المثقفون بطريقة تدعو إلى القرف بل الرثاء على أوضاعنا المزرية. والأغرب من ذلك أن ينضم إلى جوقة التضليل هذه بعض زعماء العالم حيث يذهب البعض منهم إلى مديات بعيدة تفوق تطلعات واضعي الخطط أنفسهم.

وخير شاهد على ذلك الرئيس الروسي (بوتين) حيث أنه يفهم أبعاد هذه اللعبة، ولكنه يعمل ويحاول توظيفها إلى مدى أبعد من ذلك. ففي الآونة الأخيرة أطلق تصريحات وتحذيرات شديدة اللهجة ضد ما وصفه بالتهديد الإسلامي الأصولي لأوروبا حيث قال: إن روسيا تحارب في الشيشان مؤامرة أصولية تهدد

أوروبا ككل، وأضاف أن ما يقوم به الجنود الروس في الشيشان ليس موجهاً ضد انفصاليين وإنما ضد أصوليين يحملون أهدافاً فاشية مشيراً إلى أن هؤلاء الأصوليين يشكلون جبهة موحدة ضد اليهود والمسيحيين، وتمتد شبكتهم الأصولية الدولية من الفلبين إلى كوسوفا مشدداً على أوروبا بأن تشكر الروس لأنهم قد تولوا وحدهم شن الحرب على الإرهابيين (الإسلاميين) في الشيشان.

ويذهب آخر يعيش نفس الحالة التي يعيشها بوتين ولكن بطريقة أكثر عداءً وصراحةً، حيث طالب الرئيس الأوزبكي كريموف الحكومة الألمانية بتقديم الدعم والمساعدة إلى بلاده والتعاون معها في المجال العسكري لوضع حد لما أسماه بالخطر الإسلامي القادم من أفغانستان، وعبر عن أسفه لعدم أخذ الأوروبيين هذا الخطر بجديّة، ودعا إلى تهم طلبة

في مكافحة الإرهاب والأصولية الإسلامية.

إن هذا التوظيف البائس الذي قام به بوتين وكريموف لم يكن إلا لعبة لحرف الرأي الخارجي والداخلي عن المشاكل والأزمات التي تعصف ببلادهم وبأنظمتهم الخاوية مبررين جرائمهم التي يقومون بها ضد الإسلام والمسلمين.

حيث أصبحوا أدوات تنفيذية للمخططات الدولية لضرب الإسلام والتي من خلالها يستجدون المساعدات الاقتصادية. وإلا ماذا يريد رئيس دولة كبرى كبوتين من غزله المكشوف لأوروبا؟ سوى تقديم المساعدات والمعونات لنظامه الذي أوشك على الإفلاس.

ويمكن الخلاصة إلى القول أن كل المحاولات التي قام بها بوتين وكريموف وأمثالهما في العالم هو لضرب الحالة الإسلامية في

بلدانهم، حيث كانت محاولات يائسة وفاشلة، وأنت بنتائج معكوسة تماماً حيث أصبحت الحالة الإسلامية أمراً واقعاً لا يمكن تجاوزه وإلغاؤه وتغييبه، وهذه هي البلاد الإسلامية من أقصاها إلى أقصاها تعج بأمثال كريموف وبوتين ومن على شاكلتهما ممن يبتئون همومهم ومشاكلهم ويواصلون شكواهم من الحالة الإسلامية والتي باتت تؤرق منامهم وتهدد عروشهم الخاوية.

وعلى الحكام الذين يقومون بهذا الدور أن يوقفوا قليلاً ويراجعوا ذواتهم بدلاً من إضاعة الوقت في أساليب التنكيل والعداء للإسلام بأساليب القهر والإذلال لشعوبهم وأن يلودوا بهم ويرتموا بأحضانهم بدلاً من الإرتماء بأحضان الغرب ومخططاته الإستكبارية التي لم يجنوا منها إلا خراب بلدانهم مقابل بقائهم حفنة سنين

متسلطين على عروش متهاوية . وكلمة أخيرة إن الإسلام قادم والشعوب حسمت قرارها النهائي بعدما كانت تعيش الضياع وتتخبط خبط عشواء في ليلة ظلماء، ولم تجد خلاصاً إلا بالإسلام فكان خيارها الأخير .

* * *

□ العالم الثالث

تجارة الديون فطة لاستعباد العالم الثالث

تعتبر أزمة الديون التي يعاني منها اقتصاد دول العالم الثالث (النامية) أحد إفرازات سياسة صندوق النقد والبنك الدوليين التي نفذت منذ أوائل السبعينات وحتى الآن تحت غطاء التنمية الاقتصادية لهذه الدول من خلال القروض المشروطة .

ومع مرور الزمن تضخمت أرقام الديون وبرزت كأزمة عالمية مع مطلع الثمانينات حيث

عجزت تلك الدول (النامية) عن الوفاء بالتزامات في تسديد الديون، حيث كان واضحاً منذ البداية أن الصندوق يعتمد على استراتيجية طويلة الأمد تحت الغطاء المذكور (التسمية الاقتصادية).

وفي هذه الحالة يستمر الصندوق بتقديم القروض مع تحويل اقتصاد الدول النامية إلى اقتصاد سوق (الاقتصاد الرأسمالي) وذلك من خلال تنضيج البرنامج الاقتصادي.

وفي حالة تعرض أي دولة أو مجموعة دول إلى انهيارات اقتصادية سريعة كما حدث في جنوب شرق آسيا وروسيا والبرازيل يقدم الصندوق الدولي مرة أخرى بمد يد العون والمساعدة، لكن بشروط معقدة وقاسية حيث يفرض الصندوق على بيع ممتلكات دول الأزمة من بنوك ومؤسسات إلى الشركات الأجنبية وتكون أولوية السداد

لتلك المؤسسات وأن تصرف أموال القروض في تمويل مشروعات تضمن من خلالها تسديد القروض مستقبلاً، وهذا يعني عدم استخدام القروض لغرض إرساء البنى التحتية للدول في مجالات الصحة والتعليم والنقل والاقتصاد والخدمات الاجتماعية الأخرى. بالإضافة إلى فرض الخيارات الاقتصادية والسياسية الغربية على الدول المستدينة دون النظر إلى الخصوصيات الثقافية والحضارية لتلك الدول.

ومن خلال هذا يتضح بأن هناك أسباباً دعت هذه الدول لأن تسير بهذا الاتجاه وقبول الشروط المفروضة عليها من قبل صندوق النقد والبنك الدوليين، ومن هذه الأسباب اعتماد الدول النامية على سياسات اقتصادية غير ملائمة لواقعها وإمكانياتها، تضخم الاستيراد وتمويله بواسطة القروض، سوء استخدام

القروض وعدم كفاءة الأداء الاقتصادي بالإضافة إلى الفساد الإداري ووقوع الحروب الأهلية والإنفاق العسكري الباهظ الذي شهدته تلك الدول في السنوات الأخيرة.

ومن خلال هذا فقد جنت الدول الغنية ومؤسساتها المالية وفي مقدمتها صندوق النقد والبنك الدوليين أرباحاً هائلة جراء الديون والتي هي بالمقابل خسائر اقتصادية تتكبدها الدول النامية (العالم الثالث) وتقول دراسة متخصصة : إن مقابل كل (١٠٠) دولار موظف تحصل الدول المقدمة للقروض على معدل ربح ٢٦ - ٣١ دولاراً في بلدان آسيا وأفريقيا.

ويورد تقرير آخر لمنظمة التعاون الاقتصادي والتنمية الدولية جانباً من هذه الفوائد العائدة فيقول: «إن الفترة الواقعة بين العام (١٩٧٢ - ١٩٩٢م) أي خلال ٢٠ عاماً اقترضت الدول

النامية (١٩٣٥) مليار دولار، وبلغ مجموع ما سدته من أقساط مع الأرباح خلال الفترة نفسها (٢٢٣٧) مليار دولار، ورغم ذلك مازالت هذه الدول مدينة بنحو ١٧٠٠ مليار دولار، وبالإضافة إلى هذه الأرباح هنالك برامج اقتصادية الغرض منها ربط اقتصاد الدول النامية بعجلة الاقتصاد الرأسمالي أو ما يسمى باقتصاد السوق، وهذه البرامج تمرر على شكل دفعات فيما يسمى ببرنامج التصحيح الاقتصادي، كل هذا أدى إلى استنزاف هذه الدول اقتصادياً، وأصبح همها الوحيد هو تسديد الديون وفوائدها - وعلى سبيل المثال (النيجر) أفقر دول العالم - تنفق الحكومة فيها لتسديد الديون الخارجية ثلاثة أضعاف ما تنفقه في حقل الصحة والتعليم . ولتسديد مثل هذه الديون العالية والفوائد وجدت الدول النامية نفسها مضطرة إلى

تحويل مواردها الشحيحة أصلاً إلى خدمة الديون وتسديد القروض .

وأدت أزمة الديون هذه إلى إفقار الدول النامية، وجعلت خمس أسداس البشرية يعيشون في فقر مدقع، وهم بلا رأسمال على الإطلاق كما أدت إلى أزمات سياسية واقتصادية واجتماعية بات من الصعب حلها أو التعامل معها، وقد عرض تقرير مكتب العمل الدولي لعام ٢٠٠٠م بعضاً منها فقال : إن في الدول النامية ما يقارب ثلث السكان يعيشون بأقل من دولار في اليوم وهناك ٣٠٪ من البالغين أميون و ٣٠٪ محرمون من المياه العذبة و ٣٠٪ من الأطفال دون الخامسة أوزانهم غير طبيعية . بالإضافة إلى الأمراض المزمنة والمستعصية .

وتلك كانت ستراتيجية صندوق النقد الدولي والبنك الدولي وغيرها من مؤسسات

الإقراض التي خطط لها منذ البداية لايقاع الدول النامية في شرك المديونية لتحقيق أهدافها الاقتصادية والسياسية لكي تصل إلى النتيجة الحالية بحيث يتحول الناتج في الدول النامية إلى خزائن مؤسسات الإقراض الدولية كخدمات للديون، ومن ثم الإقراض من جديد لمواجهة العجز من موازين المدفوعات وتلبية الحاجات من الواردات الضرورية .. بحيث انعدمت أي فرصة أمام الدول النامية للنمو والاكتفاء الذاتي وأصبح برنامج التخطيط الوحيد للدول النامية منحصرأ بطريقة تسديد هذا القرض وأخذ القرض الآخر .

فبدأت حركة الدولة النامية في حركتها الاقتصادية حركة تراجعية لم تتوقف ولن تتوقف، إذ بقيت على هذا المنوال لا الآن ولا في المستقبل بل إن الكثير من الدول النامية ولأجل علاج مشكلاتها الاقتصادية بدأت

بحركة تهافتية على الانضمام إلى منظمة التجارة العالمية بتخيل أنها تستطيع الحصول على بعض المكاسب الآنية مقابل رهن اقتصادها وتحويلها إلى أدوات في خدمة الاقتصاد العالمي .

تلك هي حصيلة التنمية بالقروض والتي أوقعت الدول النامية في شرك المديونية الرهيبة ربما تكون أسوأ من مرحلة الاستعمار العسكري المباشر .

* * *

□ أميركا

التباكي على حرية الأديان

أصدرت واشنطن تقريرها السنوي المتعلق بحرية الأديان والممارسات العبادية حيث دأبت على إصدار مثل هذه التقارير سنوياً أو غير سنوي حول قضايا محددة من قبيل حقوق الإنسان ، الأقليات ، والإرهاب الخ .

وفي كل مرة هناك أكثر من اعتراض واعتراض على ما تذهب إليه الإدارة الأميركية في تقاريرها تلك، ومن أبرز تلك المؤاخذات على حقيقة التوجه الأميركي هي سياسة الكيل بمكيالين، حتى غدا وكأنه أمر ملازم للتوجهات الأميركية، حيث تظاهرت في تقريرها السنوي بالدفاع عن حقوق الإنسان واعتبرتها قيماً عليا، وكذلك نددت بالانتهاكات الواسعة للحريات الدينية ، حيث أوضح التقرير الحريات الدينية في ١٩٤ دولة معتبراً إياها أكثر التجاوزات خطورةً والتي تحدث في آسيا والشرق الأوسط . وعلى الرغم من توقيع ١٤٤ دولة على اتفاقية الحقوق المدنية والسياسية والتي تنص صراحةً على حرية المعتقد فإن قسماً كبيراً من سكان العالم يعيش في دول فيها حرية المعتقد مقيدة أو محظورة، وفي معرض للدول التي تعيش هذه الحالة هي

أفغانستان ، بورما ، الصين ،
لاوس ، كوريا الشمالية وفيتنام
وإصفاً إياها بالتحكم بحرية
المعتقد بطريقة استبدادية .

وكذلك خصص التقرير
كعاداته سنوياً فصلاً حافلاً
بالانتقادات الموجهة للصين حيث
أشار إلى القيود المفروضة على
البوذيين في التبت والايغوريين
المسلمين وأتباع طائفة
فالونغونغ .

والمتتبع لفصول هذا التقرير
المعلن من قبل واشنطن
وحرصها على حرية الإنسان في
كل بقاع العالم وبما يعتقد ، يرى
أميركا بوجه ناصع وموقف
مدافع عن الشعوب وإنقاذها من
سطوة حكامها متناسية في
تقريرها أن كل ما يدور في العالم
هو من خطط وسياسة المخابرات
المركزية الأميركية المصدرة أو
الموجهة إلى عملائها ومنظماتها
في دول العالم ...

حيث أخذت تتصيد بالماء

العكر من خلال فقرات التقرير
حتى أنها عرضت حالة القمع التي
يتعرض لها البهائيون في إيران ،
متناسية في ذلك بأن هذه الفرقة
ضالة ومضلة ومنحرفة عن أي
معتقد ديني، وتأسست من قبل
المخابرات الغربية لضرب إصالة
الدين الإسلامي حيث تعمل
هذه الفرقة بدعم
ومساندة وتمويل نفس أميركا
المتباكية على أوضاع المسلمين
في العالم .

ولكي تجعل أميركا لتقريرها
نوعاً من المصادقية وإقناع الرأي
العام ؛ حاولت أن تتطرق إلى
بعض الممارسات التي تقوم بها
دول حليفة لواشنطن، ولو بمرور
الكرام ، حيث أشارت إلى أن
الحرية الدينية غير موجودة
في السعودية، ولا يذهب بنا
الظن بأن هذه الإشارة
إدانة للرياض على الممارسات
السلفية المتحجرة التي
تمارسها ضد أتباع نهج أهل

البيت عليه السلام والتي تصفهم بالرافضة، بل إن الإدانة هذه نابعة من الموقف حيال الممارسات التبشيرية المسيحية المحظورة هناك.

وكذلك الحال بالنسبة للقاهرة فإن الإدانة لم تكن ضد أنواع العنف والممارسات اليومية ضد المسلمين هناك ولكن الإدانة المقصود منها الأقلية القبطية، حيث أن أميركا ودول الغرب ضالعة في إثارة هذه الأزمة وقت ما تشاء لغرض تمرير أهدافها في المنطقة، وكذلك أشار التقرير بطريقة المداراة والمجاملة للجانب الصهيوني حيث تعرّض إلى مسألة التعليم والصحة والامتيازات الاجتماعية وانتهاكات لحرمة المعتقد الديني من خلال هدم المساجد أو تحويلها إلى أماكن غير لائقة بأبسط صفات الإنسانية التي تدافع عنها أميركا وتعتبرها قيماً عليا ... فأين هو التقرير ومعدوه

من كل الانتهاكات في فلسطين وكشمير والعراق ومصر والشيشان .. وكل بلدان العالم وهل أن الإشارات لها كافية لإنقاذ الشعوب مما هي فيه ؟ أم أنها ذرٌّ للرماد في العيون، والظهور بالمظهر المدافع عن البشرية المضطهدة بأيديهم وأيدي عملائهم، ولتبق تقاريرهم السنوية هذه حبراً على ورق لا تقدم ولا تؤخر شيئاً.

لقد علمت الشعوب بأن كل الذي يجري لها من انتهاكات لحرمة معتقداتها هو من أميركا ومواقفها الداعمة والمساندة للأنظمة والمنظمات التي تعمل تحت إدارتها.

إن أميركا تخوض في هذا المضممار مستهدفة تضليل الرأي العالمي، وهي تعلم قبل غيرها أنها متوحلة بمستتفع أسن وهي مطالبة بتحقيق ضمان الحقوق الدينية في بلدها أكثر من غيرها ...



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نشركم لمذهب أهل البيت

شرف عظيم لكم



إِنَّ نَشْرُكُمْ لِمَذْهَبِ أَهْلِ بَيْتِ الرَّسُولِ ﷺ مَعْدَنُ الرِّسَالَةِ وَمَنْبَعُ النُّبُوَّةِ هُوَ شَرَفٌ عَظِيمٌ لَكُمْ، حَيْثُ يَسْتَفِيدُ مِنْهَا الشَّبَابُ فِي كُلِّ مَكَانٍ فَجَزَاكُمْ اللَّهُ خَيْرَ الْجَزَاءِ وَجَعَلَكُمْ ذَخْرًا لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، فَأَنَا شَابٌ أَعِيشُ مِنْذُ فِتْرَةٍ فِي بِلَادِ الْغُرْبَةِ الَّتِي تَسْتَوْجِبُ عَقِيدَةَ صُلْبَةٍ وَمَعْرِفَةَ فِي دِينِ اللَّهِ الْقَوِيمِ، وَلِذَا نَرْجُو مِنَ الْمَجْمَعِ أَنْ يَزِيدَنَا بِمَا يَسْتَطِيعُ مِنْ كُتُبٍ وَمَنْشُورَاتٍ حَتَّى يَتَسَنَّى لَنَا بِهَا

إِعْدَادُ أَنْفُسِنَا وَإِخْوَانِنَا فِي هَذَا الْبَلَدِ الَّذِي فِيهِ الْكَثِيرُ مِنَ الْإِخْوَةِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَرْجُونَ مَا أَرْجُو، حَتَّى يُمَكِّنَنَا أَنْ نَتَعَرَفَ عَلَى مَذْهَبِنَا بِشَكْلِ صَحِيحٍ وَبِمَا يُنَاسِبُنَا وَيَحْفَظُنَا فِي دِيَارِ الْغُرْبَةِ وَأَقْدِمَ لَكُمْ التَّبَرِيكَاتِ بِمُنَاسِبَةِ الْمُبْعَثِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ .

سيد مؤيد البطاط

«هولندا»

مجلة «رسالة الثقلين» تنير

دروبنا وعقولنا.

نشركم على ما تقومون به

من أجل خدمة الإسلام
والمسلمين ورفع راية التوحيد
براقة مزدانة بالولاء المُخلص
لأئمة أهل البيت عليهم السلام سائلين
المولى تبارك وتعالى أن يُسرّع
في نهاية الظالمين والمتسلطين
على رقاب الشعوب ، وأن يصلح
أمر ديننا ويأخذ بأيدينا لما فيه
الخير والصلاح والوحدة، وأن
يجمعنا وإياكم تحت قُبة سيد
الشهداء عليه السلام إنه تعالى سميع
مُجيب .

تصلنا مجلتكم الغالية على
قلوبنا، ونسعد بها ونفرح لتُنير
دروبنا وعقولنا ونحن نعيش في
ديار الغربة المُظلمة الموحشة ،
ونود أن نعلمكم بأننا ننوي إنشاء
مدرسة بسيطة مكونة من ثلاث
مراحل لأبنائنا من أجل تعليمهم
مبادئ وقواعد اللغة العربية
والتربية الإسلامية، فإذا كان
بالإمكان تزويدنا ببعض المناهج
الدراسية وحسب استطاعتكم ،
ولكم مَدًا وافر الشكر والإمتنان
على تعاونكم معنا ورعايتكم

الأبوية لنا .

أبو علي الحلاوي

«المانيا»

نرجو إرسال الكتب

والمجلات

إنّنا مجموعة من الإخوة
العراقيين واللبنانيين الموالين
لأهل البيت عليهم السلام والمُقيمين في
مدينة سندسقال الواقعة في
شمال السويد ، قُمتنا بتأسيس
جمعية إسلامية ثقافية باسم
جمعية أهل البيت عليهم السلام ، الهدف منها
إقامة الشعائر الدينية المختلفة في
المناسبات وخصوصاً في شهر
محرم الحرام وشهر رمضان
المبارك .

فنرجو منكم إرسال بعض الكتب
والمجلات والنشرات المختلفة وذلك
من أجل تأسيس مكتبة ثقافية إسلامية
خاصّة بنا. ودمتم لخدمة الإسلام
والمسلمين .

السيد علي الياصري

جمعية أهل البيت عليهم السلام

«السويد»

رسالة الثقلين مجلة اسلامية جامعة

قسمة الاشتراك

الاسم :
العنوان :
.....
المدينة :
البلد :
المهنة :
مدة الاشتراك :
ابتداءً من :
عدد النسخ :

بلد
الارسل
الاشتراك
السنوي / لمدة ٦ أشهر

□ الجمهورية الاسلامية ١٤٠٠٠ ٧٠٠٠
في ايران (بالريال)
□ باقي دول العالم بالدولار ٣٠ ١٥
الأميركي (أو مايعادلها)

□ يرافق اشتراكي : □ صك □ صك بريدي □ حوالة بريدية
أرسل هذه القسمة مع قيمة الاشتراك باسم «رسالة الثقلين» إلى العنوان التالي :
□ الجمهورية الاسلامية في ايران . قم . ص . ب ٨٩٤ - ٣٧١٨٥



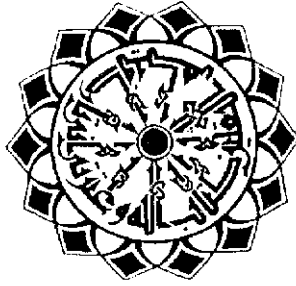
الاشتراكات :

□ داخل الجمهورية الاسلامية في ايران تسدد قيمة الاشتراك السنوي (١٤٠٠٠ ريال) بحوالة مصرفية على العنوان التالي :
الجمهورية الاسلامية في ايران - طهران - بانك ملی / شعبة ولايت - خيابان فلسطين جنوبی - رقم الحساب الجاري : ٥٥٩١٦٠٠٦ (بالريال) - مجلة رسالة الثقلين .
□ قيمة الاشتراك السنوي في الخارج (٣٠ دولار أميركي أو ما يعادلها) تسدد بحوالة مصرفية على العنوان التالي : (جميع فروع بانك ملی في خارج البلاد) .

Bank Melli, Iran : (55916006)

ثمن النسخة :

□ الجمهورية الاسلامية في ايران ٣٥٠٠ ريال □ العراق ١٠ دنانير □ لبنان ٢٥٠٠ ليرة □ سوريا ٥٠ ليرة
□ الاردن دينار واحد □ الكويت دينار واحد □ البحرين دينار واحد □ الامارات ١٥ درهما □ قطر ١٥ ريالا
□ عمان ريال واحد □ السعودية ٢٥ ريالا □ اليمن ٣٥ ريالا □ مصر ٧٥ قرشا □ ليبيا ١٠٠٠ درهم
□ السودان ١٠٠ جنيه □ تونس دينار واحد □ المغرب ١٥ درهما □ الجزائر ١٢ دينار .
□ وفي باقي دول آسيا وإفريقيا وأميركا واستراليا وأوروبا ٧ دولارات أو ما يعادلها .



AHL UL BAIT
WORLD ASSEMBLY

RISALATUTH - THAQALAYN

A General Islamic Periodical

Vol . 9, No. 35, October - Dec. 2000